المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والثمانين

١ مايو سنة ١٩٣٦ — ١٠ صفر سنة ١٣٥٥

بعد ستين سنة

ذكريات في عهد الصبا

لاحد منشئي المقتطف

مضى على المقتطف ستون سنة كاملة . ولذلك يلتبونهُ بشيخ المجلات العربية واعني بذلك انهُ اقدمها عهداً ولا ادعي انهُ شيخها علماً . ولكن قراءهُ لم يعتادوا ان يقرأوا فيهِ منذ انشائهِ الاَّ ما يقتطفهُ لهم من ثمر ناضج وينقلهُ اليهم من رأي خير ويطعمهم عليهِ من خلاصات ابحاث العلماء ونتائج تجارب الخبيرين وعجائب اكتشافات المكتشفين وغرائب اختراعات المخترعين ونحو ذلك مما قلَّ ان يؤثر عن الشبان ويغلب ان يختص بالكهول والشيوخ . فلا غرابة اذا كان قراء المقتطف لم يتصوروا منشئيهِ (وخصوصاً اذا لم يكونوا يعرفونهما) الاَّ شيوخاً منذ بدء انشائهِ كما صارا اخيراً وكما لايزال احدهما (كاتب هذه السطور) الى هذا العهد . ومن الشواهد على ذلك انهُ في سنة ١٨٧٦ كان المغفور لهُ رياض باشا وزيراً للمعارف المصرية في عهد المغفور لهُ الخديوي اسمعيل باشا فلما اصدرنا المقتطف في بيروت تلك السنة واطلع دولتهُ عليهِ انزلهُ منزلة رفيعة في اعتبارهِ وجرت بيننا وبينهُ مراسلة حفظناها لهُ بالشكر والثناء على الفضل الى هذا اليوم. وفي سنة ١٨٨٠ زرنا كلانا مصر وكان دولتهُ رئيساً للنظار حينئذٍ . وأتينا ديوان الوزارة للتسليم على دولتهِ . ودفعنا بطاقة الزيارة لمن يناط بهِ أمرها فلم يحفل بها كثيراً لانهُ رآنا شابين مجهولين عندهُ . ولكن اتفق انهُ كان بجانبهِ احد موظفي الداخلية المرحوم اسكندر بك زلزل وكان قد سمع عنا من بعض اقاربهِ فأدخل بطاقتينا الى دولتهِ . ولما اطلع عليها وقرأ اسمينا فيها نهض عن كرسيهِ

ووقف امام باب غرفته لاستقبال زائريه فوجدنا في وجهه فعرض عنا حاسباً اننا نقتحم الباب وسأل قائلاً اين حضرات منشئي المقتطف فأشاروا اليّا ولا نزال حتى هذه الساعة نتصوَّر ما عراه من الدهشة والاستغراب ونتبسم كما تبسمنا حينما أيقن ان ذينك الشيخين منشئي المقتطف هما الشابان الخجلان الواقفان امامهُ وهذا الذي رأيناهُ من رياض باشا وصرَّح لنا به رأينا وسمعنا امثالهُ من آخرين على توالي الايام

ولهذا اقترح عليَّ الاستاذ فؤاد صرُّوف رئيس تحرير المقتطف اليوم أن أورد طرفاً مما أذكرهُ عن المقتطف ومنشئيهِ في اوائل عهده عسى ان يكون في ذلك فائدة للاحداث في بدء نزولهم الى ميدان الجهاد وخوضهم معترك الحياة

أنشئت المدرسة السورية الكلية المعروفة اليوم بجامعة بيروت الاميركية سنة ١٨٦٦ وكان اخي وشريكي المرحوم يعقوب صرُّوف من تلامذة اول فرقة نالت شهادتها وتخرَّجت منها سنة ١٨٧٠ وقضى ثلاث سنوات مشتغلاً بالتعليم في مدارس تعد التلامذة لها ثم عيّنتهُ الكلية معلماً ومساعداً لاستاذ الطبيعيات والكيمياء فيها سنة ١٨٧٤

ودخلت انا تلك الكلية في خريف سنة ١٨٧٠ ونلت شهادتها وتخرَّجت منها في خريف ١٨٧٤ . فقضينا كلانا سنة ١٨٧٤ وهو معلم وانا تلميذ في فرقة المتنين ولما نلت الشهادة عيّنتني الكلية معلماً للرياضيات ومساعداً لاستاذ علم الهيئة ومدير مرصدها الفلكي والمتيورولوجي — العلامة الشهير المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك من اعظم اركان النهضة العلمية والادبية في سوريا ان لم أقل في سائر الاقطار الشرقية — وابتدأت الصداقة بيننا منذ تلك السنة واشتدت على توالي الايام حتى لم تفوّ عليها صروف الدهر ولا حلَّ وثاقها حلول المنايا

وكنا في ساعات فراغنا كثيراً ما نجتمع معاً فيقضي احدنا الى الآخر بما سمع وما رأى وعلَّم وتعلم في يومهِ فاذا نحن كلانا معجبان اعجاباً عظيماً باجتهاد اساتذتنا وخصوصاً الاميركيين منهم: يأتي احدهم من بلادهِ وهو يجهل لغتنا وعاداتنا واخلاقنا فيكبُّ على تعلم لغتنا وحفظ كل ما يتصل بطبقهِ من عاداتنا وما يلحظهُ ويختبرهُ من اخلاقنا ويحرص على كل دقيقة من وقتهِ فلا يقضيها الاَّ في قضاء واجب او عمل نافع بحيث لا يطول عليهِ الزمن قبلما يتعلم لغتنا ويدرس علومها وآدابها ويقرأ كتبها ويعرف الشيء الكثير عن بلادنا واخلاق اهلها وعاداتهم ويصبح قادراً على التأليف فيها والترجمة من لغتهِ اليها . وأدَّى بنا هذا الاعجاب بهم الى الغيرة منهم والرغبة في ان نحذو حذوهم ونحرص على وقتنا حرصهم وتنظم معيشتنا على نمط تنظيمهم لمعيشتهم فجعلنا نقضي تلث اليوم في الراحة والنوم وتخص ساعات معدودة بتناول الطعام والرياضة البدنية وما بقي نقضيهِ في الاستعداد لواجباتنا التعليمية والدرس والتحصيل لزيادة معارفنا العلمية ولقضاء

حاجاتنا الخصوصية بحيث يستغرق ذلك من ١٢ الى ١٤ ساعة يومياً . وعقدنا النية على ان نحافظ على وقتنا هذا بكل جهدنا فوجدنا ذلك صعباً في بادىء الامر ولكنهُ سهل وازداد سهولة على تمادي الايام حتى كنا اذا خالفناهُ نشعر بنوع من الاسف والالم كمن يأتي امراً ادنى . ثم جعلنا نطالع ما يتصل بالكلية من الجرائد والمجلات العلمية الاجنبيّة على اختلاف انواعها واشتدت رغبتنا في مطالعتها بعد ما ذقنا لذة ما فيها من كل بحث طريف واكتشاف جديد واختراع غريب حتى صرنا نسابق الآخرين الى اختطافها حين وصولها لقراءتها قبل ان يفتقدها سوانا . فكان تأثير ذلك فينا ان ولّد فينا الرغبة في اذاعة ما تميه صدورنا واشتدَّ شوقنا الى الانتظام في سلك الكتّاب والمؤلفين من قومنا واشراك غيرنا معنا من ابناء وطننا في الاستفادة مما كنا نحن نستفيد منهُ وهذا ما حدا بنا الى العزم على انشاء جريدة علمية صناعية شبيهة من وجوهٍ مختلفة بالجرائد الافرنجية التي كانت تصل الينا لتكون صلة بين علوم الشرق والغرب وتنقل الى اخواننا اهل الشرق ما يجدهُ علمهُ عند اهل الغرب

وتردَّدنا مدة في بادىء الامر عن اخراج هذه الفكرة من القوة الى الفعل لاعتبارات لا يزال بعضها وجيهاً الى يومنا هذا ، فان مطلبنا الأول من انشاء هذه الجريدة كان شرح العلوم وبسطها لتأديتها الى افهام العامة وعدم الاقتصار على الخاصّة الذين هم في غنى عنها . والعامة كانت في تلك الايام تنفر من العلوم الطبيعية خصوصاً إما لانها لا تعلم مبادئها فلا تفهمها وإما لاعتقادها انها تخالف الاديان وتناقض ما في الكتب المنزلة فتنفرُ منها . والخاصة ايضاً كانت معارفها في ذلك الزمان لا تتجاوز غالباً العلوم البسيطة وكان اكثرها يرى ان تعلّم العلوم العالية لا يعين على كسب الرزق فيضر ولا ينفع والاولى الاعراض عنها وتعلم الحرف التي يعيش الانسان باحترافها . ولذلك كنا نخشى اننا اذا انشأنا جريدة علمية كالتي نفكر فيها يعرض الجمهور عنها فنعود عنها خائبين لعدم استنادنا عن مساعدة الجمهور لنا في حمل عبئها ونحن في مقتبل السن وراتبنا ضئيل لا يكفي لسد حاجتنا والبذل فوق طاقتنا . ثم اننا كنا نخشى ان الخاصة ايضاً لا يؤازروننا لان اكثرهم كانوا من طلاب اللغة العربية والمتأدبين بآدابها والراضين لانفسهم كالمرحومين الشيخ احمد فارس والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب وامثالهم من علماء الشام وغيرها . وكانوا هم واتباعهم قلّما يقدرون لغير اللغة العربية قدراً ولا لعلم غير علوم اهلها وادبائها مقاماً واذا قلت لهم ان زيداً اكتشف كذا وعمراً صنّف كذا من علماء عصرنا ازدروا قولك واجابوك على الفور

« ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم »

وكذلك الباقون من المتعلمين والمتأدبين بعلوم لغات اخرى وآدابها من يونانية ولاتينية وفقهية

ولاهوتية الخ . يرون ما يشبه رأيهم . ولم يكن للعلوم الحديثة وخصوصاً الطبيعية نصيب الاَّ في المدارس حيث ينحصر تعليمها في طلبة وفي جماعة شعارهم « كم ترك الاول للآخر »

ثم ان جمهور الخاصة والعامة كان معتاداً قراءة جرائد الاخبار والسياسة وبعض الجرائد الدينية والرسائل الادبية ولا يكاد يهمهُ غيرها

وزد على ذلك كلهِ ان الحكومة العثمانية لا ترخص بصدور جريدة في بلادها الاَّ بشق النفس والتوسل بأقوى الوسائط وأنفذها ولم يكن لنا سبيل حينئذٍ الى شيء من ذلك

***

فهذه العقبات حالت دون الوصول الى غايتنا مدةً . ولكنا كنا كلما سنحت فرصة ملائمة ولاحت بارقة امل يشتد الشوق بنا الى تحقيق رغبتنا وخصوصاً بعد ما كاشفنا اساتذتنا واصدقاءنا برغبتنا وشددوا عزائمنا ولذلك اعتمدنا في اواخر سنة ١٨٧٥ على ان نصدر في اول الامر جريدة شهرية قليلة الصفحات رخيصة قيمة الاشتراك ونعرضها على الجمهور على سبيل التجربة لمعرفة مقدار اقبالهِ عليها — أقول نصدر «جريدة» ولا اقول «مجلة» لان الكتَّاب لم يكونوا قد اصطلحوا على كلمة « مجلة » للتمييز بينها وبين الجريدة في ذلك الحين

وسمينا الجريدة المقتطف ثم استشرنا باستاذنا المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك للحصول على الرخصة من الحكومة لانهُ كان من اعظم المشددين لعزائمنا والمرغبين لنا في اصدارها لخدمة وطننا. فقد كان لهُ مَنٌّ على احد صاحبي كتاب آثار الادهار اخي المرحوم خليل افندي الخوري مدير معارف سورية حينئذٍ لكثرة ما كان يمدهُ بما يحتاج اليهِ من المعرفة والمشورة في تأليف كتابهِ فسعى لنا معهُ سعياً موفقاً وحصلنا على الرخصة بعد الانتظار شهوراً مع ان غيرنا لم يكن يحصل عليها الاَّ بعد الانتظار اعواماً في كثير من الاحيان وأصدرنا العدد الاول على سبيل المثال وحاولنا ان نرضي بهِ جمهور القائلين بفضل المتقدمين وجماعة المعترفين بعلم المتأخرين المتمثلين بقول الشاعر

وأني وان كنت الأخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائل

وضمناهُ مقالة في علماء الهيئة عند العرب كالخليفة المأمون وثابت بن قرة والبتاني والخوكندي والادريسي وذكرنا فيها طرفاً من علمهم ومكتشفاتهم وأردفناها بمقالة اخرى « في اللغة الحميرية والقلم المسند » ذكرنا فيها طرفاً مما اكتشفهُ الباحثون والمنقبون من الانكليز والفرنسويين من خرائب المدن الحميرية وآثارهم المكتوبة بالخط المسند بعد الذي ذكرهُ مؤرخو العرب من اخبار بلاد حمير وأسماء ملوكها ودونوهُ في كتبهم كحمزة الاصفهاني وأبي الفدا وابن خلدون والنويري والهمذاني . وصدَّرناهُ بالمقدمة التالية التي يستدل القارىء منها على بعض ما كانت الاحوال تقتضيه في تلك الايام

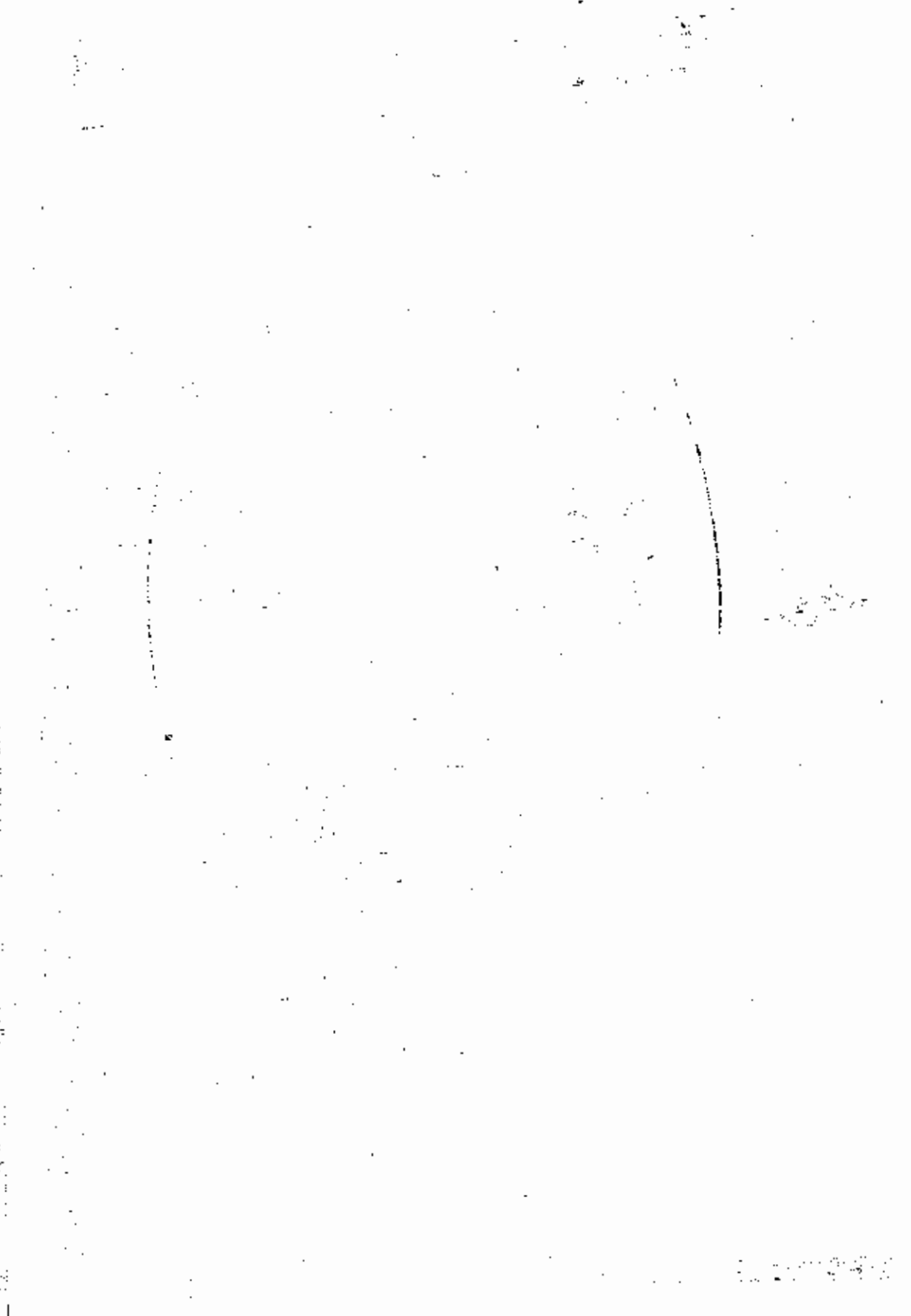

الدكتور يعقوب صروف فى كهولته
(١٨٥٢ — ١٩٢٧)

«لا ريب أن كل من يقف على هذا المثال يسرّهُ العمل الذي باشرناهُ خدمةً للوطن وإجابةً لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد ولم نستشر فيهِ أحداً من ذوي الرأي الصائب الاَّ حتا عليهِ وأبان لنا شدة احتياج الوطن إلى ما يتسنى بهِ الوصول إلى العلم والصناعة كهذا العمل وأمثاله . ولما رأينا مناسبة الاحوال لنا ووجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرتهُ على ما بنا من التصور مستعينين بهِ تعالى ونلنا الرخصة السامية فيهِ من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري الذي اشتهرت غيرتهُ على مصالح الوطن وقد أصبحنا مديونين لاساتيذ المدرسة الكلية السورية بالمساعدات التي وعدونا بها . ولنا الأمل الوطيد ان هذه الجريدة تقع عند الجمهور موقع القبول وترغّب الطلاَّب في إحراز العلم وإتقان الصناعة واحياء رميمها وترميم باليها لشدة افتقارنا اليها كليهما . على ان كثيرين يزعمون انَّا قد بلغنا من العلم غاية ما يحتاج اليهِ وان الاخرى بنا ان نقتصر على طلب الصناعة وذلك غير سديد . أمَا ترى ان الصناعة مؤسَّسة على العلم وانها انما تُتقَن بتهذيب العقل والذوق وان الصانع الحاذق هو العالم بأصول صناعتهِ وحقائقها وهذه لا تُعرَف جيداً الاَّ بدرس ما تأسَّست عليهِ من المبادىء العلمية . وكفانا برهاناً على ذلك ان الافرنج وغيرهم من الذين أتقنوا الصنائع يجتهدون في تعليم الافراد غاية الاجتهاد وبعضهم يوجبهُ شرعاً فالاحرى بنا ان نقصد العلوم من حيث تؤدّي الى الصناعة جادّين في تلك غير مهملين هذه ولا حاجة بعد الى الاطالة في ذلك فكل مَنْ وقف على مبادىء العلوم يرى لزوم معرفتها للصانع ولو اجمالاً

«ولعلَّ هذا المثال يدلُّ على طريقة بحثنا في المواضيع غير انها تكون في ما بعد اكثر استيفاء كما هو مذكور في محلهِ وربما كانت أسهل فهماً لانَّا سنقرّر المبادىء ثم نبني عليها وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليهِ لضيق المقام وسنسلك تارةً مسلك التعليم وأخرى مسلك الشرح وتوجز تارةً وتسهب أخرى حسب الاقتضاء . ولما كانت مواضيعنا لا تدخل في المباحث الدينية ولا السياسية الاَّ من باب العلم فكل ما يرد الينا خارجاً عن هذا الباب غير مقبول . وأمَا الكتابات الطبية والصناعية فندرجها تحت اسم منفتها واذا تيسَّر تفرد هذه الجريدة أفنا لها مكانين مخصوصين وكبَّرنا حجمها وقصَّرنا مدة صدورها وبالله التوفيق

« وقد رأينا على ما تعلَّمنا علماً واختباراً ان نذكر بعض ما يجب مراعاتهُ في درس المباحث الطبية والصناعية لتعمّ بهِ فائدة المطالعة على أقرب طريق وان كان ذلك اعادةً للعالم ففيهِ افادة للطالب

«اولاً — العلم يوصف باللذَّة ولكن لذَّتهُ لا يُشعَر بها الاَّ بعد ان يُذاق جيداً كما ان طعم الطعام لا يُعرَف الاَّ بعد ما يحلّلهُ اللعاب وتشعر بهِ الاعصاب فربَّ علم يسكر بهِ العالم لذَّة يجدهُ الخالي الذهن منهُ عديم اللذَّة . فاذا طالعت موضوعاً في عام من العلوم ولم يجد من القيمة

في نفسك ما يجدهُ في نفس غيرك فتعكف عليهِ فقلما تجدهُ قليل الاعتبار وكلما ازددت فيهِ تعمُّقاً ازددت لذَّةً وكما انهُ لا بدَّ دون الشهد من إبر النحل هكذا لا بدَّ دون العلم من الكد وتشغيل الدماغ لتروبض العقل

« ثانياً — اكثر ما يُدرَّج في المقتطف يقتضي انهُ امعان نظر فاذا قرأتهُ قراءة خفَّة لم تستفد منهُ شيئاً واذا أمعنت النظر في بعضهِ وأهملت البعض الآخر من موضوع واحد استفدت فائدةً ناقصةً وربما استفدتها فاسدة لتوقُّف صحتها على ما أهملت . فتروَّ في ما تقرأ ولا تنتهِ من جملة حتى تكون قد ادركتها جيداً وتمعَّن طويلاً فالقليل مع فهم خيرٌ من كثير بلا فهم . ولا تعتمد على الذاكرة فقط فان الحفظ غيباً بقطع النظر عن المعنى لا يفيد الاَّ نادراً والمعتمد على الذاكرة فقط اول مقصر في ميدان العقول وبيت الاحكام . واذا مللتَ من موضوع او كلَّ عضب الدماغ فاتركهُ ريثما تسترجع ثم عُد اليهِ وهكذا حتى يتضح لك فيسهل عليك حفظهُ حينئذٍ وقلما يخشى عليهِ من آفة النسيان وذلك وان تعسَّر اولاً يهون اخيراً

« ثالثاً — اذا استوعبت موضوعاً فأطل المذاكرة فيهِ ليرسخ في ذهنك قال الشاعر :

وأطل في العلم مذاكرةً فحياة العلم مذاكرته

« واجهد في ان تقرن العلم بالعمل فذلك من أفضل ما يثبت العلم في عقلك ويؤيِّد صحتهُ ويجني ثمرتهُ . وحيثما عُلِّم وعُمِل زادت الفائدة اضعافاً . وسيأتي عليك ذكر كثير من الآلات الجمَّة الاثمان على عظم فائدتها وشدة لزومها فلا تبخل على نفسك ووطنك بها وستقف على ذكر حوادث لا تحصى واقعة تحت الحسّ لا تكلِّفك الاَّ الملاحظة والتأمل أفما يجب ان تفضِّل ملاحظتها على الاحاديث الفارغة وقضاء الحياة سدًى . وقد وجدوا بالاستقراء ان العلوم الرياضية تقوِّي العقل وتدرِّبهُ على الاتجاه بكل قواهُ نحو امرٍ ما والانحصار في موضوع فلا يتشتت والعلوم الطبيعية توسِّعهُ : ترقيهِ وتلذُّ لهُ لسموِّها وطلاوة مباحثها والعلوم العقلية تعصمهُ مراعاتها عن ارتكاب الخطإ في فهم القضايا والعلوم اللغوية عن ارتكاب الخطإ في تأدية المراد الى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ولا ينقل عنها . هذا وانَّا مقرُّون بعجزنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل العذرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرَّد بالكمال »

***

وانتظرنا شهراً بلغ سرورنا فيهِ مبلغاً عظيماً لانا وجدنا ان مثالنا وقع موقع القبول عند الجمهور فأقبلوا عليهِ اقبالاً فاق انتظارنا فتوكلنا على الله في اصدار مجلتنا رحيبة المجال العدد

الاول وصدورهُ في شهر ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ وأخذ الله بيدنا فاستمرَّ صدورها الى ستها الستين فهي أقدم مجلة عربية حية حيث تُقرأ اللغة العربية في الاقطار الشرقية والغربية

وجعلنا دأبنا تحري الابحاث التي لا تخلو من طلاوة وفائدة لهواة القديم والحديث وللراغبين في الصناعة وتجربة ما يجدُّ منها وكذلك الشذرات واتبذ السهلة انهم تتخلل الابحاث العويصة حتى اذا ملَّ القارىء هذه ارتاح الى قراءة تلك وأقبل بعض اساتذتنا وأصدقائنا من طلاب العلم على مساعدتنا فنشرنا فصولاً للدكتور فانديك في تاريخ اطباء الشرق عموماً والعرب خصوصاً أعجبت محبي القديم كثيراً كما أعجبهم وأعجب محبي الحديث أيضاً النظام الشمسي والفرق بين علم المتقدمين به وعلم المتأخرين وكذلك مقالة عن القمر حوت مجمل علمنا به حتى اليوم من قديم وحديث . وأعجب الوالدات بما يكتبهُ اصدقاؤنا الاطباء عن الاعتناء بصحة الاطفال وما يكتبهُ السيدات المثقفات في تدبير المنزل الى غير ذلك مما لم يكن يطلع الجمهور عليهِ في الصحف الشائعة حينئذٍ الاَّ نادراً . وجعل القراء يسألوننا عما أشكل عليهم فهمهُ او ما يريدون علمهُ فأفرغنا جهدنا في اجابة طلبهم لعلمنا أن ذلك يزيد اجتذابهم الى قراءة مجلتنا مع علمنا انهُ يحملنا مشقة زائدة كما ثبت لنا بالاختبار ايضاً فكم من جواب على مسألة واحدة كان يستغرق وقتاً طويلاً ويضطرنا الى مراجعة كتب كثيرة ولكنا لم نستثقل ذلك لانهُ يزيدنا علماً ومعرفة كما يحب طلب السائلين . وقد أدَّى بنا ذلك على تمادي الايام الى الغوص على درر العلم والمعرفة في بحر مكتبة الكلية الواسعة . وأقول ولا أبالغ انهُ بعد مرور الاعوام لم يكد يفوتنا كتاب من كتبها العديدة التي تفهم نظائرها على اختلاف علومها وأبحاثها الاَّ اطلعنا عليهِ واغترفنا كثيراً او قليلاً مما فيهِ اجابةً لما يسألنا السائلون عنهُ

على ان سهر الايام والليالي على التنقيب في الكتب القديمة والحديثة واجهاد الدماغ في حل المسائل العويصة او تحرير المقالات الدقيقة كان أشهى الينا وأسهل علينا من مراجعة حسابات بعض المشتركين او مكاتبة الوكلاء لحثهم على زيادة المشتركين او تحصيل قيمة الاشتراك من المماطلين ونحو ذلك من اشغال المجلة المالية والمطبعية مما تعافهُ نفسنا ويمجهُ ذوقنا . فلذلك رأينا ان نتخلص مما لا ذوق لنا فيهِ ونتقطع الى ما تصبو نفسنا اليهِ فاتفقنا مع صديق الصبا اخي المرحوم شاهين بك مكاريوس الذي كان بارعاً بالامور المطبعية وادارة اشغال الجريدة المالية وعيناهُ مديراً لاشغال المقتطف ثم تحوَّلت العلاقة بيننا على توالي الايام واختلاف احوال الزمان والمكان الى شبه شركة عائلية اصحابها « صرُّوف ونمر ومكاريوس » اعضاؤها نحن الثلثة

قلت « اختلاف احوال الزمان والمكان » لأن مجلتنا وان كانت جعلت ديدنها تحاشي الابحاث الدينية والسياسية حذراً من مغباتها لم تسلم مع ذلك من محن خيف في اوائل نشأتها ان

تزعزع أساسها وتهدم بنيانها لو لم يتيض لها القدر ما ذاد عن حوضها ووطد اركانها — والذي يراجع سني المقتطف يجد فيها ذكراً واشارات الى كثير من هذه المحن ولكني اقتصر على ذكر ثلاث منها لضيق المقام — احداها في الشهر السادس من بدء صدور المقتطف وسببها جواب عن سؤال عن دوران الارض في مقالة حتمناها بقولنا « ولعل المطالع لا ينتقد علينا اذا قلنا ان الذين يعترضون على دوران الارض إما ان يعترضوا تعصباً زاعمين انهُ يخالف ما في الكتب المنزلة وهو وهمٌ محض او يعترضوا ابتغاء الشهرة كما فعل « كاسر مزراب العين » . وهو مثل عندعامة سورية يضرب لمن يبغي الشهرة بعمل ما يضر الناس . والاشارة فيه الى كاتب نشر « امالي فلكية » كثيرة الاغلاط العلمية . فهاج كلامنا هذا قطباً من اقطاب الطوائف المسيحية وهو نائب بطريرك الطائفة الارثوذكسية وكان من أبلغ خطبائها ومن اكبر علمائها المعدودين في زمانه ولهُ منزلة سامية لجلالة قدره ولكلامه نفوذ عظيم . فأرسل الينا مقالة حمل فيها على المقتطف حملة منكرة بحجة انهُ يعلّم الناس تعليماً مخالفاً لما في الكتب المنزلة بادعائه ان الارض تتحرك والشمس ثابتة . فندمت ندامة الكسعي على كتابتي تلك العبارة في ختام المقالة التي كنت انا كاتبها وخفت ان يقضي بسببها على المقتطف كما قضى على العلامة غليليو لقوله ان الشمس ثابتة والارض متحركة وحاولت ردَّ تلك الحملة بالحسنى فلم أفلح واضطررنا الى نشر المقالة في المقتطف لاصرار صاحبها على نشرها . وبينما نحن نحسب لتأثيرها حساباً كبيراً إذ نشرها أتانا الغوث من مصر القاهرة على غير انتظار . فقد كان المغفور لهُ رياض باشا وزيراً للمعارف المصرية حينئذٍ في عهد المغفور لهُ الخديوي اسمعيل باشا كما تقدم عليه الكلام فلما اطلع على المقتطف ارسل الينا يقول ان رأي ثبوت الارض الذي يراهُ حضرة المأمور البطريركي مغلوط وفاسدٌ ديناً وعلماً . وشفع ذلك برسالة مطبوعة بقلم انعام الكبير المرحوم عبد الله بك فكري وكيل نظارة المعارف حينئذٍ عنوانها « مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية » اثباتاً لموافقة علم الهيئة الحديث ودوران الارض لدين المسلمين فنشرنا منها شيئاً كثيراً وكان لها وقع عظيم عند الجمهور وبذلك خرج المقتطف من هذه المعمعة فائزاً وزاد القراء عليه اقبالاً

والمحنة الثانية سببها جواب المقتطف عن سؤال عن السحر بان السحر باطل غير صحيح وهو من شعوذات المشعوذين وخداع المخادعين . وكانت جريدة البشير وهي لسان حال الآباء اليسوعيين في بيروت تعقب المقتطف لتأخذه بجريرة كل عبارة يمكن ان تؤولها بما ينفر القارىء منهُ او يوغر صدرهُ عليه وذلك لاسباب يظهر انها زالت الآن والحمد لله فلا نحيها بالعودة الى ذكرها . فما قرأت جواباً على السحر حتى تناولت المقتطف باللوم والتعنيف وقامت تحذر القراء من قراءته بحجة انهُ مخالف للدين وخصوصاً دين المسلمين . ولكن أنبرى لها المرحوم

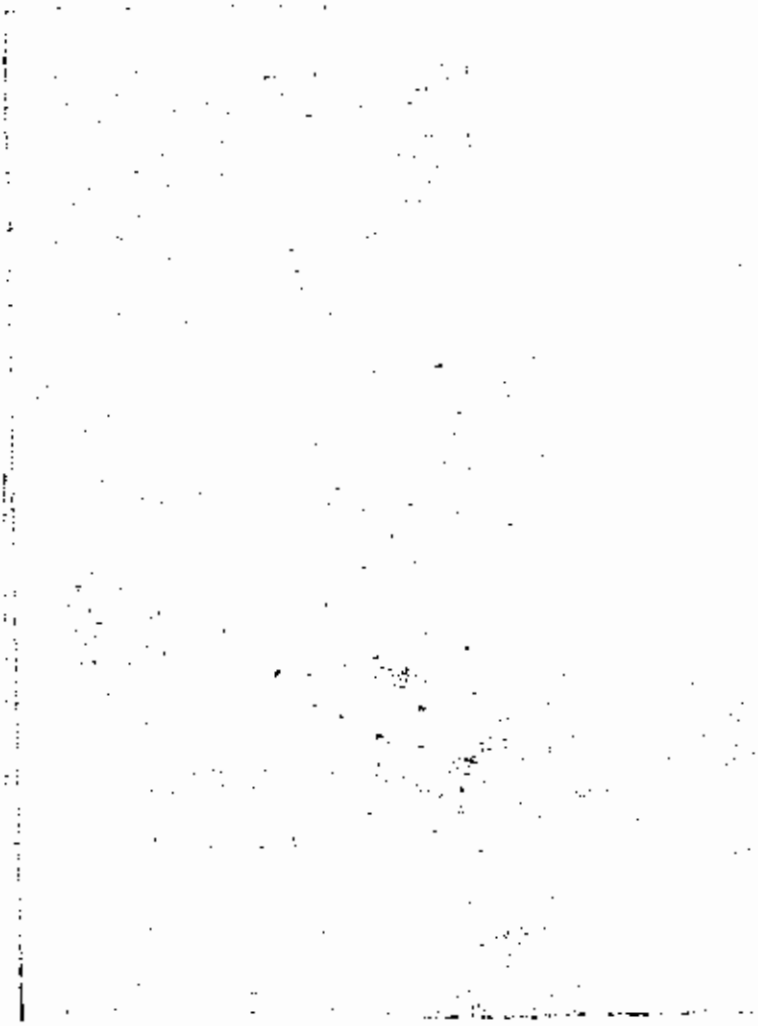

الامام الشيخ يوسف الاسير خطَّأها ودفع افتراءها على المقتطف وكانت النتيجة خروج المقتطف من هذه المحنة ايضاً فائزاً غانماً وزادت مكانتهُ في اعتبار القراء عموماً . وعلى توالي الايام زاد اقبال العلماء والكتَّاب على المقتطف واتسع انتشارهُ في الاقطار العربية جميعاً وكثرت علاقاتهُ بأهل العلم والادب والفضل بحيث لم يكد يفوتنا التعارف او التراسل مع كثيرين من مشاهيرهم المشارقة او المغاربة سواء كانوا في بلاد العرب او حيثما تقرأ اللغة العربية في ايران والهند الى اواسط آسيا . وازدادت المواد التي ترد على المقتطف في كل شهر حتى لم يعد فيهِ متسع لقسم عظيم منها وخصوصاً لما كثرت المناظرة بين العلماء الرياضيين في سورية ومصر وفي طليعة هؤلاء الاخيرين السريَّان المرحومان شنيق بك منصور وادريس بك راغب . فرأينا حينئذٍ ان الوقت قد حان لتكبير المقتطف انجازاً لوعدنا في بدء صدوره فزدنا عدد صفحاتهِ وجعلناها ٦٤ صفحة شهريًّا بدلاً من ٢٤ وذلك من أول سنتهِ السادسة . وانشأنا مع فريق من علماء سورية واطبائها المجمع العلمي الشرقي وجعلنا المقتطف لسان حالهِ لنشر محاضرات اعضائهِ ومقالاتهم فيهِ . واتسع الميدان لاقلام الباحثين والكتَّاب حتى عمَّ الابحاث التي كانت تهيج خواطر العالم في تلك الايام بانتشار آراء داروين ورفقائهِ العلماء في النشوء والارتقاء . وكثر الاخذ والعطاء حينئذٍ بين الكتَّاب والباحثين على صفحات المقتطف . وحدث لسوء الحظ في السنة الثامنة من سني المقتطف اضطراب في دوائر العلم التي نشأ وترعرع فيها ودارت الحوادث دورتها وامتدت ايدي الكائدين لهُ على غير ذنب ولا جريرة منهُ سوى انتشاره والاقبال عليهِ الى نصب الشراك لهُ مما نمسك الكلام عنهُ لانتقال الجميع الى رحمة ربهم غفر الله لنا ولهم . وكانت عاقبة هذه المحنة ان المقتطف زايل مهد العلم الذي ربي فيهِ وهجر بيروت الى الكنانة في سنتهِ التاسعة اي سنة ١٨٨٥ . وهو من ذلك الحين الى ان تمَّ الستين متفيء ظلال مصر راتع في نعيم وادي النيل يدعو للملكهِ وحكومتهِ بالعز والتأييد ولاهليهِ اهليهِ واخوانهِ اخوانهِ بالعيش الرغيد والمستقبل السعيد

بقي عليَّ ان اقول كلمة لجلاء موقفي من المقتطف بعد صدور المقطم . فبعد الهجرة الى مصر فتحنا مطبعة كاملة العدة لطبعهِ وطبع ما يأتينا من الخارج لستين بهِ على سدَّ نفقاتنا ونفقاتهِ . وكانت عواقب الحوادث العرابية قد اوقعت مصر في ازمة مالية ظلت تئن من عسرها اعواماً . فلم يرد على المطبعة مطبوعات بسد الربع منها الحاجة او تكفي لادارة المطبعة فآلمنا المرحوم شاهين بك مكاريوس الملاطف وكنا نحرر لها الفصول التاريخية والمواضيع السهلة الطلية رجاء ان تروج بين العامة وتساعد على ادارة المطبعة فلم يأتِ ذلك بالفائدة المرومة . ولذلك خطر لبعضنا ان نصدر جريدة اسبوعية تنشر الاخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية فعارضتُ في ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم وتخوفاً من عواقب الدخول في مآزق السياسة حتى اشتدَّت

الحاجة الى تدبير عمل كاف للمطبعة . وجعلنا نفكر إما في اصدار جريدة اسبوعية او الهاجرة الى الولايات المتحدة الاميركية كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة الى الديار المصرية . ولكن تغلَّب رأي شريكيَّ رحمهما الله على رأيي وأزمعنا اصدار جريدة اخبارية اسبوعية تكفي مع المقتطف لادارة حركة المطبعة وتثمير رأس المال الذي انفق عليها . وبينما نحن نستعد لذلك شاء القدر ان يتصدَّى لنا من استخفَّ بعزَّة نفسنا واستغرَّنا الى استبدال الجريدة الاسبوعية بجريدة يومية رغماً عنا . وسبحان من قسم الحظوظ فقد قسم لي أن أحمل أعباء هذه الجريدة اليومية وأفقد راحتي ولذتي وما تميل اليه فطرتي من الاشتغال بالعلم وتحرير المقتطف وجعله ان يكون دخل الجريدة اليومية معوناً لنا على إدامة المقتطف وانقطاع زميلي الى تحريره عن كل عمل سواه . ولا أتعرض هنا لذكر شيء مما لقيت من جراء الاشتغال بالسياسة وخوض معاركها على سبيل الاشتغال بالعلم في قول الصدق والانتصار للحق لا يثنيني عنهُ ارهاب بوعيد ولا وعود بمال ورتب ورياشين وما فاتني من المناصب التي كثيراً ما غادرتني اقضي الليالي وأنا اتقلب على فراش الهموم والغموم من تعاقب الاضطهاد تلو الاضطهاد بسبب الدسائس التي تحاك لنا في الظلام وان اكتم خبرها في اعماق صدري مخافة ان يدري بها شريكاي فيضطربا فلا يستطيع احدهما متابعة الدرس والمطالعة وتحرير المقتطف بما يقتضي لذلك من راحة البال وصفاء الذهن ولا يستطيع شريكي الآخر القيام بأشغال المطبعة والجريدة والمجلة بما يقتضي من الامن والاطمئنان . واذا قلقا قلقي واضطربا اضطرابي بارت الاشغال وساءت حال العمل والعمال ولذلك بلغ بي انني كنت اتلقى اخبار الحكم عليَّ بالاعدام من الناقمين عليَّ بسبب سياسة المقطم وانا صامت حتى ألفت الصبر على المكاره ولم أعد أعبأ بتلك الاحكام بعد ما تكررت عليَّ تلقائياً بالاعدام وهي لا تزال محفوظة بين اوراقي يقرأها من تقع اليه يدي ويترحم على مصدريها كما اترحم انا عليهم اليوم بعد ما بلغت من العمر عتيًّا ولم يبق احدٌ منهم حيًّا فبعضهم مات حتف انفه وبعضهم مات قتلة او باتفاذ حكم الاعدام فيه . وعما قليل ستجتمع امام الديان العادل جميعاً فلست بواجدٍ عليهم بل أسأل الغفران لي ولهم لأني كنت احسبهم ظالمين فأطعن في ظلمهم وكانوا يحسبونني جانياً مذنباً فيحكمون عليَّ حسب اعتقادهم . وما دمت في قيد الحياة فأرجو من فضل ربي ان يمنَّ عليَّ بالصحة طول ما بقي لي ، والتحرُّر من اغلال الاشغال التي لا ازال مكبلاً بها طوعاً لمقتضى الحال لاستأنف دروسي حيث تركتها واعود الى التحرير في المقتطف في اواخر عمري اجتناء للذة التي كنت اتمتع بها في اوائل امري

هذه بعض الخواطر والذكريات التي استخرجتها الذاكرة من دفائن ستين عاماً من اعوام التجربة والاختبار أوردتها عسى ان يجد فيها احداث هذا العصر شيئاً يساعدهم في مستقبل ايامهم واسأل الله الخير لي ولهم

فارس نمر

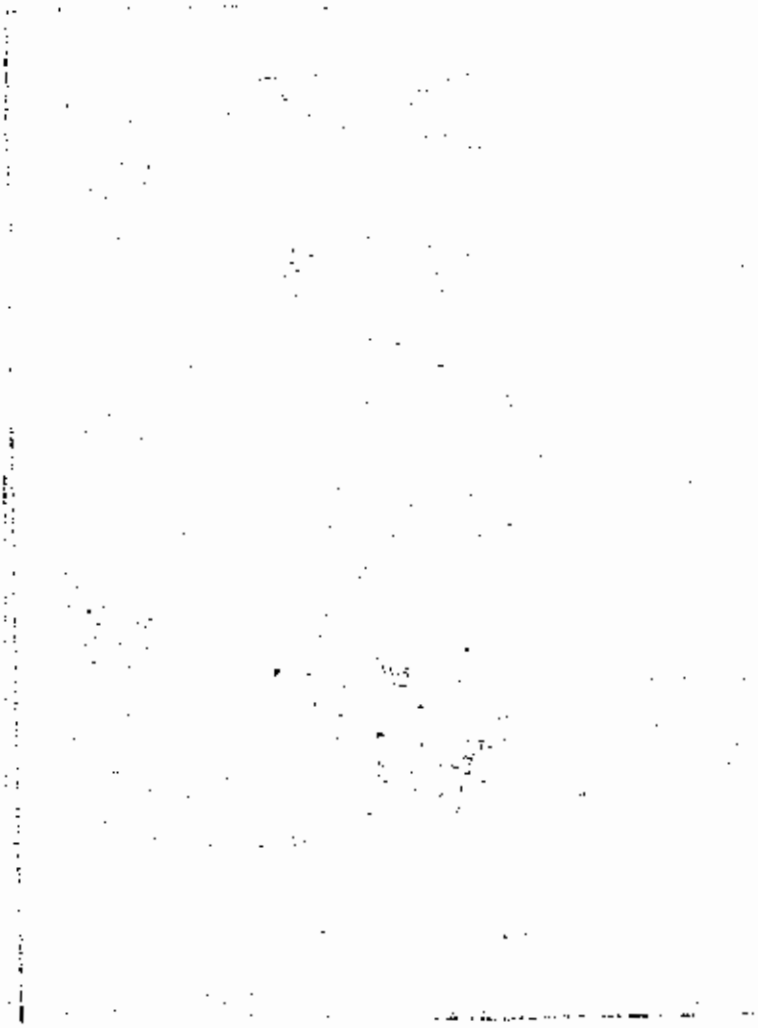

الدكتور فاضل عزاوي

كمر علي عاورة باشا

الامير مصطفى الشهابي

تحية وزير المعارف المصرية

معالي محمد علي علوبة باشا

ان مجلة المقتطف هي المجلة الشرقية الوحيدة التي رافقت الشرق في نهضته العلمية والثقافية والأدبية ، وارتقت مع ارتقائه ، وكان لها أثر عظيم في نشر العلوم والمعارف على طريقة علمية صحيحة سهلة المأخذ . وان القاء نظرة على ما وصلت اليه المجلة في الوقت الحاضر ، ومقابلتها بما كانت عليه في الزمن القديم ، تنبئنا بالفرق بين حالة الشرق العلمية في يوم انشائها وحالته في الوقت الحاضر

وانني ككل شرقي عربي اعترف بالفضل العظيم لهذه المجلة ، وما أسدته للعالم العربي من خدمات جمة . كما قامت بتضحيات في سبيل نشر هذه الثقافة التي جعلتها في متناول كل يد . فقد اختارت موضوعاتها من خلاصة الافكار العلمية ، وبسطتها احسن تبسيط ، وصار الشرقي يقرؤها ، وكأنه يقرأ أحسن مجلة غربية وشرقية في نوع العلوم والمعارف والادب . وان الثقة التي حازتها هذه المجلة في قلوب الشرقيين يندر ان تدانيها ثقة أخرى بفضل العناية التي يقوم بها قلم التحرير في دقة وتحرٍّ للصحة والسهولة . وان من الجحود ان تنكر ما لهذه المجلة من فضل على نهضة الشرق

وبمناسبة مرور ستين عاماً على تأسيس المقتطف أبعث له بالتهنئة بصفتي الشرقية والمصرية والعربية ، وبصفتي وزيراً للمعارف المصرية ، وأرجو لها دوام الارتقاء والنجاح

نجيب وزير المعارف السورية

معالي الامير مصطفى الشهابي

من بعض الأدلة على تأثير المقتطف في النهضة الفكرية في الشرق العربي تلك الحادثة التي أسردها على القارىء في الكلمات الآتية :

كنت قبيل الحرب الكبرى تلميذاً في مدرسة غرينيون الزراعية العليا في فرنسة وكان في جملة التلامذة نفرٌ من المصريين ومن الشاميين . ففي ذات يوم فوجئنا بزيارة الزعيم الشامي الكبير صديقنا الدكتور شهبندر فجعلنا نطوف به في مخابر المدرسة وحقولها وحدائقها ورياضها وسقائف آلاتها وحظائر حيواناتها . وكنا نسمي بعض الاشياء التي نُريه إياها باسماء فرنسية لاننا كنا نجهل ألفاظها العربية ، فكان الدكتور يلفت نظرنا برفق الى وجوب تحري ألفاظ عربية لتلك المسميات ، ومما قالهُ لنا ان في أبحاث المقتطف الزراعية جملة صالحة من المصطلحات العربية تفيد مراجعتها كل تلميذ زراعي وكل كاتب في العلوم الزراعية . فصرت منذ ذلك الحين أراجع الابحاث المذكورة في مجلدات المقتطف وأستخرج منها تلك المصطلحات حتى اجتمع لديَّ منها زبدة أغرتني بمتابعة هذه الدروس اللغوية فتابعتها الى ان وضعت منذ سنتين « معجم الألفاظ العربية للمعاني الزراعية »

***

هذا مثال صغير ذكرت فيه تأثير المقتطف في لغتي العلمية في مقتبل العمر . ولاشك أن من تأثروا بهذا العامل في انحاء البلاد العربية عدد كبير . والذين يتذوقون سلاسة اللغة العلمية في مجلدات المقتطف ويميزون غث هذه اللغة من سمينها يدركون ان

الدكتور يعقوب صرّوف رحمهُ الله كان ممن لا يشق لهم غبار في مضمار الانشاء العلمي وانهُ كان يُعدُّ في حياته اكبر كاتب عربي في الموضوعات العلمية ولذلك عددنا المقتطف مدرسة جيدة للانشاء العلمي وللمصطلحات العلمية

***

اما العلوم نفسها فللمقتطف مدرسة لها اي مدرسة ، وأما تقدم العلوم العصرية فللمقتطف فيه جولات طالما استفاد منها الذين ألمّوا بمجمل العلوم الحديثة وخطة المقتطف لا ترمي الى نشر الموضوعات العلمية المسهبة التي انما تكتب للأخصائيين ، بل خطتهُ بسط العلوم الحديثة مجملةً وتقريبها من مدارك المستنيرين من ابناء لغة الضاد. ولهذا رأينا للمقتطف تلامذة في انحاء البلاد العربية كافة ، ومن هؤلاء التلامذة كتاب وشعراء وصحافيون وتجار وزراع انكبوا على تلاوة المقتطف فكان لهم مدرسة غذّت عقولهم ووسعت مداركهم وهذبت اخلاقهم وصقلت اقلامهم فعدوا من عناصر الامة المتعلمين المتقفين . ومن هؤلاء ايضاً نفر انقطعوا عن المدارس لاسباب شتى وعكفوا على تلاوة المقتطف والتثقف بموضوعاته دون غيرها فكفتهم مؤونة الدراسة او بعضها

***

وربما ظنَّ بعضهم ان خريجي المدارس العليا لا يجدون في المقتطف مادة يستفيدون منها . والحقيقة ان هؤلاء ايضاً بل هؤلاء خاصةً هم في حاجة الى مقالات المقتطف لان موضوعات تلك المقالات كثيراً ما تختلف عن التي درسوها في المدرسة. فالمدرسة العليا تعلم تلميذها نوعاً واحداً من انواع العلوم في الاعم ، اما المقتطف ففيه انواع عديدة من العلوم والآداب والفلسفات المختلفة مما يحتاج اليه طالب الثقافة في جميع اطوار حياته . ولهذا السبب وجدنا خريجي المدارس العليا في طليعة قراء المقتطف

المقتطف والحركة الفكرية

للدكتور محمد حسين هيكل بك

سيداتي وسادتي — اقف هذا الموقف كصحفي . وأنا سعيد بذلك غاية السعادة . مغتبط به اكبر الغبطة . فللصحافة مهمة سامية تقوم بها . وهذه المهمة تزداد سموًّا كلما تجرَّدت من مطامع المادة لانها تصبح تضحية للحياة في سبيل خير الجماعة . واغتبطت بأن اقف هذا الموقف لان حياتي الصحفية التي تمتد في الحقيقة الى ماضٍ غير قريب كان لها اتصال بمجلة المقتطف التي تحتفل اليوم بعيدها الخمسيني . وكانت في هذا الاتصال تعبر عن بعض خواطر في شأن الحركة الفكرية . لهذا كان طبيعيًّا ان احدثكم في هذا الحفل عن اثر المقتطف في حركة الشرق الفكرية والاجتماعية وأن أقصر حديثي على الحركة الفكرية والاجتماعية

***

سيداتي وسادتي — ارجوكم ان تعودوا بصائر اذهانكم الى خمسين سنة مضت . الى ذلك اليوم الذي بدأت فيه مجلة المقتطف حياتها . وان تذكروا ما كان من حياة الفكر في الشرق سنة ١٨٧٥ . وما كان من حياة الفكر في الغرب سنة ١٨٧٥ . وما كان بين الغرب والشرق يومئذٍ من صلات سياسية وغير سياسية . وارجوكم ان تتقدموا مع السنين قليلاً قليلاً وان تروا غزو الغرب للشرق في مختلف ميادين الحياة . في العلم . والادب . والصناعة . والتجارة . وفي كل ميدان آخر وان تصوّروا لانفسكم ما وجب القيام به من الجهود لجعل الاتصال بين الغرب والشرق في ابتداء هذه الغزوات غير قاس . هنالك تقدّرون ما كان للذين جاهدوا في منع الاصطدام بين القوتين الانسانيتين من فضل . وهنالك تذكرون بالخير من كان لهم في نشر افكارهما وفي تهذيبها وفي صقلها وفي تجميعها ودفع الزائف منها . ثم هنالك ترون قدر المجهود الذي يبذله صاحبهُ في غير جبهة ولا ضوضاء حين يجلس الى مكتبه وحيداً محاطاً بالكتب والالوف من اكبر الرؤوس التي قامت على تفكيرها عمارة العالم وحضارته . يناجي اصحاب هذه الرؤوس ويتفاهم واياهم من طريق كتبهم . ثم يبرز آراءهم ورأيهُ في آرائهم لمعاصريه ممن يقرأون لغتهُ

في سنة ١٨٧٥ كانت امم الشرق الغربي ما تزال بعيدة بعض البعد عن غزو الحضارة الاوربية

اياها غزواً شاملاً . وكان الاتصال بين الشرق والغرب ما يزال مقتصراً على بعض الصلات السياسية والفردية . لكن عيون اوربا كانت يومئذ مفتوحة واسعة محدقة الى هذا الشرق العربي تريد ان تحقق فيه اغراضاً لها وغايات . وكانت مصر من بين امم الشرق العربي تهافت على الغرب تهافتاً ما نظن ساستها كانوا يقدرون مدى آثاره . ففي سنة ١٨٧٥ تقرر الشاه الحاكم المختلطة في مصر وفي سنة ١٨٧٥ اشترت انكلترا السهم قناة السويس من الخديو اسماعيل باشا وكذلك في سنة ١٨٧٥ كانت روسيا تتحرش بتركيا تحرشاً انتهى الى الحرب الروسية التركية . وكانت افريقا الشمالية كلها مطمح انظار فرنسا . وكان من شأن هذه الاتجاهات السياسية ان خلقت نوعاً من الصلة بين اوربا والشرق ظلّ ينمو ويتزايد وما زال ينمو ويتزايد الى وقتنا الحاضر

وفي سنة ١٨٧٥ كانت اوربا تموج بحركة فكرية قوية غاية القوة . فكانت النظريات العلمية والفلسفية القديمة قد اخذت تتهدم وتنهار امام الفلسفة الواقعية التي سكّن لها أوجست كونت في فرنسا وقام بنشرها جون ستورات ميل وهربرت سبنسر في انكلترا . وكانت نظريات لامارك وداروين وغيرهما ذات شأن يذكر عند كثير من اصحاب هذه الفلسفة الواقعية . وكانت هذه النظريات وما ترتب عليها من حركة في العلم شديدة وما كان من أثر هذه الحركة من نشاط في الاختراع ترد الى الشرق عن طريق بعض الغربيين الذين اقاموا فيه زماناً طويلاً ، وعن طريق بعض الشرقيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية ونشأت افكارهم نشأة غربية

كان محتوماً مع هذا الاتصال المتزايد بين الشرق والغرب ، ومع هذه الحركة العلمية والفكرية والادبية الشديدة في الغرب ، ان تقابلها في الشرق حركة علمية وفكرية وادبية جديدة ، ولما كانت تطورات كلٍّ من ناحيتي الانسانية قد اختلفت قبل ذلك جد الاختلاف عن تطورات الناحية الاخرى فقد كان الاصطدام محتوماً . لكنما كان يهوّن من هذا الاصطدام ان يقوم جماعة بالتقريب بين الافكار التي يظن لاول وهلة ان لا سبيل الى التقريب بينها ، وان ينشر جماعة من دقائق علم الشرق وتفكيراته ما ييسر الاعتقاد بامكان التفاهم او بامكان التنافس بينهُ وبين الغرب تفاهماً يقرب بينهما او تنافساً يسوي بينهما وهذا المجهود لا يقوم به فرد وحده بل هو في حاجة الى تعاون عدد كبير من الافراد وكلما كان تعاونهم وثيقاً كانت نتيجتهُ مؤكدة وامكن خلق الجو الصالح للاحتكاك الفكري الذي يكفل نبات هذه النتيجة والتعاون لا يتأتى الاّ اذا كان للمتعاونين مركز يلتفون عندهُ يصدرون عنهُ ويردون اليه

من اول المراكز التي التقت عندها القوى التي حاولت نشر الفكر في الشرق العربي مجلة المقتطف ، ويحسبك ان تطلع على الاعداد الاولى منها لتقتنع تمام الاقتناع ان الغاية التي توخاها صاحباها من ايجادها انما هي نشر احدث الافكار والمعلومات على اصولها ومصادرها . وربما

كانت الوسيلة لذلك في تلك الاعداد الاولى تعتمد على الفن والترجمة للمعلومات العلمية أكثر من اعتمادها على الانشاء والبحث . فكان للمقتطف في ذلك من العذر ان التفكير الغربي لم يكن معروفاً بوجه في مصر والشرق الا بين طبقة قليلة محصورة جداً ، فوسيلة نشره انما تكون بنقل المعلومات التي يعتمد عليها والتي أدت ملاحظتها وترتيبها الى هذه العلوم الغربية التي نرى اليوم كما ان هذه العلوم ذاتها لم تكن في اوربا كما هي اليوم فان نصف القرن الذي مضى كان مملوءاً بالنشاط العلمي الى حد كبير

وظل المقتطف كمجلة يتقدم كما تقدمت واياه السنون . فبدأت فيه حركة الانشاء والبحث بعد سنوات قليلة وازدادت الاقلام التي تحرره تنوعاً وكثر الكاتبون فيه . ولما كانت الحركة الفكرية قد بدأت تأخذ بكثير مما في الغرب من معارف فقد نهضت حركة فكرية شرقية تحيي القديم من الادب والتفكير العربي وتعمل لبيان ان العرب في الماضي لم يكونوا اقل من الغربيين اليوم شأناً وان أدبهم كان في كثير من الاحيان ارقى من الآداب الغربية . وكما كانت مجلة المقتطف هي الميدان الاول الذي التقى عنده الكتاب لنشر المعلومات والآراء والافكار الغربية كذلك كان احد الميادين لنهضة التفكير والادب العربي وان لم يختص بهذه اختصاصه بتلك . وانك لتقرأ فيه كثيراً من شعر العرب ومن الادب العربي كما تقرأ كثيراً من شعر المعاصرين ونثرهم

وظلت حركة معارضة التفكير والأدب الغربي الحديث بالتفكير والأدب العربي القديم زمناً . ثم نشأت فكرة تراها ماثلة على صفحات المقتطف ايضاً . هذه الفكرة هي كيفية التوفيق في نفس اهل الشرق الغربية بين ثمرات الحضارة الغربية القديمة وبين الحضارة الاوربية الحديثة . من هنا نشأ تفكير جديد يرجع الى اوائل او آخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ومن هنا بدأت الفكرة الاجتماعية الحديثة تشغل اذهان الكثيرين . فحدثت حركة المرحوم قاسم امين عن تحرير المرأة ، وقام الاستاذ الشيخ محمد عبده للتوفيق بين نظريات العلم وقواعد الدين . وتناولت الصحف هذه وما اليها من المباحث الاجتماعية والفلسفية بالبحث والتمحيص . وكان للمقتطف في هذا الميدان حظ كبير . فكانت الرسائل والمباحث التي لا تتسع لها الصحف اليومية تنشر فيه . وهذه الرسائل ممتعة عادة لانها تجمع بين التفصيل والايجاز . وكمجلة حرة كان المقتطف ينشر على صفحاته الآراء المختلفة المتضاربة بأمل الوصول الى الحقيقة من طريق البحث . وفي ذلك الجهاد تقضي خمسين سنة نحتفي اليوم بها . ولعل هذا الجهاد العلمي والفكري هو خير ما يفخر به أصحاب المقتطف من أعمال حياتهم . ولعل الدكتور صروف الذي اقتطع للمقتطف منذ سنوات كثيرة يقضي نهاره وايامه عملاً للعلم ونشره وللمعارف واذاعتها — يشعر وهو في سنه ومكانته بما اداه من خدمة للفكر والاجتماع في الشرق العربي بمجلته ...

فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى

احمد لطفى السيد باشا

محمد المختار بك

أمين سامى باشا

تطور التعليم في مصر

في خلال الستين عاماً الاخيرة

طلعت بك الشماوى

وكيل وزارة المعارف

تطوَّرت الحياة المصرية في كل نواحيها لا سيما الناحية التعليمية تطوراً خطيراً خلال الستين عاماً الاخيرة ولا يستدل على هذا التطور بالارقام القاطعة للبيان وحدها وانما يلحظ في التقدم الفكري وارتفاع مستوى الحياة العامة في البلاد لا سيما في العهد الاخير عهد جلالة الملك — الذي شمل بعطفه ورعايته جهود البلاد عامة والتعليمية والفكرية منها خاصة

١ — التعليم الاولى

ولعلَّ اهم ما يلحظ في هذه النهضة التعليمية انتقال التعليم من الخاصة الى العامة ومن العواصم الى القرى السحيقة في انحاء البلاد حتى لقد بلغ عدد المكاتب في انحاء القطر ٤٧٠٠ مكتب سنة ١٨٧٥ . غير ان هذا النوع من التعليم كان ينقصهُ التنظيم والتوجيه ومن ثم انشىء بديوان المدارس ادارة خاصة للمكاتب الاهلية وعين المرحوم عبد الله فكري بك وكيلاً لهذه الادارة في مارس سنة ١٨٧١ . ولكن تنظيم التعليم القروي لم يتخذ مع هذا وجهة مقررة الاَّ حينما شكلت لجنة عامة لبحث نظام التعليم بأكمله في مصر سنة ١٨٨٠ فوضعت خطة لتنظيم التعليم الابتدائي والقروي تنظيماً شاملاً

بيد ان التقلقل المالي والسياسي الذي اصاب البلاد في ذلك الحين لم يسمح بتنفيذ هذه الخطة الكاملة بدليل انه الى سنة ١٩١٢ لم ينشأ اكثر من ١٣٢ مدرسة اولية منها ٨٩ مدرسة سلمتها وزارة الاوقاف الى المعارف لادارتها مقابل اعانة سنوية تبلغ ٤٠٠٠ جنيه ولا يمكن ان يقال ان التعليم الاولي بهض نهضته الحاضرة الاَّ بعد صدور قرار اللجنة المشكلة لنشر التعليم الاولي سنة ١٩١٩ فمن ذلك الحين افتتحت المدارس الاولية تدريجاً في انحاء القطر حتى بلغت في الوقت الحاضر ما لا يقل عن ٤٤٨١ مدرسة يتعلم فيها حوالي ٧٧٨-٨٥ طفلاً مبادىء الدين والقرآن والكتابة والقراءة والحساب والرسم ومشاهد الطبيعة والصحة والجغرافيا .

وتمشياً لهذه الحركة صدر في ١٩ يونيه سنة ١٩٣٣ قانون لتنظيم التعليم الاولي فجعلت مدة الدراسة خمس سنوات من السابعة الى الثانية عشرة وقسم اليوم المدرسي الى قسمين للبنين والبنات مع تبسيط منهج الدراسة وتعديله تعديلاً يسمح للطفل بالاتصال ببيئته الزراعية او الصناعية . وكذلك نظمت العلاقة بين وزارة المعارف ومجالس المديريات في ادارة هذه المدارس بمقتضى القانون رقم ٢٤ الصادر في سنة ١٩٣٤ . ولكي تعطى لفريق التلاميذ الممتازين في هذه المدارس فرصة التزود بضبط اعلى من التعليم التفت الى جانب المدارس الاولية عدد من المدارس الاولية الراقية للبنين والبنات فضلاً عن المدارس الزراعية والصناعية الاولية . وأعد للتدريس في هذه المدارس جميعاً فريق من المدرسين والمدرسات الذين اتموا دراستهم في معاهد خاصة لهذا الغرض وهي مدارس المعلمين والمعلمات المنتشرة في انحاء القطر

٢ — التعليم الابتدائي

ليس هذا النوع من التعليم حديثاً في مصر بل يرجع عهده الى عصر محمد علي الذي أنشأ حوالي ٥٠ مدرسة ابتدائية في انحاء القطر لسد حاجة البلاد عامة . ولما تولى الخديو اسماعيل باشا الحكم في مصر أعاد فتح اكثر المدارس التي اغلقت في عهد عباس وسعيد واطردت الزيادة في عدد هذه المدارس الاميرية حتى بلغت سنة ١٨٨٢ نحو ٢٧ مدرسة وفي سنة ١٩٢١ — ٣٤ مدرسة وفي الوقت الحاضر ٥٧ مدرسة اميرية . وبينما كان عدد التلاميذ في هذه المدارس في سنة ١٨٨٩ نحو ٢٨٢٢ تلميذاً ارتفع العدد في سنة ١٩٢١ الى ١١٣٨٢ وفي الوقت الحاضر الى ١٥٤٢٠ هذا عدا مدارس البنات الاميرية التي تبلغ في الوقت الحاضر ١٩ مدرسة بها ٢٦٠٤ تلميذات

وقد كانت مدة الدراسة في هذه المدارس دائماً اربع سنوات وكان مقرر التعليم في بادىء الامر يشمل الدين واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة والرسم والصحة والترجمة واللغة الاوربية ودروس الاشياء والخطوط . وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الاجنبية السائدة في هذه المدارس الى ان حلت محلها اللغة الانجليزية تدريجاً حتى التيت الاقسام الفرنسية سنة ١٩٠٣ اما باقي مواد التعليم فكانت تدرس باللغة العربية الى ان قرر علي باشا مبارك سنة ١٨٨٧ تدريسها باللغة الانجليزية وبقيت هذه اللغة وسيلة التعليم الى ان تقرر اعادة اللغة العربية سنة ١٩١٦ ثم تناول الاصلاح مواد الدراسة سنة ١٩٢٥ فأدخل الكثير من المواد الحديثة التي تعاون على تثقيف الطلاب وتهذيبهم كالاشغال اليدوية ومبادىء العلوم الخ . وتبع هذا النظام في مدارس البنين والبنات على السواء اذا استثنينا ان البنات يدرسن اشغال الابرة وبعض المواد النسوية

ويسير على هذا النظام عدد وافر من المدارس غير الاميرية وتبلغ ٧٣ مدرسة تابعة لمجالس

المديريات وبها نحو ١١١٢٠ تلميذاً و١٢ مدرسة للبنات وبها ٢٤٣٧ تلميذة فضلاً عن المدارس الحرة التي خضعت جميعاً لرقابة وزارة المعارف بمقتضى قانون التعليم الحر الذي صدر عام ١٩٣٤ لتنظيم العمل والدراسة في هذه المدارس . وقد بلغت بعد التصفية الاخيرة ٢٩٠ مدرسة ابتدائية للبنين و١٣٠ مدرسة للبنات وبها حوالي ٢١٠٠٠ تلميذ وتلميذة

ويتقدم تلاميذ المدارس الابتدائية وتلميذاتها في الوقت الحاضر في سنتهم النهائية لامتحان اتمام الدراسة الابتدائية الذي حل منذ سنة ١٩١٦ محل امتحان شهادة الدراسة الابتدائية . وكان هذا الامتحان قد تقرر منذ سنة ١٨٩١ ليؤهل الطلاب لدخول المدارس التجهيزية والتوظف في الوظائف الصغرى بدوائر الحكومة في حين ان الامتحان الحالي تقتصر اهميتهُ على الانتظام في التعليم الثانوي

ولعلّ تقدم المدارس الابتدائية في الوقت الحاضر يرجع الى اعداد الاطفال للدخول في هذه المدارس بانشاء ما سمي « برياض الاطفال » وهي مدارس تقبل الاطفال من سن الخامسة الى الثامنة وتعنى اكبر العناية بتنمية قوة الملاحظة وحب الاستطلاع وتعرف خبايا العالم المجهول للناشئين والاعتماد في التعليم خاصة على الالعاب والموسيقى والاشغال ويتولى التدريس فيها مدرسات لهن مؤهلات خاصة وبالقطر الآن ٢١ مدرسة من هذا النوع بها نحو ٢٠٠٠ طفل هذا فضلاً عن ١١ مدرسة تديرها مجالس المديريات وبها نحو ١٠٠٠ طفل

٣ — التعليم الثانوي

كان التعليم الثانوي في عهد محمد علي الكبير مقتصراً على المدرسة التجهيزية بابي زعبل ثم نقلت هذه المدرسة في عهد الخديوي اسماعيل الى درب الجماميز وسميت باسم المدرسة التجهيزية ثم المدرسة الخديوية وانشئت مدرسة اخرى بالاسكندرية وهي مدرسة رأس التين الحالية ثم ازداد عدد المدارس تدريجاً حتى بلغت ٦ مدارس ثانوية اميرية سنة ١٩١٧ يتعلم بها نحو ٢٤٤٢ تلميذاً واطردت الزيادة حتى بلغ عدد المدارس الاميرية في الوقت الحاضر ٢٧ مدرسة ثانوية بها نحو ١٤٦٤٦ تلميذاً و٦ مدارس ثانوية للبنات وبها نحو ١٣٠٩ تلميذات هذا عدا المدارس الحرة التي بلغ عددها في سنة ١٩١٧—٣٦ مدرسة ثانوية للبنين بها نحو ٤٥٧٠ تلميذاً ثم اخذت في الزيادة تبعاً لحاجة الاهلين واقبالهم على هذا النوع من التعليم حتى اصبحت الآن ٨٥ مدرسة للبنين و١٢ مدرسة للبنات يبلغ عدد تلاميذها وتلميذاتها نحو ١٢٠٠٠ تلميذ وتلميذة

وكانت مدة الدراسة الى سنة ١٨٩٢ خمس سنوات وتشمل اكثر مواد الثقافة العامة المعروفة في المرحلة الاولى للتعليم الثانوي في الوقت الحاضر . وفي سنة ١٩٠٩ قصر التعليم الثانوي على اربع

سنوات منها سنتان لمواد الثقافة العامة والسنتان التاليتان للتعمق في المواد العلمية او الادبية مع حذف بعض المواد الرئيسية كالتاريخ الطبيعي . وجعلت اللغة الانجليزية مادة اساسية والفرنسية لغة اضافية ابتداء من السنة الثالثة وتدريس اكثر المواد باللغة الانجليزية طبقاً للسياسة التي وضعتها الوزارة منذ سنة ١٨٨٧

غير ان خطة الاصلاح التي بدأت منذ سنة ١٩١٦ ادت الى اعادة التعليم باللغة العربية في هذه المدارس تدريجاً. وفي سنة ١٩٢٥ اعيدت مدة الدراسة الى خمس سنوات كما اعيدت مواد الثقافة التي حرمت منها المدارس عهداً طويلاً وهي مواد التاريخ الطبيعي والتربية الوطنية وعلم النفس فضلاً عن تعديل خطة الدراسة ومناهجها تعديلاً يطابق روح العصر . وفي العام الماضي عدل نظام التعليم الثانوي تعديلاً جوهرياً في اكثر من موضع واحد — خطط الدراسة ومناهجها وامتحاناتها وانظمتها قصداً الى تحرير المدرسين والتلاميذ من ربقة الكتب والامتحانات والاتجاه الى تكوين الاذهان وتربية الاخلاق والاجسام تربية مثمرة . كذلك عُدِّل التعليم الثانوي للبنات تعديلاً يطابق روح العصر والاختبار فالى العام الماضي كانت التلميذات يدرسن المواد المقررة للتلاميذ مع تعديلات طفيفة تتعلق بتدريس المواد النسوية لمن يرغب من الطالبات. ولهذا وضع منهج خاص لمدارس البنات الثانوية تدرس التلميذات بمقتضاه مواد الثقافة العامة في خمس سنوات بدلاً من اربع وان يعنى في هذه المرحلة بمواد الثقافة النسوية عناية تامة . وفي السنة التوجيهية وهي السنة الاخيرة للدراسة الثانوية تتجه التلميذات الى التعليم الموصل للتعليم العالي او ينصرفن الى اتمام مواد الثقافة النسوية

٤ — التعليم العالي والجامعي

افتتحت اكثر مدارس التعليم العالي في مصر في النصف الاول من القرن الماضي ثم اصابها الضعف والانحلال تبعاً لحالة الضعف السياسي التي اصابت البلاد في منتصف القرن ، ولم تستقر حياتها الجديدة الاَّ منذ عهد الخديو اسماعيل الذي استأنف تقاليد جده الكبير فأعاد منذ سنة ١٨٦٧ فتح مدارس الطب والطب البيطري والهندسة والزراعة وأضاف اليها مدرسة الحقوق . وكانت هذه المدارس جميعاً تستمد طلابها غالباً من المدارس التجهيزية ، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات ، وكانت لغة التعليم السائدة هي اللغة الفرنسية ثم اعقبتها اللغة الانجليزية تدريجاً حتى الغيت الاقسام الفرنسية . ومنذ سنة ١٩١٦ جعلت الدراسة في كافة المدارس العليا اربع سنوات بدلاً من ثلاث واخذت اللغة العربية تتخذ مكانها في التدريس واطردت العناية بالمعامل والمكاتب واساليب التدريس والبحث كما عنى بارسال البعثات العلمية العديدة لتزويد هذه المدارس بطائفة صالحة من الاساتذة الممتازين

على ان التعليم العالي في مصر لا يقتصر على المدارس المتقدمة بل يشمل معهدين آخرين لها ميزة خاصة في انهما كانا عماد التعليم الثانوي وبالتالي التعليم العالي وهما دار العلوم ومدرسة المعلمين العليا . وقد انشىء المعهد الاول عام ١٨٧٢ لتخريج طائفة من المعلمين الصالحين لتدريس اللغة العربية ثم تدعّم الاساس الذي أقيم عليه هذا المعهد بانشاء مدرسة تجهيزية خاصة لاعداد الطلاب للقبول في القسم العالي في سنة ١٩٢٠ ثم الغيت هذه المدرسة اخيراً اكتفاء بخريجي الاقسام الثانوية في الجامعة الازهرية . اما اعداد المدرسين اللازمين للمواد الاخرى فقد عهد الى مدرسة الفورمال التي انشئت سنة ١٨٨٠ وكان التعليم فيها بالفرنسية شأن باقي المدارس العليا الاخرى ثم نقلت الى قصر الزهة سنة ١٨٨٨ وسميت باسم المعلمين التوفيقية ثم الى الحديوية وسميت بالمعلمين الحديوية فالمعلمين السلطانية ثم اخيراً المعلمين العليا وبقيت تؤدي للتعليم والبلاد الخدمات الى ان انشىء معهد التربية الحالي للبنين

كذلك انشىء قسم خاص بالمدرسة السنية عام ١٩٠٠ لتخريج معلمات المدارس الابتدائية ومدارس المعلمات وقد ارتفع مستوى الدخول فيها تدريجاً تبعاً لارتفاع مستوى التعليم العام فمن شهادة ابتدائية الى امتحان دخول الى اشتراط الشهادة الثانوية وجعلت مدة الدراسة ثلاث سنوات ثم ارتفعت الى اربع وبقي هذا المعهد قائماً الى ان حل محلها معهد التربية الحالي للبنات

ومنذ سنة ١٩٢٥ سار التعليم العالي خطوات سريعة . ففي ذلك العام انشئت الجامعة لتساعد بين التعليم العالي والمصالح المادية الضيقة وتوجد جواً جديداً من الثقافة والبحث العلمي في البلاد وقد شملت الجامعة بادىء الامر كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب ثم اتسعت دائرتها منذ العام الماضي حتى شملت اكثر المدارس العالية الاخرى : الهندسة والزراعة والتجارة حتى يتضامن التعليم العالي بأكمله في تحقيق الاغراض المنشودة في جو من الحرية والاستقلال . وقد بلغ عدد طلاب الجامعة في العام الماضي ٦٥٣٥ طالباً بينهم ٢٠٧ طالبات وهي ظاهرة جديدة في اتجاه التعليم في مصر تستحق الرعاية والالتفات

٥ — التعليم المتوسط

لعل أهم مظاهر الاصلاح الحديث في التعليم انشاء حلقة جديدة متوسطة بين التعليمين الابتدائي والثانوي وهي حلقة يقصد بها تخفيف الضغط على التعليم الثانوي والعالي من جهة وسد حاجة البلاد من طبقة متوسطة من المتعلمين من جهة أخرى ولهذا الغرض انشىء في سنة ١٩٠٧ ادارة خاصة بهذا النوع من التعليم وفي كنفها تقدم التعليم الصناعي والزراعي والتجاري ولا تزال هذه الادارة تحت اسم آخر توالي عنايتها بهذه المدارس

فبينما كان عدد المدارس الصناعية في سنة ١٩١٠ لا يزيد عن خمس مدارس اذا به يرتفع

سنة ١٩١٧ الى ١٨ مدرسة وفي سنة ١٩٣٥ الى ٢٨ مدرسة بها ما لا يقل عن ١١٧٧٨ تلميذاً يزاولون مختلف الصناعات التي تلائم حاجة البلاد . فالى جانب اقسام الصناعات القديمة انشئت في السنوات الاخيرة أقسام خاصة بالكهرباء والتلغراف اللاسلكي وهندسة السيارات والهندسة الصحية واشغال الزخرفة وحقل الجرابيت وبناء المراكب والهندسة البحرية وصناعة الزجاج الخ

ولكي يمكن تشجيع خريجي هذه المدارس للعمل في الصناعات التي تخصصوا فيها اعتمدت الحكومة مبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه لمساعدة هؤلاء الخريجين في مواصلة العمل في صناعاتهم فضلاً عن انشاء عدة مصانع حكومية للجلود وتصليح الساعات لافساح مجال العمل لطلاب هذه المدارس . ولا شك أن انشاء وزارة خاصة بالصناعة والتجارة في العام الماضي سيعاون كثيراً على تقدم هذه المدارس ونجاحها

كذلك انشئت مدارس خاصة بالتعليم الزراعي المتوسط والغرض منها تخريج مزارعين قادرين على مباشرة مزارعهم الخاصة أو العمل في مزارع الآخرين ويبلغ عدد هذه المدارس أربعاً : ثلاثاً في الوجه البحري ومدرسة في الوجه القبلي تضم عدداً من التلاميذ لا يقل عن ١٥٠٤ طالباً في حين أن عدد الطلاب لم يرتفع في سنة ١٩١٧ عن ٢٠٠ طالب

اما التعليم التجاري فقد اتسع تدريجاً بنسبة المدارس الاخرى . ففي سنة ١٩١٧ كان التعليم التجاري المتوسط مقتصراً على مدرسة واحدة في القاهرة بها ٢٢٩ طالباً ثم ازداد عددها الآن الى خمس مدارس بها ٢٠٠٠ طالب والغرض من هذه المدارس هو تدريب طبقة من الشبان على الاعمال الكتابية والحسابية في المحال التجارية والمصارف او في المزارع والمصالح الحكومية . ويتصل بهذا النوع من المدارس الاقسام الليلية التجارية التي انشئت لتزويد الشبان والشابات على السواء بالفرصة الملائمة لتوسيع معلوماتهم وتنمية مداركهم وكسب قوتهم في الاعمال التجارية والحسابية

٦ — الفنون الجميلة

كان من الطبيعي ان تمشي مع نهضة البلاد العلمية والادبية نهضة فنية . فأنشئت مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩١٧ ثم تأسست مدرسة الفنون الجميلة العليا سنة ١٩٢٥ واستصدر مرسوم بتأليف لجنة استشارية للفنون لزيادة العناية بها وللرجوع لرأي الفنيين فيها . وتحقيقاً للأمنية التي طالما انتظرتها مصر الحديثة وهي النهوض بالموسيقى العربية الشيء معهد الموسيقى العربية وانشئت به مدرسة للموسيقى تعينها وزارة المعارف مالياً وتشرف عليها فنياً وإدارياً . كما عني بجعل الموسيقى جزءاً هاماً من ثقافة الشعب وعلماً يدرس بالمدارس المصرية إلى جانب العلوم الاخرى فأدخل التعليم الموسيقي في رياض الاطفال والمدارس الاولية الالزامية والمدارس الابتدائية . وفي

العزم السير تدريجيًّا في تعميم مادة الموسيقى في مختلف درجات التعليم ونواحيه كلما توافر عدد من يمكن ان يسند اليهم تدريس الموسيقى من خريجي البعثات الموسيقية المصرية وخريجي المعهد الملكي للموسيقى العربية

واتجهت العناية أيضاً إلى الفنون الاخرى فأقامت الحكومة المصرية أكاديمية الفنون الجميلة بروما حيث يجد الطلبة المصريون الموفدون للتخصص في الفنون الجميلة مكاناً صالحاً للعمل والاسترشاد الفني . كما انشىء متحف للفن الحديث جمعت فيه طائفة من الآثار الفنية القيمة لكبار الفنيين في العصر الحديث من مصريين واوربيين ومصنع لصب القوالب بقصد إخراج نماذج للقطع الاثرية والفنية وتيسير اقتنائها . هذا فضلاً عن إيفاد البعوث للنحت والتصوير والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة الى المعاهد الفنية الكبرى في ايطاليا وفرنسا وإقامة معارض للفنون الجميلة والاشراف على تنظيم المعارض التي تقيمها الجمعيات والافراد وتشجيعها بالاعانات وبشراء كثير من معروضاتها

كما وجهت العناية الى المسرح العربي فزوّد بالمال أولاً ثم انشئت فرقة قومية خاصة لرفع شأنه ولتشجيع الترجمة والتأليف للمسرح واستقدمت فرق اجنبية ممتازة في كل عام لاحياء موسم تمثيلي غنائي في دار الاوبرا الملكية بقصد اذاعة الثقافة المسرحية الاوروبية

٧ — دار الكتب المصرية

انشئت في عهد المغفور له الخديو اسماعيل واتسعت أعمالها تدريجاً اتساعاً يتم على مبلغ النهضة الفكرية في البلاد واتجاه الذوق العام الى الاستزادة من الثقافة والاطلاع والاحصاء التالي يبين وجه المقابلة

	سنة ١٩١٧	سنة ١٩٣٣
جملة الرصيد	٨٨٢١٥	٢٣٨١٧٧
الكتب الواردة في السنة	١٩٥٢	٩٩٣٣
عدد المترددين على قاعة المطالعة		٩٢١٦٦
عدد زائري المعرض	٧٤٥٤	١٧١٨٥
المطلعون على خرائط المساحة		١٤٥٩
عدد المستعيرين في الخارج	٦٠٦	٦١٦٢
عدد المجلدات المعارة بقاعة المطالعة	٧١٨٦٩	٢١٢٣٣٣
عدد المجلدات المعارة بالخارج	١١٢٩٧	٣٧٥٢٧
عدد المجلدات المطبوعة للبيع	٢٥	١٣٠

ويضاف إلى هذا كله مكتبات خاصة أهديت الى المكتبة العامة مثل مكتبة المرحوم طلعت بك وتشمل ٣٠٠٠٠ مجلد ومكتبة المرحوم تيمور باشا وبها ٢٠٠٠٠ مجلد ومكتبة المرحوم حليم باشا وبها ٢٥٠٠ مجلد ومكتبة قوله وبها ٣٠٠٠ مجلد ومكتبة خليل اغا ومكتبة الفلكي وتحوي كل منها الف مجلد

والى جانب دار الكتب انشئت حديثاً مكتبة الجامعة المصرية وهي ذات شأن كبير اذ يبلغ عدد مجلداتها نحو ١٥٠٠٠٠ مجلد وعني جلالة الملك عناية كبرى بتزويدها بآلاف المجلدات من الكتب القيمة فكان لجلالته الفضل الاكبر في تأسيسها كما كان لهُ الفضل الاسبق في تكوينها اول نشأتها عند ما كان أميراً يحوط الجامعة الوليدة برعايته ويوقف عليها جهوده ووقته. فأهدى اليها جلالته مكتبة الامير ابراهيم حلمي التي آلت الى جلالته بطريق الميراث وهي تشمل نحو ٢٠٠٠٠ مجلد. كما اهديت اليه في عهد جلالته وبرعايته مكتبات قيمة اخرى كمكتبة سمو الامير كمال الدين حسين التي تحوي ٧٢٠٠ مجلد ومكتبة طلعت بك وبها ١٥٠٠٠ مجلد. هذا فضلاً عما اضيف اليها بطريقة الشراء كمكتبة سيبولد وتشمل ١٠٠٠٠ مجلد

٨ — الرياضة البدنية

كان من أثر العناية في تعليم النشء تعليماً يتفق وأساليب التربية الحديثة ان جعل التعليم البدني والالعاب الرياضية اجبارياً في جميع المدارس ووضعت لذلك المناهج المناسبة لسن التلاميذ وادخلت أوقات دراستها في برنامج الدراسة اليومي اسوة بالمواد الاخرى حتى أصبح التعليم البدني متغلغلاً في جميع مدارس القطر المختلفة للبنين والبنات

وكذلك وجهت عناية كبرى الى حركة الكشافة والمرشدات. وتفضل جلالة الملك فأذن بتنصيب ولي عهده المحبوب حضرة صاحب السمو أمير الصعيد كشافاً أعظم يوم ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٣ في حفل رياضي كبير كما كان لهُ أكبر الأثر في تنشيط هذه الحركة حتى اصبح في القطر المصري الآن ما يقرب من ٢٢٥ فرقة بها نحو ٦٥٠٠ كشاف جميعهم من التلاميذ. ومن المرشدات نحو ٤٠٠٠ مرشدة في أكثر من ١٤٠ فرقة. وقد صدر مرسوم ملكي بتأليف جمعية أهلية مصرية للكشافة كما صدر قانون بحماية شاراتها وسمياتها ومميزاتها

وتعمل الحكومة على توسيع نطاق تعليم التربية البدنية بانشاء ميادين للالعاب الرياضية لتلاميذ المدارس وانشاء مدرسة لتخريج معلمي التربية البدنية وانشاء حمامات للسباحة وهذا فضلاً عن اعانة الاندية والجمعيات والاتحادات الرياضية المختلفة في انحاء البلاد

وتمشياً مع النهضة الرياضية الحديثة وأخذاً بأسبابها عمدت الحكومة على ارسال البعوث

الرياضية من الطلاب والطالبات الى اوروبا لدراسة الاساليب المختلفة والمستحدثة في التربية البدنية والاشتراك في المؤتمرات الدولية والمسابقات الاولمبية

٩ — الجمعيات العلمية والادبية والفنية

كان من أثر نهضة البلاد أن ترعرعت فيها هيئات وتكونت جمعيات تعنى بشئون العلم والآداب والفنون، فمنها الجمعية الجغرافية الملكية التي تعنى بتشجيع البحوث الجغرافية في مصر ونشرها والجمعية الملكية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع . والجمعية الملكية للحشرات . والجمعية الطبية المصرية . والجمعية الرمدية المصرية . والمجمع العلمي المصري . والجمعية الملكية لعلم اوراق البردي . والمجمع المصري للثقافة العلمية . ورابطة الادب العربي . والمعهد الملكي للموسيقى العربية . ومعهد الصحراء . وجمعية محبي الفنون الجميلة . ومجمع اللغة العربية الملكي الذي تألف من خيرة اللغويين المقيمين في مصر وفي البلاد العربية الشرقية ومن كبار المستشرقين الاجانب ذوي الشهرة في العلوم العربية

هذا فضلاً عن مساهمة الحكومة المصرية في منح اعانات سنوية للهيئات العلمية الدولية مثل معهد التعاون الدولي الفكري بباريس . ومعهد التربية الدولي بجنيف . واللجنة الدولية للعلوم التاريخية والمكتب الدولي للتعليم الفني . واشتراكها في اعمال هذه الهيئات جميعاً وفيما تعقده الهيئات الدولية العلمية سنوياً من المؤتمرات في أنحاء العالم

١٠ — مصلحة الآثار

خطت أعمال الآثار المصرية الى الآن خطوات واسعة وأتت بنتائج استثارت اعجاب العالم فقد تمّ استكشاف مقبرة توت عنخ آمون ونقل مافيها من حلى عجيبة وأثاث وتماثيل الى جناح أعدّ لها في المتحف المصري ولسق أبدع تنسيق . كما استكشف في جهة البداري بقايا حضارة يرجع عهدها الى ماقبل التاريخ . وعثر على مقبرة الملكة حتشبسوت أم الملك تحوتمس ووضع ماوجد فيها من حلى ثمينة ذهبية في مكان خاص بالمتحف المصري . ولاول مرة في هذا العهد الزاهر يتولى المصريون استكشاف آثار أجدادهم فلقد قام اساتذة الجامعة المصرية بأعمال الحفر في عهود تاريخية مختلفة فكشف الاستاذ سليم حسن بك عن مقابر هامة يرجع تاريخها الى الامبراطورية القديمة بها كنوز من التماثيل الجميلة . ويواصل الاستاذ سامي جبره أعمال التنقيب عن مقابر يونانية — رومانية محلى بعضها بنقوش بديعة على أروع اسلوب « كلاسيكي » قديم . كما يقوم الاستاذ محمد حمزه بالكشف عن معبد ذي مقام تاريخي كبير بأسيوط . والاستاذ مصطفى عامر عن حفائر المعادي التي كشفت الكثير عن الانسان ومدنيته قبل التاريخ

الآثار القبطية — الآثار القبطية ذات مكانة تاريخية كبرى لانها تعتبر حلقة الاتصال بين الفنون المصرية في العصرين الفرعوني واليوناني والروماني من جهة والعصر الاسلامي من جهة اخرى . وقد انشيء لها سنة ١٩١٠ متحف خاص يشمل مخلفات الاديرة والكنائس العديدة التي اقيمت بين القرنين الرابع والسابع للميلاد . وزيدت عليه اقسام عدة كقسم للاحجار وقسم للمعادن وقسم للاقمشة وقاعة للصور ومكتبة كبيرة . وفي عام ١٩٣١ صدر مرسوم ملكي بالحاق المتحف القبطي بأملاك الدولة فتضاعفت موجودات باقي الاقسام وتوسع نطاقه ونظمت اقسامه تنظيماً يسمح بتتبع ما فيها من الآثار

***

الآثار العربية — العناية بالآثار العربية حديثة العهد . اذ ان الفن الاسلامي لم يثر اهتمام العالم الاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ويرجع الفضل في ايجاد متحف للآثار العربية الى سمو الخديو اسماعيل . وقد تمّ انشاء هذا المتحف فعلاً ووضعت المجموعات الاولى منهُ في مسجد « الحاكم » ثم شكلت لجنة لحفظ الآثار العربية قامت باعمال باهرة في سبيل انقاذ المساجد العديدة والمنازل الاثرية من التلف . وفي عام ١٩٠٣ شيد بناء خاص بالمتحف العربي تعرض فيه مجموعاته الثمينة وقد اتسع نطاق هذا المتحف اتساعاً كبيراً فقد كان عدد قطعه المعروضة في عام ١٩٢٥ نحو ٧٠٠٠ قطعة فأصبح عددها اليوم ١٢٠٠٠ قطعة من الرخام والاحجار والاواني والخشب المطعم والنحاس والفسيفساء والاقمشة والسجاجيد والخطوط العربية ومصابيح الزجاج المشغولة بالميناء وهو يزداد شأناً بما يمنحهُ المصريون وعلى رأسهم الاسرة المالكة من هبات اثرية كالهبة الجليلة القدر التي تفضل جلالة الملك باهدائها اخيراً اليه

١١ — البعثات

أرسلت البعثات الى اوربا منذ عهد محمد علي الكبير ولكن نهضة البلاد استلزمت الاكثار من ايفاد البعثات الى اوربا لتهيئة العدد الكافي من الاخصائيين في مختلف مرافق الدولة حتى اصبح عددهم في سنة ١٩٢٨ (٥٤٤) عضواً

ولهذا وضع نظام ثابت للبعثات فتألفت اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة من اعضاء يمثلون مختلف الوزارات تحت رآسة وزير المعارف ولتقرير ما تراه بشأن كل منها من حيث وجوبها والبلاد الواجب الايفاد اليها والدراسة التي تتبع واختيار طلبة البعثة والشروط الواجب توفرها فيهم . فزيد التدقيق في اختيار البعثات وقصرها على ما يراد به استكمال دراسة

علمية او عملية خاصة او حذق صناعة مما لا يتوافر في مصر وبهذا اصبح عدد أعضاء البعثات اليوم ٣٣١ عضواً . على ان بعثات الجامعة المصرية ما زالت مطردة الزيادة لامداد كلياتها بالاساتذة الحاصلين على اعلى الشهادات في الفروع المتخصصين فيها

وقد قبلت الحكومة الفرنسية — السماح للطلبة المصريين الحاصلين على الدكتوراه في الحقوق بان يدخلوا مسابقة «الاجريجاسيون» لنيل لقب «اجريجيه» في القانون كما ان بعض الجامعات في انجلترا مثل جامعة كمبردج وجامعة ادنبره تعترف بدرجات الجامعة المصرية مما كان له أكبر الفضل في تمكين اعضاء بعثة الجامعة من التحضير للدرجات العليا في وقت قصير مما أنتج احسن الاثر في تقوية الرابطة واحكام الصلة مع تلك الجامعات

١٢ — الجامع الازهر والمعاهد الدينية

للجامع الازهر مكانة سامية بين جامعات الشرق حيث يؤمه الطلاب من جميع البلاد الاسلامية ويزود بالعلم فيه آلاف عديدة من أبناء البلاد المصرية

وكان لهذه المكانة أثرها في تنظيم هذا الجامع والمعاهد الدينية الملحقة به فأصبحت تدرس فيه العلوم الحديثة بجانب علوم الدين واللغة وانشئت فيه كليات للدراسة العالية وأقسام للتخصص فيها

كما انشئت بالازهر وملحقاته ابنية فخمة على احدث طراز في الجامعات تهيء للدراسة في مراحلها المختلفة وأبنية اخرى لسكنى الطلاب وللادارة وللمحاضرات والمكتبة ومستشفى للطلاب

وقد صدرت القوانين المنظمة للازهر والكليات والمعاهد الملحقة فأدخلت بذلك تعديلات واسعة النطاق في قانونه شملت الاقسام الابتدائية والثانوية والعالية وأقسام التخصص . وأساس هذه التعديلات الرغبة الاكيدة في رفع مستوى التعليم في الازهر وجعله — بجانب كونه اعظم جامعة دينية اسلامية — يتمشى مع روح العصر الحاضر بما يوفر عند الطلاب مجال البحث والاستنباط ويبينهم على تفهم اسرار الاحكام الشرعية ويعدهم ليكونوا رجالاً يستطيعون الاضطلاع بالعبء الكبير الملقى على عواتقهم في خدمة اللغة والدين والقضاء . وكان لهذه النهضة الكبرى بالازهر ومرافقه اثرها في رفع ميزانيته في العهد الاخير من سبعين الفاً من الجنيهات الى مائتين وستين الفاً

ويبلغ عدد طلبة الازهر والمعاهد الدينية حوالي عشرة آلاف وعدد طلبة التخصص من العلماء ٣٠١ وعدد المدرسين ٦٢٠ . ومن بين طلبة الازهر حوالي سبعمائة من الغرباء الوافدين من جاوة والهند والصين والافغان والتركستان والاناضول والشام وبلاد العرب والصومال وجنوب افريقيا وأميركا

تطور حياتنا العقلية

الدكتور لطفي السيد باشا
مدير الجامعة المصرية ووزير المعارف سابقاً

س ١ — ما هي اهم مظاهر الخلاف بين الحياة العقلية لهذا الجيل الذي تشرفون على تنشئته وبين الجيل الذي عشتم فيه كطلاب يتلقون العلم ؟

س ٢ — ما هو الفرق في الدراسات العلمية بين الاساليب الجامعية الحاضرة ، وبين اسلوب الجامعة الاهلية التي ورثتها هذه الجامعة ؟

س ٣ — ما هي الطريقة المثالية التي تقترحون أن تكون عليها الصلة بين حياتنا العلمية وبين الحكومة

ج ١ — الجيل الذي عشنا فيه كانت الفكرة العامة عند الطلبة وعند أولياء أمورهم هي الفكرة التي حدت بالحكومة وقتئذ إلى إنشاء درجات مختلفة للتعليم ، وهي إعداد موظفين يقومون بادارة الماكينة الكبرى للحكومة سواء أكان ذلك في مدارس الحقوق أم الهندسة أم الطب الخ الخ

ولم يكن يخلو من هذه الفكرة بعض الخلو إلا الجامع الأزهر فلقد شهدت فيه طلبة يقضون عمرهم في تعلم العلم للعلم وتبركاً به ، وحسبة لله ، وزلفى إلى الله تعالى . وإن كانت فكرة اتخاذ العلم طريقة لجلب الرزق لم تكن غريبة عن أذهان بعض طلبة الازهر . لكن ذلك كان على قلة لا على كثرة

هذا هو الفرق الاساسي بين فكرة التعليم في ذلك الجيل وبين الفكرة فيه الآن وهي الفكرة القائمة على ان يكون الغرض منهُ التعليم لا الاداة للاستخدام في الحكومة بل تكوين جيل جديد لهُ من التربية الاصلاحية والمكانة العلمية ما يسمح لهُ بالمزاحمة بنجاح في الحياة العملية غير ان أفكار الناس — كما تعرف — لا تتغير من النقيض إلى النقيض في زمن محدود ، بل الفكرة القديمة لا تزال تشترك في الجيل الحاضر مع الفكرة الجديدة ولا يزال أولياء أمور الطلبة

يثنون مع الاسف في نفوس أبنائهم أنهم إنما يطلبونهم ليعدوهم للحكومة ولكن من اولياء الطلبة من يعلم ابنهُ ليحسن التكوين ويتم عليه ملكاته ، وينمي مواهبهُ . وعلى ما أرى أن هذه الفكرة هي السائدة الآن في نفس الحكومات المثالية التي تلي أمر مصر في هذا الجيل اذ ينفقون على العلم بسخاء ، مع ان الحكومات تكاد تستوفي ما يلزمها من المتعلمين

هذا هو الخلاف على نحو عام ، ولكن الاتجاه الخاصة المتعلقة بخطط التعليم وبرامجه فانها تخالف بعض الشيء الخطط والبرامج القديمة تبعاً لتغاير الفكرتين الاساسيتين اللتين تسودان التعليم في الجيلين

ج ٢ — الجامعة القديمة الاهلية لم تكن الا محاولة لايجاد جامعة بالمعنى الخاص ، ولذلك ليس بين الاسلوبين في التعليم فرق جوهري

ج ٣ — الواقع ان لي مذهباً خاصًّا في هذا المعنى يرجع الى ما درجت عليه من اعتناق مذهب سياسي خاص هو مذهب « اللبراليزم » اي مذهب اهل السماح ان شئت وحسن اعتقادي في هذا المذهب الذي يقوي حرية الفرد ، ويكره ان تتسلط عليه الجماعة الا عند الضرورة القصوى للاجتماع ، ويحدُّ حرية الحكومة لا في التشريع فحسب بل في المداخلة في الاعمال العامة هذا المذهب قد يقتضي مثاله الأعلى ان تقتصر الحكومة على مرافق ثلاثة من مرافق البلاد :

١ — الدفاع عن البلاد في الخارج بالجيش

٢ — والقيام على الامن العام بالبوليس

٣ — واقامة العدل بين الناس بالقضاء

وما عدا ذلك من مرافق الدولة كالتعليم العام ، والصحة العامة والاشغال « العمومية » كل ذلك ينبغي ان يكون من عمل الافراد والشركات والجمعيات الحرة . وكنت اعتبر ولا ازال اعتبر ان تدخل الحكومة فيه سببه الضرورة اي عدم وجود من يقوم به ولكن مع الاسف ارى ان مذهبنا هذا قد انهار في جميع انحاء العالم رأساً على عقب وطاف بالعالم طائف من الاشتراكية بأنواعها المختلفة يجعل الحكومة تضع أنفسها في كل شيء حتى في داخل البيوت ، ولا سبيل الى الوقوف في هذا التيار الجارف . فاذا سمحتني اقول باستقلال الجامعة ، واذا سمحت الحكومة تقول باستقلال معهد فاروق ، فذلك ليس الا استقلالاً نسبيًّا ما دامت الضرورة من ناحية ، « والمودة » العالية من ناحية اخرى تعطي الحكومة حق التدخل في كل شيء

فالصلة المثالية التي تسأل عنها صعبة التحديد ما دامت الحكومة هي التي تنفق من خزانة الدولة على التعليم العام ، وما دامت الافكار العالية متجهة ذلك الاتجاه الذي ذكرت

تطور التعليم
في الازهر

لفضيلة الاستاذ الاكبر
محمد مصطفى المراغي

١ — شعر المهيمنون على التعليم في الازهر منذ وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ بأن الازهر أخذ يضيع أهم خصائصه ومميزات تعليمه ولم تخل تقارير لجان الامتحان ولا تقارير المفتشين في سنة من السنوات من الشكوى من اعتماد التلاميذ على الاستظهار ومن ضعف ملكاتهم العلمية وقد توالت على هذا القانون تعديلات آخرها التعديل الذي ادخل عليه بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وهو أظهر تعديل طرأ عليه في هذا القانون قسم التعليم العالي الى ثلاث كليات واحدة لعلوم اصول الدين وثانية لعلوم الشريعة وثالثة لعلوم اللغة العربية ووجد تخصص سمي تخصص المادة وآخر سمي تخصص المهنة. وقد كان الغرض من هذا تفريغ كل طائفة من التلاميذ في التعليم العالي والتخصص لطائفة من المواد الكثيرة التي كانت تدرس مجتمعة حتى يتيسر اتقان الدرس والفهم واتقان التحصيل، ومع هذا ظلت الشكوى قائمة وظهر ان الداء الذي يجب ان يحسم ويستأصل هو ضعف التلاميذ في القسم الثانوي بسبب كثرة المواد وبسبب طول المناهج في بعض المواد التي لا يحتاج الطالب في الازهر الى طول المنهاج فيها فهذه الكثرة وهذا الطول لم يدعا وقتاً لهضم الدروس وتمثلها ولم يدعا وقتاً لطول التفكير والبحث والجدل وتسمية ملكات العلوم والاستنباط

٢ — وقد يعيننا على تصوير الحقيقة في هذا الموضوع وعلى الحكم بأن القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ كان ضرره اكبر من نفعه ان نرجع الى الماضي قليلاً ونستطلع ما كان عليه الازهر قبل القانون الصادر بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ (اول يوليو سنة ١٨٩٦) كانت العلوم التي تدرس في الازهر ويمتحن الطلبة فيها لنيل شهادة العالمية هي : — الاصول — الفقه — التوحيد — الحديث — التفسير — النحو — الصرف — المعاني — البيان — البديع — المنطق

وكان الطلبة يقضون في تحصيلها مدداً طويلة أقلها خمس عشرة سنة ولا حدّ لأكثرها ومع أنها كانت تدرس في كتب سقيمة من المختصرات التي لا تفهم إلا بشروح وحواشي والتي تحتاج

الى جهد شاق في حل ألفاظها وبيان وجه دلالتها وتصحيح وجوه هذه الدلالة فان الطلبة كانوا يقدرون على الاستقلال بدراسة الكتب ويقدرون على فهمها وكانت تنمو فيهم ملكات البحث والجدل ، غير أنهم على الجملة كانوا بعيدين عن الاساليب العربية في الكتابة والخطابة بعيدين عن تذوق أسرارها غير متصلين بأسرار الدين اتصالاً وثيقاً فإن دراسة الفقه كانت دراسة جافة ودراسة التفسير والحديث كانت دراسة ضيقة ودراسة علوم البلاغة كانت قاصرة على كتب عفى عنها الفلسفة وبعدت في أساليبها عن الاساليب العربية ، وأكثر من هذا أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن المعارف الضرورية التي لا يسع أحداً جهلها في هذا العصر مثل الجغرافيا والتاريخ ومبادىء الهندسة والحساب ومبادىء الطبيعة والكيمياء

والازهر كما هو معلوم قبلة أنظار المسلمين في العالم يفد اليه الناس من مشارق الأرض ومغاربها واسمه يدوي في الآفاق والحكومة في حاجة اليه لأنه الينبوع الذي يؤخذ منه القضاة والمفتون

٣ — كل هذا كان سبباً في حرص الغيورين من رجال الأمة ورجال الحكومة على تلمس وجوه الاصلاح ولم يكن من اليسور أن يكون إصلاح الأزهر سهلاً لاعتبارات تقليدية تاريخية ولم يكن من الجائز أن يسلك في إصلاحه ما يسلك في تنظيم المدارس المدنية ، بل كان يجب أن يتناوله الاصلاح برفق وأن يكون باضافة القدر الضروري من المعارف وباصلاح طريقة التعليم وباختيار الكتب وبتوجيه هذه القوى الجبّارة الى جوهر العلم وأسرار الدين وأسرار العربية

وهذا الذي أشرت اليه هو الذي لاحظه واضعو قانون سنة ١٨٩٦ فضمنوه من وجوه الاصلاح ما رأوه كفيلاً بأنهاض الازهر وكان من حسن الحظ إذ ذاك أن الذي قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء خلصت نيتهم وتوافرت لديهم وسائل التنفيذ وهم المشايخ حسونه النواوي، محمد عبده ، سليم البشري، عبد الكريم سلمان ، سليمان العبد . أسبغ الله عليهم واسع رحمته ورضوانه

أضاف هذا القانون مواد جديدة هي الأخلاق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية وجعل التاريخ الاسلامي والانشاء ومتن اللغة ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان مواد يفضل محصلها غيره ويقدم عليه ، وفك التقيد بكتب دون اخرى وحرّم قراءة الحواشي في السنوات الاربع الأولى وحرّم التقارير التي على الحواشي وجعل من اختصاص مجلس الادارة أن يعدل في مواد التعليم طبقاً لما يراه من المصلحة

سار الأزهر على هذا النظام عشر سنوات سيراً مشتداً متزناً لم تطغ فيه المواد الجديدة على المواد القديمة لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الأزهر ونشطت دراسة العلوم الدينية والعربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت السنوية وبما كان ينشر فيهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده في دروسه ومجتمعاته وأفرط عقد النظام بخروج الشيخ عبده من مجلس الادارة ثم بوفاته سنة ١٩٠٥ رضي الله عنه

٤ — جدت بعد ذلك أحداث وقتن وعولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء فصدر بها قانون في سنة ١٩٠٧ وشعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت في غنى عنهم لأن لها مدرسة لتخريج معلمي العربية في مدارسها ومعاهدها ومدرسة لتخريج القضاء وخاف القائمون على الأزهر من تقلص شأنه ومن عدم إقبال الناس عليه حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء الا وظائف الإمامة والخطابة في المساجد ولم يبق طلاب العلوم الدينية على عهدهم الاول يطلبون العلم للعلم وابتغاء رضوان الله بل جدت فيهم نزعات التمتع بالحياة الدنيا وأصبحوا لا يقنعون بالرزق القليل الذي كان يجري عليهم من ريع الاوقاف المحبسة ففكروا وفكر الناس معهم في إعادة تنظيم الازهر على مثال مدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر ومناهج أطول وانتهى الامر بهم الى وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكثر الاقبال على الازهر ووجدت معاهد أخرى في عواصم المديريات وبعض المحافظات جرت على نهجه وسرت عليها نظمه حتى صار عدد الطلاب في سنة ١٩١٧ أكثر من عشرين ألفاً

٥ — كثر عدد الطلاب وكثرت المعاهد وتنافست في نتائج الامتحان وكل معهد يحاول أن يسبق غيره من المعاهد لا في اتقان الدراسة ولكن في إعداد الناجحين ولم يكن من اليسور أن يكون كل المعلمين لهذه الاعداد الكثيرة وعلى هذه النظم الجديدة من الكفاية بحيث تكون النتائج مرضية واضطر الطلاب ليفوزوا بالنجاح في الامتحان التحريري الى ان يعتمدوا على الحفظ والاستظهار واستبانت المعاهد بالامتحان الشفوي فتغيرت المعالم في الازهر وفقد الطلاب أهم مميزاتهم وخصائصهم التي أسلفناها صدر البحث

٦ — ونحن إذ نحاول اصلاح الازهر نريد ان نوجد طالباً يفهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً ويفهم أغراضها وصلتها بأدلتها وصلتها بعضها ببعض ويستطيع التطبيق على الجزئيات ويستطيع الاستنباط والتدليل ويستطيع فهم الكتب القديمة التي ألفت في العصور المختلفة في جميع الفنون الاسلامية

واني على بعضي لا كثر الكتب التي ألفت في العصور المتأخرة أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها لان فيها خيراً كثيراً ودقائق لا يصح الجهل بها لذلك أحب ان يستطيع الطلاب فهمها ويقدروا على حلها . نعم اني لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب بل أحب ان توجد كتب في جميع الفنون حديثة على أسلوب عربي صحيح مناسب لأذواق الاجيال الحاضرة تهذب فيها المسائل على أحسن ما وصل اليه التحقيق العلمي ، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة في الاسلوب والوضع فهذا الميراث العظيم يجب ان يؤخذ كله سلسلة متصلة الحلقات

هذا الذي نحاوله بالتجديد يجب على ما أرى أن يضعه الناس أمامهم وأن يجدّوا للوصول اليه وهو غاية ينبغي في جانبها كل جهد ويرخص في سبيلها كل ما يبذل للوصول اليها

٧ — ولقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم فلم يمض الزمن القبل حتى أخذوا علم اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند واستعانوا بذلك كله في تفسير القرآن وفي وضع علم الكلام على الاسس التي نراها في شتى المواقف والمقاصد واستعانوا به في تنظيم مسائل العلوم جميعها فلم يخل علم من اثر الفلسفة والمنطق ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب في التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة وقد أخذ العلم يسير في هذا العصر سيرة جديدة وتغيرت نظريات الفلسفة وجدّت نظريات أخرى وكان من شأن ذلك كله ان توجه حملة على الاديان جملة وعلى الاسلام خاصة وصار من الواجب المحتم على ابناء المسلمين أن يحيطوا علماً بكل ما يرجه الى الاديان عامة والى الاسلام خاصة من مطاعن وان يردوا تلك المطاعن ويذودوا عن عقيدتهم بأدلة ناصعة وأسلوب مقنع ممتع ليقوا المتعلمين تعليماً مدنيًّا في حظيرة الاسلام وليضموا اليه افراداً وشعوباً من الامم التي لها قدم راسخ في العلم

وهذا لا يتم لهم على ما ينبغي الاّ بالاتصال بغيرهم اتصالاً علميًّا وبتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الانتاج العلمي والتي يتناول بها العلماء مسائل الاسلام ومسائل اللغة العربية لذلك وجب أن يكون لاهل الازهر نصيب من هذه اللغات وأن تدرس تلك اللغات لأصله ، وهناك فائدة أخرى لتعلم اللغات وهي انها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب وعلى معرفة الاسلوب الحديث في التأليف والتفكير وطريقة عرض المسائل على انظار المتعلمين

٨ — قلنا في الفقرة (٢) ان ضرر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ أكبر من نفعه والآن نقول انهُ لم يخل من الفائدة لأن تعلم التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء قرّب تلاميذ الازهر من تلاميذ المعاهد الاخرى وغير عقليتهم ووسع أفقهم وجعلهم ينظرون الى غيرهم نظرة غير النظرة الاولى أيام كان الازهري لا يرى أحداً أهلاً للعلم غيره ولا يرى احداً يصح ان يطلق عليه لقب عالم غيره ، وادخال المطالعة والمحفوظات والانشاء أوجد من اهل الازهر عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء ومكن لهم من القدرة على الخطابة والوعظ ، فمرآن الرقي العام في المجتمع المصري وفي الصحافة وفي الكتب المؤلفة حديثاً وكثرة المطبوعات القديمة القيمة له احسن الاثر فيما نراه من اثر لصلاحهم لكن مما لا شبهة فيه ان الدراسة لها الفضل الاكبر

٩ — ولا ندّعي أن اصلاح القانون وتنفيذ هذا المشروع يحقق الاغراض التي ترمي اليها ويوجد الطالب الازهري الذي ينتفيه بل أن الذي يحقق هذه الاغراض الرغبة الصادقة في التعلم والعزيمة القوية على احتمال الجهد والصبر لقطع مراحل التعليم في هدوء وطمأنينة والايمان بأن العلم عزيز يغني وحلية للنفس ومتعة للعقل وجمال لمن يتصف به . والحرص على الافادة والتعليم والايمان بأن ذلك فرض للعلم واجب لله ولرسوله وللمؤمنين والشعور بلذة الارتقاق من العلم وأن الارتقاق سنةٌ يزيد في الثروة ويشيع بهم التنفس الواقعة الى الغنى وأن هذه الثروة خيرٌ مما هو مخزون في خزائن الاغنياء

التعليم الجامعي

للدكتور طه حسين

أخص ما يمتاز من ألوان التطور التي مست التعليم منذ أعلن الاستقلال السياسي لون واحد هو مضي التعليم في السبيل الجامعية . وأريد بهذه السبيل شيئين : أحدهما يتصل بالتعليم نفسه والآخر يتصل بالعلم

وظاهر جداً ان انشاء الجامعة قد احدث في حياتنا التعليمية حدثاً عظيماً ظهرت بوادر آثاره ولكنها ستظهر قوية واضحة بعد زمن ما . وهذا الحدث هو فرض حرية الرأي على المثقفين المصريين . فقد ادخلت مناهج البحث الحر عن حقائق العلم والادب لاول مرة في التاريخ المصري الحديث وانتجت هذه المناهج ما لم يكن بد من انتاجه من الاضطراب ، فتعرضت الجامعة لكثير من المقاومة الشعبية والحكومية ، ولكنها انتهت آخر الامر الى شيء من الفوز ان لم يكن واضحاً كل الوضوح فهو محقق وسيزداد مع الزمن

***

وليس من شك في ان الرأي العام المصري قد اقتنع الآن بان الرأي العلمي والادبي يجب ان يستمتع بحظ عظيم جداً من الحرية والذين يقاومون هذه الحرية الى الآن انما يقاومونها على استحياء وفي شيء من الحيطة والتحفظ . فمن الممكن الآن ان يقال إن المناهج الجامعية قد فازت بالاستقرار بالعقل المصري ولا بد من الانتظار لنرى نتائج هذا الفوز . فلم تكن المرحلة الاولى من حياة الجامعة الا مرحلة صراع ودفاع قد انتصرت فيها من غير شك

أما من جهة العلم ، فليس اثر الجامعة أقل خطراً . فقد ألغيت مدرسة المعلمين ، وقامت

الجامعة مقامها في اعداد المعلم وتثقيفه الثقافة العلمية والادبية ومعنى هذا ان التعليم الحر الطلق القائم على البحث الدقيق قد قام مقام التعليم المقيد الجامد المحصور بين دفتي البرامج الخاضع لتفتيش وسلطان المفتشين . وقد لا تظهر آثار هذا التطور الآن لان الذين اخرجتهم الجامعة لم يصلوا بعد الى مناصب التعليم . ولا ينتظر ان يصلوا اليها قبل زمن يقصر او يطول

ولكن هذه الآثار ستظهر جلية من غير شك يوم يتاح للجامعيين ان ينهضوا بمهمة التعليم في المدارس الثانوية. وستكون هذه الآثار خيراً كلها. وسيكون اظهرها ان المعلم الحر سينشىء تلميذاً حرًّا . وان العقل الطلق سيهيىء عقولاً طلقة

وواضح أن الفكرة الجامعية تلقى من هذه الناحية مقاومة كالتي لقيتها من الناحية الاخرى ولكن هذه المقاومة التي يشقى بها الجامعيون مقاومة ماكرة خفية يدبرها اصحابها فيحسنون التدبير دفاعاً عن انفسهم ليست لها ماكان للمقاومة الاولى من الصراحة والتصوير لطبيعة الاشياء

فالجامعيون الآن يُصدُّون عن التعليم لا لان التعليم ليس في حاجة اليهم بل لأنهم جامعيون يشفق منهم ممثلو النظام القديم على انفسهم ومكاناتهم وهذا الشقاء المؤقت الذي يحتمله الجامعيون هو مظهر واضح لقوتهم الحقيقية ، واي قوة اقوى من ان تكون مخوفاً تتقى ، ويدبر لك الكيد

وهناك مقاومة اخرى شديدة الخطر على الجامعيين ، وهي تأتي من خضوع معهد التربية للنظام البيرقراطي العتيق في وزارة المعارف ، فقد انشيء هذا المعهد بعد الشاء مدرسة المعلمين ليكون ملائماً للحياة الجامعية الجديدة ولكن الخطأ الاول كان في اتباع هذا المعهد لوزارة المعارف لا للجامعة . ذلك ان القديم لا ينشيء جديداً ، وان القيود لا تنشيء حرية ، فلم يكن بد من ان يتأثر معهد التربية في نظمه وتعليمه بكل ما في وزارة المعارف من عيب

ومن حيث إن الجامعيين يقضون في هذا المعهد سنتين ، فهم معرضون فيه لبعض الشيء ولكن طبيعتهم الجامعية إلى الآن قد خرجت من هذه المحنة ظافرة ، محتفظة بجامعيتها

وانا واثق بأن التطور الذي ضمَّ الهندسة والزراعة والتجارة إلى الجامعة سينتهي حتماً بضم معهد التربية ايضاً الى الجامعة ويومئذ يتم النصر للفكرة الجامعية في التعليم ، وفي اعداد المعلمين والزمن وحده كفيل — ولكنهُ كفيل بالتحقيق لا بالظن — ان تمكن للجامعيين فيسيطروا على التعليم الثانوي . ويومئذ تستطيع مصر ان تنتظر من التعليم الجديد الخير كل الخير

البحث العلمي

في مصر

للدكتور علي مصطفى مشرفة

استاذ الرياضة التطبيقية بكلية العلوم

ليس البحث العلمي غريباً عن ديارنا فهي مهده الذي نشأ فيه وترعرع وهي بيته الذي آواه في عصور متعددة . واليوم يعود العلم إلينا بعد غيبة طويلة فما أخلقنا بأن نعنى بأمره ونرعاه . وما أجدره بأن يستقر بيننا ويطيب له المقام . ففي مصر اليوم نفر غير قليل من المشتغلين بالعلوم يلذ لهم البحث والاستقصاء ومنهم من يوفق إلى الكشف عما خفي من المسائل العلمية والاضافة الى المعرفة البشرية كما يفعل اقرانهم من علماء الامم المتحضرة . الا اني لا أخفي على القارىء أني غير مرتاح الى حال هؤلاء العلماء والقادة المفكرين غير مطمئن على مصير الجهود التي يبذلونها . ذلك أن هذه الجهود قد أتت في الواقع وفق الامر نتيجة لبعض ظروف استثنائية في تاريخنا المعاصر كان من شأنها أن حملت بعض الافراد على مغالبة النظم الموضوعة والتغلب عليها . ولكي يفهم القارىء كيفية ذلك سأرجع به الى قبيل الحرب العظمى منذ نحو خمس وعشرين سنة . ففي ذلك الوقت كانت وزارة المعارف ترسل بعوثها الى خارج القطر وتحرّم على اعضاء هذه البعوث أن ينتظموا في الجامعات أو ان يدرسوا لنيل الدرجات الجامعية . ثم حدث أن ثارت نفس أحد هؤلاء الطلاب على هذا الحرمان فعارض مشيئة الوزارة وخرج على طاعتها ودخل الامتحان الجامعي ونال الدرجة فعاد الى مصر واضطهد ايما اضطهاد الا أن خطوته الجريئة كانت خطوة لا مرجع فيها فاضطرت وزارة المعارف اضطراراً الى ان تسمح لسائر اعضاء البعثات بالحصول على الدرجة الجامعية التي حصل هو عليها ولكنها أصرت وتشبثت بأن لا يتعدى أحد هذه الدرجة مهما تكن مقدرته ومهما يكن استعداده ثم حدث أن ثار عضو آخر من اعضاء البعثات على هذا التقييد

حدّثته نفسه أن يتعدى مرحلة الدرس والامتحان الى مرحلة البحث والابتكار فيُبيّض لهُ النجاح على الرغم من الوزارة وعلى الرغم من تعنتها. وجاراه في ذلك نفرٌ قليل ممن طمحت نفوسهم الى ان يكونوا علماء باحثين. هؤلاء النفر القليل ومن على شاكلتهم هم القائمون بالبحث العلمي في مصر اليوم وهم الذين تلت عنهم إن ظروفاً استثنائية حملتهم على مغالبة النظم الموضوعة والتغلب عليها. فالمسألة كما يرى القارىء لم تخرج عن حد بعض مغامرات ناجحة، وبعض جهود فردية صادف أن لاقت نجاحاً. صحيح انهُ بانشاء الجامعة المصرية قد وجدت بيئة صالحة لبعض الشيء لنمو هذه المجهودات وتقدمها الا أننا نكون خادعين لانفسنا اذا تصورنا ان النظم والوسائل الحالية كفيلة بازدهار البحث العلمي في مصر او بتقويته. بل اني كثيراً ما اشعر بأن ما حدث وما كان مجرد حركة وقتية مآلها الزوال السريع في جيل او جيلين. وتاريخنا الحديث مفعم بمثل هذه النهضات القصيرة الآجال كبارقة الامل لا تلبث ان تزول بل ان مثل هذه النهضة الزائلة هي بالضبط ما حدث اثر البعوث العلمية التي بعثها ساكن الجنان محمد علي باشا إلى اوربا منذ اربعة أجيال

ذلك انهُ لكي تنمو هذه المجهودات وتزدهر يجب ان توضع لها النظم الكفيلة بحسن رعايتها وان تتكوّن لها اسس ثابتة تقوم عليها. فالبحث العلمي ككل مجهود آخر في المجتمع الحديث لا يمكن ان يترك امره للصدفة او للجهود الفردية المتشعبة. والى القارىء بعض الوسائل التي لا مفر من اتخاذها اذا شئنا أن نقوم بقسطنا من البحث العلمي بين الامم المتحضرة: —

(اولاً) انشاء مجمع لتقدم العلوم يضم الباحثين والمبتكرين في مختلف العلوم

(ثانياً) انشاء مجلس اعلى للبحوث العلمية تكون مهمته تشجيع البحث العلمي ورصد الاموال عليه وربط فروعه المتعددة وتوجيه البحوث التطبيقية والفنية للمصلحة القومية والمصلحة العامة

(ثالثاً) العمل على ايجاد صلات علمية بين مصر والبلاد الاخرى عن طريق البعثات الدولية القائمة وانشاء لجنة دائمة لهذا الغرض

هذه امور ثلاثة اساسها تقدير البحث العلمي والعلماء الباحثين تقديراً صحيحاً فاذا وجد هذا التقدير وتبعه التنظيم الذي أشرت اليه فصارت شجرة البحث العلمي شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء او بقي الحال على ما هو عليه الآن واذن فقد اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار

المدارس في ربع قرن

من سنة ١٨٧٥ — ١٩٠٠

لامين سامي باشا

طرحنا على صاحب السعادة امين سامي باشا سؤالنا عن تطور التعليم في مصر ، واخترنا ان ننشر هذا البحث والاحصاء المرفق به لسعادته عن التعليم في فترة ربع القرن السابق على القرن العشرين اي من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٩٠٠ . ولاشك ان امين سامي باشا يعد من أئمة الباحثين في هذه الموضوعات بل يعد مؤلفه « التعليم في مصر » والبحوث الشتى التي اجراها في هذا الموضوع المرجع الاول عن شؤون التعليم حتى سني الحرب الماضية

في عهد الخديوي توفيق

في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ تولى الخديوي توفيق أمر البلاد ، وفي ٢١ سبتمبر من هذه السنة عين المرحوم رياض باشا رئيساً لمجلس الوزراء وبقي المرحوم علي باشا ابرهيم ناظراً للمعارف

وفي شهر مايو سنة ١٨٨٠ قدم تقريراً نرآسة مجلس النظار طالب فيه باصلاح التعليم لاسباب منها «ان المصالح الاميرية التي لم يمكنها ان تحصل على توظيف اشخاص بلغوا درجة اكمال التعليم تضطر ان توظف في اكثر الاحوال بعض تلامذة في خدامات ليسوا اهلاً لها ، ولا وصلوا الى درجة الاستعداد اللازم . ولا يمكن ان يجبر هذا الخلل إلاّ باتساع دائرة التعليم الابتدائي والمتوسط واعطاء الشهادات الدراسية التي لم يصرح للمدارس باعطائها للتلاميذ الى وقتنا هذا »

وقد أقرّ مجلس النظار مذكرة ناظر المعارف ، وما اشتملت عليه من مقترحات ورفع خطاباً للخديوي يلتمس فيه تشكيل قومسيون (لجنة) للنظر في رسم الخطة المثلى للتعليم وتألف القومسيون فعلاً في نهاية ذلك العام واعدّ تقريراً صدّره بالرأي الآتي:

« بعد ان فحص احصاء التعليم السابق درجه عن سنة ١٨٧٥ عشروعنا هذا وقارنهُ بكان القطر الوطنيين وقتها البالغ عددهم ٥٠٧٥١٠٢٢٨٧ نفساً قال ان هذا يدل على نقص كلي في التعليم الابتدائي الحالي ذي الدرجة المتحطة ، والتعليم بالكتاتيب فانهُ ناقص من جهة ، ولا قيمة

له من جهة اخرى» وتتلخص اقتراحاته في زيادة عدد المدارس واعداد المدرسين وفي ٢٨ مارس سنة ١٨٨١ صدر الامر العالي بتشكيل المجلس العالي للتعليم، واختص بالاشراف على جميع مسائل التعليم

وفي ختام سنة ١٨٨٥ قدمت نظارة المعارف لاول مرة تقريراً للخديوي ضمنته تفاصيل الاصلاحات التي اجريت في تلك النظارة خلال تلك السنة

واهم تلك الاصلاحات انها وضعت بروجرامات للتعليم الابتدائي والثانوي وأرسلت للمدارس الابتدائية والثانوية للسير على مقتضاها على سبيل التجربة وطلبت من مدرسيها ابداء ملحوظاتهم عليها. وراعت في وضع تلك البروجرامات ما حصل من التقدم في امور التعليم في اوربا في هذه الايام

واسفت لانه لم يتيسر لها ادخال التعديلات في بروجرامات التعليم العالي لأن كل مدرسة من مدارسه أنشئت لغرض مخصوص . . . . . فلذلك وضعت بروجرامات تلك المدارس ونظاماتها تحت البحث والنظر وستعرض بعد اتمامها على اولي خبرة يفحصونها فحصاً دقيقاً لتقيل هذا التعليم من عثراته وتنشله من وهدته، ونجعله في الحالة المرغوب فيها حتى تنتج هذه المدارس كل الفوائد التي يتيسر لها انتاجها مع مراعاة الاحوال الخصوصية لهذه البلاد

وقد تم في السنة التالية هذا الاصلاح بانشاء قومسيون جديد بالاتفاق مع نظارة الاشغال فسن قانوناً وبروجراماً لمدرسة المهندسخانة . وفي ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٦ صدر قرار نظارة المعارف بناء على ما قرره مجلس النظار بالتصديق على قانون لمدرسة الحقوق تقضي المادة التاسعة عشرة منه «باعطاء دبلومات رسمية من الحكومة المصرية للمستحقين بها وان تنشر اسماء الناجحين في الجريدة الرسمية» وهو اول قانون قضى باعطاء دبلومات للمستحقين بتلك المدرسة

وقد ورد بتقرير امتحان تلامذة مدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥، وسنة ١٨٨٦ المكتبية الفقرة الآتية «وعلى ذلك فلا يطول بنا الزمن حتى نرى من تلامذة هذه المدرسة من يعادل اعظم تلامذة مدارس اوربا»

وفي ٢٤ أبريل سنة ١٨٨٦ صودق على بروجرام مدرسة المعلمين التي سميت فيما بعد بمدرسة المعلمين التوفيقية. وفيها رتبت لاول مرة درجات موظفي نظارة المعارف ومدرسيها وجعل اول مبدأ لاقل درجة للمدرسين ٤ جنيهات في الشهر وأعلى درجة ٢٥ جنيهاً واقل درجة للضباط ٥ جنيهات وأعلى درجة ٨ جنيهات في الشهر، واقل درجة للنظار ٨ جنيهات في الشهر وأعلى درجة ٥٢ جنيهاً في الشهر . وفي ٨ فبراير من سنة ١٨٨٧ بناء على ما قرره مجلس النظار صدر قرار باعتماد قانون مدرسة الفنون والصنائع. وفي هذه السنة نفسها نظمت الدراسة الثانوية وتقرر اعطاء شهادة لها وكان من نتيجة هذا التنظيم ان قبلت المدارس الاجنبية وغيرها بالتدريج اتباع خطة التعليم الثانوي بمدارس الحكومة او خطة تقرب من خطتها

وكانت الشهادة الثانوية حتى سنة ١٩٠٦ عامة ثم قسمت المواد الى قسمين . ادبي وعلمي

وفيما يلي بيان بعدد الحاصلين على الشهادة منذ وجدت حتى الحرب العالمية وبهُ يتضح مدى التطور الذي لحق بهذا النوع من التعليم

السنة	الشهادة العامة
١٨٨٧	٤٢
١٨٨٨	٥٥
١٨٨٩	٥٩
١٨٩٠	١١٥
١٨٩١	٣٨
١٨٩٢	٣٦
١٨٩٣	٤٢
١٨٩٤	٣٢
١٨٩٥	٥٤
١٨٩٦	٤٢
١٨٩٧	٦٧
١٨٩٨	٩٨
١٨٩٩	٧٥
١٩٠٠	٦٨
١٩٠١	٨٢

السنة	الشهادة العامة
١٩٠٢	١٣١
١٩٠٣	١٢٥
١٩٠٤	١٣٦
١٩٠٥	٧٧

السنة	شهادة القسم الادبي	شهادة القسم العلمي
١٩٠٦	٢٥٧	١٠٩
١٩٠٧	١٦٦	٥٤
١٩٠٨	١٢٨	١٠٥
١٩٠٩	٢٢٨	١٠١
١٩١٠	٢٧١	١٤٨
١٩١١	٢٦٣	١٨٢
١٩١٢	١٩٥	١٧١
١٩١٣	٣٠٧	٣٠٥
١٩١٤	٢٤٠	٣٠٧

وزاد الاهتمام بمدرسة دار العلوم ، واعدت في سنة ١٨٨٨ لتخريج طلاب يصلحون لوظائف القضاء والافتاء والنيابة بالمحاكم الشرعية . وألحق بهذه المدرسة قسم لتخريج مدرسين أعظم كفاءة وأعزز مادة من مؤدبي المكاتب الصغيرة ومن هذه السنة — اي سنة ١٨٨٨ — تقرر تدريس التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية بلغات اجنبية « لتقوية التلاميذ في هذه اللغات » . والغيت فيها مدرسة الصيان والخرس. وفي سنتي ١٨٨٩ و١٨٩٠ انشئت ست مدارس ابتدائية جديدة ومدرسة صناعية بالمنصورة كما فتحت اول مدرسة زراعية وهي خصوصية بها قسمان داخلي وخارجي ، واعطي لها ٣٠٠ فدان من اراضي الجيزة لتدريب التلاميذ فيها على الاعمال الزراعية. وكذلك حول قلم الترجمة الى مدرسة سلمين على منهج مدرسة المعلمين التوفيقية لتخريج مدرسين يعلمون اللغة الانكليزية

وفي ١٥ فبراير سنة ١٨٩٠ قدم المرحوم علي باشا مبارك مذكرة لتنظيم الكتاتيب بالطريقة الآتية

أولاً — وجود مكتب ابتدائي من الدرجة الثالثة في البلد الذي لا يزيد سكانهُ عن ١٠٠٠

الدكتور على مصطفى مشرفة

الدكتور طه حسين بك

أمين سعيد

اسماعيل مظهر

نفس ومكتب من الدرجة الثانية في البلد الذي سكانهُ يربون عن ١٠٠٠ نفس إلى ٥٠٠٠ نفس ومكتب من الدرجة الاولى في البلد الذي سكانهُ فوق ذلك

ثانياً — إنشاء ٥٠٠ مكتب في مدة عشر سنوات تصل نفقاتها بعد اتمامها إلى ١٥٠٠٠ جنيه سنويًا

ثالثاً — إشراف مجالس المديريات على هذه الكتاتيب وإعانة الحكومة لها لصرف رواتب المعلمين وقد تمت الموافقة على هذه المقترحات ونص على عدم جواز افتتاح مكاتب للتعليم إلا بترخيص يصدر من وزارة المعارف . وفي سنة ١٨٨١ انتخب مجلس التعليم العالي تأليف لجنة علمية استشارية في نظارة المعارف . وفي هذه السنة صدرت لائحة شهادة الدراسة الابتدائية

في عهد الخديوي عباس الثاني

صعد الخديوي عباس باشا حلمي الثاني على أريكة الملك في ٨ يناير ١٨٩٢ وقد كثرت زياراته للمدارس وعنايتهُ بإيفاد البعوث العلمية. وأمر بإعادة تشكيل مجلس المعارف الاعلى في ٩ مارس ١٨٩٦ وجاء في تقرير اللورد كرومر الصادر في سنة ١٨٩٦ عن حوادث سنة ١٨٩٥ ما ترجمتهُ

« وفي اثناء العام الماضي حصل إصلاح مهم في قسم المعلمين المعروف بدار العلوم الذي غايته ان يرشح طالبيه لأن يكونوا معلمين بلغة هي لغة امتهم ولسان قومهم . وكان ذلك الاصلاح من وجهتيه الادارية والدراسية . فقد جمعتهُ مع اكبر المدارس الابتدائية بالقاهرة واكثرها نجاحاً (الناصرية) وحدة إدارية فأحيلت نظارتهُ على من هو اقدر النظار الوطنيين التابعين لنظارة المعارف حظًا من المهارة والمقدرة ». وانشئت في سنة ١٨٩٦ مدرسة الشرطة (البوليس) والادارة

وفي سنة ١٨٩٧ ادخلت في منهج التعليم الابتدائي دراسة الديانة والتهذيب والتربية

وفي هذه السنة وكلت الحكومة إلى ناظر مدرسة الناصرية (امين باشاسامي) بعمل احصاء رسمي دقيق للكتاتيب فكانت النتيجة ما يأتي :

عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	عدد التلاميذ
٩٦٤٧	١٤٥٨٣	١٨٠٥٤٧

وكانت النسبة المئوية للمعلمين بالكتاتيب المذكورة بموجب هذا الاحصاء من بالغي سن التعليم ما يأتي

	ذكور	اناث
المحافظات	٢٥ ٪	٢ ٪
الوجه البحري	٣٧ ٪	٥٧ و٠ ٪
الوجه القبلي	٢١ ٪	٣٢ و٠ ٪

ومما يستحق الذكر هنا ان المستر دجلس دنلوب تعين مفتشاً بنظارة المعارف وتبع ذلك تعينهُ سكرتيراً عمومياً للادارة في ٨ مارس سنة ١٨٩٧ . وفي سنة ١٩٠٠ انشئ قسم للمعلمات بالمدرسة السنية

العلم والاجتماع

رسالة المقتطف وأثره

لاسماعيل مظهر

أوقف الدكتور يعقوب صروف حياته على خدمة العلم ، متخذاً من المقتطف ، التي تكمل بهذا العدد سنيها الستين ، ميداناً لجولاته الواسعة ونظراته الثاقبة وجهوده المتواصلة . وإنما يدل على انهُ اوقف حياته على العلم ذلك الصبر الطويل والايمان الثابت بما سوف يكون للعلم من شأن في الشرق العربي ، في زمان كان كل ما حوله ظلام دامس ، وجهل مخيم ، وغفلة ضاربة بجرانها على كل نواحي الشرق ، عند ما ارسل من المقتطف اول شعاع من اشعة النور اخترق تلك الظلمات ، وكان ذلك منذ ستين سنة خلون ، حتى فارق هذه الحياة ، وهو مؤمن بقداسة الرسالة التي يؤديها لاهل جيله وللاجيال المقبلة ، إيمانه بها منذ ان بدأ العمل لها

ويكفي ان تلقي نظرة على الحالات التي قامت في الشرق في اواخر القرن التاسع عشر ، لترى ان الدولة العثمانية ، رجل اوربا المريض ، كانت على فراش الموت تنزع الروح نزعاً اليماً طويلاً ، ودولات اوربا من حولها كانهن نسوراً ينبشن جثة هامدة ، تقتطع منها الهبرة بعد الهبرة ، وتلتقم منها الجزلة بعد الجزلة ، والعالم العربي في سبات لاه عن كل ما هو قائم من حوله من شؤون الدنيا ، والجاسوسية تنخر في عظامه ، وسوء الحكم يعمل من اوصاله ، ويضرب في اصوله ، ضرب جبار قوي الاصلاب

قال كاتب تركي : « لقد عوّدنا ان نلقن باننا عبيد الملك ، ظل الله من فوق الارض ، وانا له ملك ومتاع . وهذا يتضمن ضرورة الاعتقاد بانهُ ليس عندنا من شيء يمكن ان يقاوم خليفة الله المتربع من فوق عرش الارض ، وانهُ لن يكون لنظام اجتماعي أثبت اصولاً من نظامنا ، ولا حياة دنيوية أسعد ولا أمتع من حياتنا . بينما كانت الحقائق الملموسة توحي الينا كل حين بان في انحاء مملكتنا فقراً وجوعاً ، وان جزءاً بعد جزء من اطراف عاهليتنا يؤخذ عنوة ورغماً منا ، نهباً واغتصاباً . وكانت لنا حكومة هي أضعف من احط الحكومات الاوربية ، متردية في حمأة الرشوة ، مفككة الاوصال ، مضطربة الاحوال ، بعيدة عن حكم الشرائع والآداب »

في ظل هذه الحكومة نشأ يعقوب صروف فآمن بالعلم في بيئة كفرت به ، وآمن بالانسانية في محيط انكرها ، وآمن بالعقل في ظل نظام لم يقم الا على الشهوات ، بل على أخس الشهوات . وكان من الطبيعي ان لا يجتمع الايمان بشيء والكفر به في وسط واحد ، فاعتزلهم وهبط مصر ، فحسنت بحريتها واوسعت المجال لكفاياته العليا ، فأفرغ في سبيلها كل ما أودعته الطبيعة من قوة الروح وسلامة العقل وقويم الخلق ، وخلف لها من بعده تراثاً تتوارثه الاجيال ثم الاجيال

وفي ذلك الوقت قصر العلم في انحاء العاصمة العثمانية على ما كان يلقى بين جدران المساجد والتكايا من ضروب البدع التي دخلت الدين الاسلامي الحنيف ، وعكف الفقهاء وطلاب العلم على درس فروع من الفقه الاسلامي ماتزل بها كتاب ولا جرت بها سنة ولا سلم بها عقل . كأن يدور الحوار بين الفقهاء مثلاً في ان بقرة ولدت عجلاً يتكلم وحفظ القرآن ، أيجوز أن يصلي بالناس جماعة يوم العيد ؟ وهل يصح ذبحه وأكل لحمه بعد أن يؤدي بهم هذا الفرض إماماً ؟

وفي جو هذه الظلمات التي تساقطت على العالم الشرقي كسفاً شديدة السواد ، اخذ المقتطف يبشر للناس بمذهب النشوء والارتقاء ويأخذ بضلع من الملحمة القائمة من حول نظرية النشوء ونظرية الخلق المستقل ، وينقل آراء داروين وهكسلي ويناقش في آراء سنت جورج ميفارت مقاومها العنيد وخصمها الالدود ، وينتصر لنظرية النشوء والقول بان الانسان منحدر من صورة من البشريات احط من صورته التي تلابسه الآن ، والناس يرمونه بالكفر ويقولون بأن المقتطف انما يدعو الى القول بان الانسان اصله قرد ، على الضد مما تقضي به حقائق العلم ونظريات التطور نفسها ، ويشتد اللجاج بين الكتاب وينشر السيد جمال الدين الافغاني عن ساعده ويمضي مبشراً بمذاهب خرقاء في العلم الطبيعي ويناقش في اشياء لا علم له بحقائقها ولا اتصال لثقافته بها ، ثم ينجلي الغبار الذي يثيره عن أن رأس البرغوث اذا نظر من خلال مجهر ظهر كأنه رأس فيل ، فهل يدل ذلك على ان الفيل اصله برغوث تضخم وانتفخ ، ثم تدرج في التضخم والانتفاخ حتى صار فيلاً ! !

بمثل هذه الثقافة ، وبهذا القدر من الاستنارة ، كانت تناقش حقائق العلوم الحديثة التي يبشر بها المقتطف لاهل الجيل الماضي . وما كان للذين يميلون هذا الميل في مناقشات تدور حول نظريات حديثة ، قبلها الكثيرون من أهل اوربا بتحفظ شديد ، ان يكونوا يوماً من الايام عوناً على تحرير الافكار أو محاربة البدع أو صرف الناس الى متجهات جديدة تتقلهم من العقلية القديمة التي ورثوها عن قرون الظلامية القديمة Obscurantism بما فيها من تصوفية مريضة أو كلامية تقوم على الفروض الذهنية ، أو يعملوا يوماً على تقويم الخلق الانساني بما تقتضيه الانقلابات الفكرية والتصويرية التي خلقها العلم الحديث ، أو يدركوا ان لهذه العلوم اثراً في بحث حالات الاجتماع وتأثر الجماعات بمختلف ما في الطبيعة من مؤثرات

وكانت جماعات الشرق القائم في ذلك الحين ، قد انحلت روابطها الاجتماعية انحلالاً عظيماً ، ظهر أثره في خضوع هذه الامم لضروب الاستبداد الشديد والمظالم العتية التي انزلت بها اقسى ما يروي التاريخ من كوارث وملمات . واحاطت بها امم أوربا احاطة السوار بالمعصم ، تبث فيها دعايات مختلفات ، مكن لها ذلك الانحلال الاجتماعي ان تجد البيئة الصالحة للنماء والتمكن من طبائع اهل الشرق ، حتى لقد زين لاهل الرأي منا ، ان تلك الزخارف التي وصلتنا عن أوربا انما هي طريق الرقي والسداد ، وسبيل القوة والاستقلال ، في حين انها كانت العامل الذي قطع ما بيننا وبين ماضينا وحلّ آخر عقدة كانت تربطنا بثقافاتنا القديمة واخلاقنا القومية ، بعد أن عملت فيها يد الجمود ما عملت ، وبعد ان غشيها من غفلة الحكومات ما غشيها

وقد يتبادر الى البعض ان مظاهر الرقي الذي يبدُو في افق كثير من امم الشرق في هذا العصر انما يرجع الى الدعايات السياسية او الى التصيحات التي قام بها بعض اصحاب الوطنية الملتهبة على ما لهم فيها من فضل ، وما خلفوا فيها من أثر . ذلك بأن الدعايات السياسية في الامم المستضعفة لن تجد لها سبيلاً الى القلوب أو العقول ما لم يتم في الانفس والاذهان حالة تحفز الجماعات الى العمل لاسترداد ما فقدت والاستمتاع بما يستمتع به غيرها من الناس ، فان حياة الامم وقياسها من حيث الرقي أو الفساد ، انما يكون دائماً بقدر تصوراتها . واذن تكون مظاهر الحياة اشباحاً معكوسة في الخارج من مجمل ما يقوم في الذهنية الجماعية من تصورات . وعلى قدر هذه التصورات يكون الحافز الذي يحفزها الى العمل . ولا شكّ في ان التصورات تقوم على العلم بما هي الحياة، وكيف يجب ان تكون ؟ وعلى قدر العلم بالشيء تكون ماهية التصور الذي يقوم في الاذهان

وما كان لنا ان ننسى أن تصوراتنا القديمة قامت على اشياء بعدت عن العلم الطبيعي وعن علاقة الاحياء بالبيئة التي ينشأون متأثرين بعواملها . ولقد ظنّ الشرق العربي قروناً طوالاً يقيم تصوراته على ما تضمنت الكتب القديمة من نظريات وفروض ، بعدت عن الطبيعة ، بعد الطبيعة عن أن تكون على قدر تلك العقول التي وضعت تلك الكتب . فظلت شعوب الشرق واقفة والدنيا من حولها تدور ، وانطوت في داخل تلك الصدفة التي أحكم اغلاقها تصورات الذين اقفلوا في وجه هذه الامم باب الاجتهاد ، فأوصدوا على العقول ابواباً فولاذية ، اتخذوا من مشاعر الجماهير وتصورات الجماهير وسيلة لايصادها ، فنزلوا بالعلم وبالدين وبالاخلاق وبكل ما سمى وجلّ من معاني الحياة ، الى مستوى ما تسبح فيها احلام الجماهير واهل الجهل والغفلة من اصحاب النفوذ والامراء والملوك ، ابتغاء تحقيق ما رب دنيا ، واستجابة لنفسية مريضة سقيمة ، سوّدوها على كل فضيلة ، وضحوا لها بكل معاني البر والتقوى

ولقد تناصرت على شعوب الشرق كل القوى التي كان من الواجب ان تأخذ بيدها : ملوكها

وامراؤها وحكوماتها والمسيطرون على الثقافة فيها . لهذا ترى ان قوة الدفع الى الهاوية كانت اعظم من أن تستقوى عليها شعوب مضللة مستعبدة اسلمت بأمور دنياها الى المستبدين ، وبأمور أخراها الى من لم يفكروا يوماً في ان يوحوا الى تلك الشعوب بأن لها ماضياً ، وان لها من العلم والادب والقوة تراثاً ، هو في الحياة سنادتها وعاصمها الذي ليس لها من عاصم سواه . ولقد ظلت هذه الشعوب القرون تلو القرون مستغيثة لحكم المستبدين راضية بأن تهب وتستغل ، قانعة من الحياة بكسرات من الخبز وبوشل من الماء . فأي حافز ذاك الذي حفزها الى النظر في الحياة هذه النظرة الجديدة ، ووجهها هذا التوجيه الانساني ، وجعلها تنظر الى الحياة نظر المؤمن بأن لها فيها حقاً وان من حقها ان تفكر وان تكون حرة في تفكيرها وفي ان تختار من الحياة الوجه الذي يرضيها ؟ اي عصا سحرية ضربت تلك الشعوب تلك الضربة التي ايقظتها وبهتها من سبات القرون المتطاولة ؟ لا شك في انها عصا العلم . فان العلم حر مطلق من القيود ، لا يؤمن الا بعد شك ، فاذا آمن كان ايمانهُ راسخاً وطيداً . هذا خلق العلم . وهذا هو الخلق الذي يغرسهُ الايمان الثابت بكل ما ينزل من العقل منزلة الاحترام والتقديس

ولقد كان من اثر ذلك ان شعوب الشرق قد تنبطت الى العمل الجدي في سبيل تنظيم العلاقة التي تقوم بين الحكومة والمحكومين على اساس العقل والمصلحة العامة ، وأخذت تقاوم النفوذ الفردي مقاومة ظلت في كل الحالات رهناً على الظروف . فظهرت حيناً في ثوب حركات اصلاحية ، وحيناً آخر في صورة ثورات اتجهت نحو تقرير حقوق مدنية وسياسية حرمتها الشعوب ازماناً طويلة . ومن شأن العلم ان ينظم العقل وينظم الشهوات وينظم المطامع . ذلك بأن العلم يقوم على حقيقة اساسية هي تنظيم العلاقات القائمة بين الحقائق تنظيماً يحدد لكل حقيقة منها موضعها الخاص الذي تشغله في نظام الاشياء . وعلى الجملة اخذ المصلحون القائمون على هداية هذه الشعوب ينظمون من الشؤون الاجتماعية والسياسية على مقتضى ما يقوم في عقولهم من تصور العلم وتنظيمه للعقل تنظيماً لا تضارب بين حقائقه ولا طغيان لناحية منه على اخرى . فظهر ذلك مكوساً في كل ما عملوا وسيظهر في المستقبل لابساً ثوباً جديداً من المرونة التي يمتاز بها الاسلوب العلمي ، على قدر ما سوف يكون للايمان بالعلم وأساليبه من اثر في حياة الجماعات

على اننا لا نقصد بذلك ان العلم اصبح المسيطر الاول على حالاتنا الاجتماعية ، أو ان كل المصلحين الذين قاموا في الشرق ومنهم اجتماعيون وسياسيون ، قد تفقهوا بفقه العلم الصحيح ، او ان الشعوب انفسها قد ركزت يقينها بالعلم على قاعدة عامة رشيدة . وانما جل ما نقولهُ أن انتشار الاسلوب العلمي في التفكير والادب ونشر الحقائق الثابتة التي توحي بها طبيعة الاشياء ، قد حوّل الفكرة في حق الشعوب من الحياة ، وزاد الضغط على الحكومات المستبدة ، فجعلها تشعر

بأن من الضروري ان تكيف موقفها ازاء المحكومين تكيفاً يتفق والاتجاه الجديد الذي اتجهت فيه العقول ، وجرت فيه الميول والعواطف ، اتقاء الارتجاج الاجتماعي والثورات الفجائية

وسوف نجد مؤرخ المستقبل ، اذا اراد ان يقف على الاسباب التي هيأت الظروف لظهور هذه المتجهات الحديثة ، انه امام مشاكل اجتماعية عميقة ، لا بدّ له من الاكباب على درسها من طريق العلم . على انهُ سوف يجد في علوم الاحياء وعلاقتها بالمسائل الاجتماعية مرشده الامين الذي يتيح له سبيل البحث في الحركات السياسية والاجتماعية التي قامت في خلال نصف قرن كامل ، يبلغ جزءاً من القرن التاسع عشر ، وجزءاً من القرن العشرين . ولسوف يرى ان تعليل الكثير من مظاهر التطور الاجتماعي التي حدثت في مدى هذه الفترة ، يستطاع من سبيل واحد ، هو الاكباب على درس المبادىء التي قررها العلم في عقلية الجماعات وفي علم النفس التحليلي والاجتماعي

على ان الشرق ان اراد ان يخطو الى الامام خطوات واسعة في سبيل الارتقاء الحقيقي وان يضرب في معارج التطور الثابت نحو حالات اسعد وأفضل ، فان من واجبه ان يجعل السياسة تابعة للعلم الاجتماعي ، القائم على حقائق العلم الطبيعي . فان السياسة في الشرق قد قامت الى الآن على نظريات بعيدة عن الاسترشاد بهدى العلم ، ومضت تتخبط في دياجير مظلمة من التقديرات والاعتبارات التي تقوم على غير اساس وطيد الدعائم من حقائق العلم . وكل سياسة لا تقدر العلاقة القائمة بين المتجهات التي تلوح في افق الحياة الاجتماعية وحقائق الطبيعة الخفية من ورائها ، انما هي سياسة مرتجة غير ثابتة ، سياسة لا تؤمن معها العثرات ، ولا تسلم من الكبو والشطط

فلا بدّ اذن من ان تربط بين السياسة وبين العلم ، وان تحكم الصلة بين السياسة وبين منهج اجتماعي تتخذه اماماً تأتمّ به السياسة في الاصلاح المدني . غير ان الطريق الذي مضت فيه اكثر امم الشرق حتى الآن ، لم يدل بعد على ان هذه الحقيقة قد اتخذت مكانها اللائقة بها من عقول الساسيين والمصلحين . ودليلنا على هذا أن سياسة اكثر حكومات الشرق قد فقدت صفة اولية تجعل تنفيذ هذا المطلب ممكناً ، وتلك هي صفة الاستمرار . ومن أصعب الاشياء ان يكون للعلم أثر في بيئة تتقلب بها الاهواء ، وتتقلب فيها دورات الحظ بين ساعة واخرى . وفقدان صفة الاستمرار في سياسة أكثر الحكومات الشرقية هو السبب الاول فيما يقوم اليوم من مظاهر الانحلال الاجتماعي والتوثب الذي نستشعره جائلاً في الاماني والاحلام التي تساور انفس الشباب . ذلك بأن الاستمرار انما هو اتباع طريق مرسوم للاصلاح الاجتماعي يرمي الى غاية معلومة . فاذا فقدت السياسة هذه الصفة ، فقدت اعظم سنادة تمكنها من تخليف الآثار التي يستطاع من طريقها خلق حالات ثابتة ونظامات مستقرة ترضي مطامع شعوب استحدث الاسلوب العلمي في عقلياتها

طابعاً جديداً ، ووسمها بسمة لا عهد لماضيها بها ، وجعلها تنشد في الحياة غايات سامية ومثلاً عليا

وقد يتبادر الى ذهن اولئك الذين أخذهم اليأس من إصلاح أمم الشرق أن ما نتكلم فيه لا يخرج عن نظريات قد يكون في تطبيقها ما يدل على انها أحلام بعيدة التحقيق . والحق انها تكون أحلاماً بعيدة التحقيق ، إذا نحن لم نؤمن بأنها طريق الخلاص الذي لا طريق سواه . فان الجماعات الانسانية باعتبارها كائنات حية من ناحية ، وباعتبارها كائنات ذات نظام اجتماعي من ناحية اخرى ، قد تصدق عليها حقائق علوم الاحياء مطبقة عليها تطبيقاً خاصاً ، كما تصدق على بقية الاحياء الاخرى . ولا اخال ان مفكراً مزن التقدير ينكر ان اتخاذ اسباب العلم وسيلة للاصلاح الاجتماعي ، هو السبيل التي تؤدي بأمم الشرق إلى وضع قواعد ثابتة تنتحيها في التدرج نحو مثلها العليا

على ان من الواجب ان نعي ان لكل جماعة من الجماعات فطرة خاصة وبيئة بعينها ، وان لها مزاجاً تاماً هو نتاج الوراثة الطبيعية والعادات . اما إذا كانت حقائق العلم الطبيعي قد تصدق على كل الاحياء من حيث القواعد والاسس والنواميس ، فإن درس الحالات التي تقوم في كل امة من الامم من ناحية هذا العلم ، يجب ان تعتبر فيها الفطرة والبيئة والمزاج ، حتى يستخلص المصلحون اقوم طرق التطبيق وينزعوا من حالة كل شعب ما هو في احتياج اليه من ضروب الاصلاح ، ويلمسوا الحاجات الاولية التي يمكن ان تتخذ فيها حقائق بعينها من حقائق العلم سبيلاً الى معرفة ماهياتها . وهذا ما جرت أكثر امم الشرق على عكس ما يوحي اليه نابه . فقد مضت هذه الامم تسترشد باوربا ، وتتخذ من حالات أوربا قياساً تقيس عليه حالات الشرق ، من غير ان تعير الطبع الشرقي والمزاج الشرقي والبيئة الشرقية أدنى التفات . ومن اعجب الاشياء اننا مضينا ننقل عن أوربا ثمار تطبيقها لحقائق العلم في نواحٍ يجب علينا ان نراعي فيها مزاجنا الخاص وبيئتنا الخاصة ، وعزفنا عن ان ننقل عنها تجاربها في مسائل تصدق على كل البيئات وفي كل الاحوال . ومثلنا على ذلك اننا نقلنا مثلاً شرائع بعينها عن اوربا لاعلاقة لها بطبعنا ولا حاجة لبيئتنا بها ؟ وكذلك نقلنا عن أوربا طرقاً خاصة في التعليم من غير ان نراعي فيها مقدار ملاءمتها لفطرتنا او ثقافتنا التقليدية

ان ما مضيت فيه من اوجه البحث في هذه المجالة القصيرة فيه بشير ونذير . أما البشير فاننا بدأنا نتجه في تحليل حالاتنا الاجتماعية ودرسها اتجاهاً علمياً . واما النذير ففي اننا لم نضع بعض مناهج إصلاحية ، قائمة على العلم ، لمحافظة الاستمرار والبقاء . والمحصل ان الاصلاح الاجتماعي في امم الشرق ، ينبغي ان يعهد به الى علماء اتصلوا بعلوم الاحياء وعلوم الاجتماع ، تلك العلوم التي كان للمقتطف الفضل الاول في توجيه العقول اليها ، وبث مبادئها في قلوب المفكرين

الاتجاهات السياسية

خلال ٦٠ سنة في الشرق العربي

لامبير سعير
مؤلف « الثورة العربية الكبرى »

يراد بالشرق العربي جميع البلدان التي ينطق اهلها بالضاد ، ويتخاطبون باللغة العربية ، ويتثقفون ثقافة عربية ، ويدرسون ادب العرب ، وتاريخ العرب

وتمتد بلاد العرب هذه من خليج فارس فديار بكر شرقاً حتى الاطلانطي غرباً ومن جبال طوروس شمالاً حتى اواسط افريقية غرباً وتضم الاقطار الآتية : عمان (مسقط) ، البحرين ، نجد ، الكويت ، العراق ، الشام بحدودها الطبيعية (اي سورية الداخلية ولبنان وبلاد العلويين وجبل الدروز وفلسطين وشرق الاردن وكيليكية) والحجاز واليمن ، ومصر والسودان ، وبرقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى ولا يقل سكانها عن سبعين مليوناً من النفوس

ولا يخفى ان اللغة العربية هي التي وحدت بين هذه الاقطار وربطتها بعضها ببعض فقبل الفتح العربي الاسلامي كان ابناؤها يتخاطبون بلغات شتى منها : الاغريقية والسريانية والقبطية والفارسية والبربرية والاوامية والعبرية فزاحمتها اللغة العربية وما زالت بها حتى حلت محلها وصارت اللغة الرسمية لهذه الاقطار كلها ولغة العلم والتعليم والثقافة والادب ، واللغة من افضل الروابط واقواها ومن اعظم الصلات وآمنها في جميع العصور والادوار

نعود بعد هذا التمهيد فندرس حالة هذه الاقطار السياسية عند صدور المقتطف في سنة ١٨٧٦ وتماشي الحركتين السياسية والقومية في تحولها ونصف الادوار الخمسة التي مرّتا بها وهي :

١ — من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٢	٤ — من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٥
٢ — من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠٨	٥ — هو الدور الحالي
٣ — من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٨	

١ — الدور الاول سنة ١٨٧٦ — ١٨٨٢

كان في البلاد العربية عند صدور المقتطف ثلاث حكومات تسيطر عليها :

ا — الحكومة التركية ب — الحكومة الفرنسية ج — الحكومة المغربية

ا — الحكومة التركية

فكانت الحكومة التركية تسيطر على الاقطار العربية الممتدة من خليج فارس حتى حدود الجزائر وهذه اسماؤها : تونس وطرابلس الغرب وبرقة ومصر والسودان والحجاز واليمن والشام ونجد والعراق. وكان بين هذه الاقطار اربعة تتمتع باستقلال داخلي واسع النطاق في داخل الامبراطورية العثمانية وهي : ١ — مصر وسودانها ٢ — تونس ٣ — الحجاز ٤ — جبل لبنان

فكانت في مصر حكومة علوية ثابتة راسخة الدعائم يتوارث عرشها سلائل محمد علي — وكان يجلس على عرشها يومئذ الخديوي اسماعيل باشا وكان نفوذ الباب العالي ضعيفاً جداً في القاهرة فالسلطة كلها بيد صاحب العرش. وكانت في تونس ايضاً حكومة مستقلة استقلالاً داخلياً برآسة «الباي» من ابناء حسين بن علي الكريتي ولا يزال هؤلاء يتوارثون عرش تلك البلاد وكان يجلس على عرش تونس يومئذ محمد الصادق. وكان جبل لبنان مستقل استقلالاً اداريًا تحت سيادة الباب العالي وبضمانة الدول الخمس طبقاً لبروتوكول سنة ١٨٦٠. وكان شريف مكة في الحجاز ايضاً يتمتع باستقلال داخلي محدود النطاق وكانت حالة متصرفية جبل لبنان او اميره تختلف عن حالة هؤلاء الثلاثة فكان يبدل في كل خمس سنوات مرة وكانوا يشترطون فيه الارمنية فلا يجوز ان يقلد هذا المنصب غير واحد من ابناء « يان »

ب — الحكومة الفرنسية

وكانت فرنسا تسيطر على الجزائر. والجزائر هو اول قطر عربي سقط في براثن الاستعمار الاوربي فقد أغار عليه الفرنسيون في سنة ١٨٢٧ فقاوم ابناؤه مدة ٢٠ سنة ثم استسلموا بعد ما تقطعت بهم الاسباب وتغلبت عليهم القوى المادية وقام المراكشيون يطاردونهم ويخرجونهم من بلادهم خوفاً عليها ان يغزوها الفرنسيون ويتذرعوا بوجود اللاجئين منهم للاستيلاء عليها وهو ما وقع بعد ذلك

ج — المغرب الاقصى

وكان المغرب الاقصى هو القطر العربي الوحيد المستقل في ذلك العهد فلا سلطان لاجنبي عليه

الاتجاهات القومية

وكانت هنالك ثلاثة اتجاهات قومية في هذه المرحلة :

الاتجاه القومي لمصر : الاتجاه القومي لسورية : الاتجاه القومي لتونس

فقد كان الخديوي اسماعيل يسعى في ذلك العهد لانشاء امبراطورية مصرية — افريقية تضم السودان وجانباً من الحبشة وبعض المناطق الاستوائية فقد ارسل الحملات العديدة الى تلك الاقطار النائية للاستيلاء عليها ونشر النفوذ المصري في ربوعها وبذل كثيراً من الجهود في هذا السبيل

ولا يخفى ان محمد علي باشا الكبير جد الخديوي اسماعيل باشا عمل لانشاء امبراطورية عربية تضم البلدان التي يتكلم اهلها اللغة العربية وحارب الترك وهزمهم في جميع المعارك التي نازلهم فيها ، ولما قارب مشروعه الختام وكاد يؤتي أكله وقف الانكليز في طريقه واعادوه الى مصر وحصروه في منطقتها الضيقة (سنة ١٨٣١—١٨٤٠) ووجه اسماعيل باشا وجهه في خلال هذه المرحلة شطر افريقية سعياً وراء تكوين «امبراطورية سوداء» بدلاً من امبراطورية جده «السمراء» فلا تعارضه اوربا ولا تقف في وجهه وادرك نجاحاً لا يستهان به

وكذلك كان في مصر اتجاه لانشاء حكم برلماني على مثال النظام البرلماني في اوربا والى الخديوي اسماعيل باشا يعود الفضل في ادخال هذا النظام الى الشرق العربي فقد أنشأ في سنة ١٨٦٦ اي بعد انقضاء ثلاث سنوات على تبوئه الاريكة الخديوية مجلساً سماه «مجلس شورى النواب» ومنحه اختصاصات ضيقة وحدد عدد اعضائه بخمسة وسبعين وجعل تعيين رئيسه ووكيله من حق الخديوي ، وجعل مدة النيابة ثلاث سنوات

واجتمع هذا المجلس للمرة الاولى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٦ اي منذ سبعين سنة برآسة اسماعيل راغب باشا فافتتحه الخديوي ، وظل يجتمع في دورات منظمة حتى شهر اغسطس سنة ١٨٧٨ ففيه وافق الخديوي على الاخذ بمبدأ «المسؤلية الوزارية» وتوسيع نطاق الحكم الدستوري واصدر بهذه المناسبة مرسوماً بشكل كتاب وجهه الى رئيس وزرائه نوبار باشا قال فيه:

«اؤكد لك اني عقدت العزم على التوفيق بين القواعد الادارية في مصر والمبادىء التي تقوم عليها الادارات في اوربا

«واريد ان تحل مكان السلطة الشخصية التي هي مبدأ حكومة مصر الحالي سلطة اخرى تتولى ادارة الشؤون العامة وتجد نقطة توازنها في مجلس الوزراء . وعلى ذلك اريد من الآن فصاعداً ان اقوم بشؤون الحكم مع مجلس وزرائي وبواسطته فكل اعضاء الوزارة يجب ان يكونوا متضامنين معاً وان يتساووا في الامور بأغلبية الاصوات بينهم» . ثم خطت الحكومة الخديوية الخطوة الثالثة في سبيل ادخال النظام الدستوري فوضع شريف باشا في ٢ يونيو ١٨٧٩ دستوراً جديداً على احدث المبادىء العصرية ولكنه لم ينفذ بسبب تغير الخديوي . وتعطلت الحياة الدستورية بمصر في اوائل عهد الخديوي توفيق ثم اعيدت في سنة ١٨٨١ فاجتمع مجلس النواب الجديد يوم ٢٦ دسمبر من تلك السنة . وعطل الدستور وعطلت الحياة النيابية بعد الاحتلال البريطاني في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ولم يعد البرلمان الى الاجتماع الا في سنة ١٩٢٤ . وجملة القول ان الاتجاهات القومية في مصر خلال هذه المرحلة اي في خلال عهد اسماعيل كانت متجهة الى انشاء نظام برلماني مصري ثابت والى فصل مصر عن تركيا وانشاء حكومة مصرية مستقلة

في السلطنة العثمانية

وكانت في السلطنة العثمانية يومئذ حركة اصلاحية تمخضت في سنة ١٨٧٦ عن نظام برلماني فصدر اول دستور تركي مستمد من المبادىء الدستورية الاوربية الحديثة وجرت الانتخابات لاول برلمان فاجتمع فعلاً في دورة واحدة ثم أجاد السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٨ وفي يعد الى الاجتماع الا في سنة ١٩٠٨

وكانت الحركة القومية ضعيفة جداً في بلاد العرب الاخرى وكان للفكرة الدينية او فكرة الجامعة الاسلامية المقام الاول وكان السلطان عبد الحميد يؤثر هذه الفكرة ويؤيدها لمحاربة الفكرة القومية على انه لم يخل الامر — من افراد في بيروت ودمشق — فكروا في الاستقلال العربي وفي انشاء دولة عربية ، وقد وزعت في خلال ذلك منشورات سرية في بيروت بالدعوة الى ايقاظ العرب ، وكان للمرحوم مدحت باشا مؤسس النظام الدستوري في تركيا وخالع السلطان (عبد العزيز ومراد) كما كان يلقب نفسه يد في اذكاء هذه الحركة مدة وجوده والياً على سورية

في تونس

وكان في تونس ايضاً ما في مصر من ميل للاصلاح واخذ بالانظمة الاوربية الحديثة فقد زار الباي احمد باشا فرنسا سنة ١٨٤٦ بدعوة الملك لويس فيليب فبهرته محاسنها وأعجب بما رآه من عمران ورقي ، فشرع في اصلاح الجيش والاسطول بعد رجوعه وادخل كثيراً من الاصلاحات مما احتاج الى مال كثير فمد يده الى فرنسا فعقد معها قروضاً مالية كانت سبب نكبة تونس ، كما كانت هذه القروض سبب نكبة مصر ايضاً. وفي يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ أصدر الباي محمد قانون عهد الامان (الدستور التونسي) وانشئ المجلس الكبير (البرلمان التونسي) وكان يتألف من ٦٠ عضواً وكان محدود الاختصاص . ولم يكن لتونس اتجاه قومي في هذه الفترة وكان همها ولاتها موجه الى التخلص من السيادة التركية وانشاء دولة تونسية مستقلة على نمط الدول الاوربية الحديثة ، وخانها الحظ فسقطت سنة ١٨٨١ في قبضة الاستعمار الفرنسوي

٢ — الدور الثاني سنة ١٨٨١ — ١٩٠٨

ربما كان هذا الدور من أشأم الادوار التي مرت بالاقطار العربية في التاريخ الحديث فقد بدأ بدخول الفرنسيين الى تونس (١٢ مايو سنة ١٨٨١) وتجريدهم حكومة الباي من كل سلطان ، وباشتداد النزاع بين الخديوي توفيق باشا والعرابيين وهو النزاع الذي انتهى بدخول الجيش البريطاني القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ثم بدخوله الى السودان في سنة ١٨٩٩

ومد الانكليز يدهم في خلال هذا الدور الى امارات خليج فارس العربية فسيطروا عليها وادخلوها في دائرة نفوذهم السياسي

وكانت حالة العرب السياسية في البلاد التي ظلت خاضعة للدولة العثمانية غير حسنة بالاجمال ،

وقد حارب السلطان عبد الحميد الفكرة القومية حرب عوان غير مباشرة بتأييده فكرة الجامعة الاسلامية كما قلنا فأدرك من هذه الناحية نجاحاً لا يستهان به فصرف افكار كثير من رجال العرب عن الفكرة القومية وكانت لا تزال في دور التكون وجاء بكثير من رؤسائهم وزعمائهم فأنزلهم على صفات البوسفور بجواره واغدق عليهم الرتب والاموال وعودهم حياة الرفاه والترف حتى لا يفكروا في الخروج عليه او محاربة دولته ، كما ارسل رسله الى العالمين العربي والاسلامي يبثون له دعاية واسعة النطاق ويظهرونه بمظهر المسلم المخلص لدينه العامل لاعلاء شأنه . على أن الامر لم يخل من ظهور حركات قومية ولاسيما في مصر تدعو الى التخلص من الترك وانشاء دولة عربية مستقلة ظل تأثيرها محدوداً . ويمكن القول أن هذا الدور كان مقدمة للدور الآتي وهو دور العمل والنشاط. وقد ابتدأ في سنة ١٩٠٨ باعلان الدستور العثماني وبظهور الحركة القومية العربية في مظهر جديد

٣ — الدور الثالث — ١٩٠٨ — ١٩١٨

يعد هذا الدور من اعظم الادوار التي مرَّ بها الشرق العربي في تحوله السياسي والقومي فقد كان جم المفاجآت كثير الاحداث . وينقسم هذا الدور الى قسمين : الاول : ويمتد من اعلان الدستور العثماني في تركيا يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ حتى اعلان الحرب العظمى في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ والثاني : من اعلان الحرب حتى ختامها في شهر نوفمبر ١٩١٨

لقد كان اعلان الدستور في تركيا سنة ١٩٠٨ وانهيار الحكم الحميدي الاستبدادي وانطلاق حرية الاقلام والالسنة فاتحة تحول في حياة العرب السياسية الذين ظلوا حتى ذلك العهد خاضعين للسلطة العثمانية مباشرة وهم ابناء الشام والعراق والحجاز واليمن وطرابلس الغرب وبرقة فقد عمّهم روح جديدة هي روح القومية فكثر الداعون الى احياء المجد العربي والى بعث الدولة العربية كما كثر انشاء الجمعيات السياسية في الاستانة وفي دمشق وبغداد والقاهرة للمطالبة باقصاف العرب ورد حقوقهم السياسية اليهم باعتبارهم اكثر الشعوب التي تتألف منها الامبراطورية العثمانية عدداً

ولقد كان للاتحاديين سادة تركيا في ذلك العهد يد في اذكاء الروح القومي وفي التعجيل بالنهضة العربية فقد نشطوا في خلال تلك الفترة لتعزيز شأن القومية التركية واعلائها بين أبناء قومهم ولمحاربة الروح العربية وتفريق العرب وغيرهم من العناصر الاخرى التي كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية مما أهاب بهذه العناصر الى جمع شملها وتوحيد كلمتها لمقاومتهم والوقوف في وجههم حفظاً لكيانها ووجودها . وكانت الاتجاهات القومية في هذا الدور ترمي الى انشاء امبراطورية عربية تضم الاقطار التي ظلت خاضعة لتركيا وهي : الشام والعراق واليمن والحجاز اي ان المنطقة التي كان دعاة الحركة القومية يعملون في داخلها خلال هذا الدور ما كانت تتعدى الاقطار الخاضعة للمملكة العثمانية

ودوّت الطليان في خلال هذه الفترة فاستولوا على طرابلس الغرب وبرقة (سبتمبر سنة ١٩١١)

وبسط الفرنسيون حمايتهم على المغرب الاقصى (معاهدة فاس ٣١ مارس سنة ١٩١٢) فأضيف اسم هذه الاقطار الثلاثة الى قائمة الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاجنبي فصارت تسعة وهي :

١ — الجزائر ٢ — تونس ٣ — مصر ٤ — السودان ٥ — طرابلس الغرب ٦ — برقة ٧ — المغرب الاقصى ٨ — جنوب اليمن [1] ٩ — امارات خليج فارس العربية

ولم يك للاجانب حتى سنة ١٨٣٠ اي حتى الاغارة الفرنسية على الجزائر اي سلطان او نفوذ في قطر عربي فسقوط هذه الاقطار التسعة في قبضتهم الواحد بعد الآخر ازعج ابناء الاقطار الاخرى التي ظلت في دائرة الامبراطورية العثمانية ويتهم على مضاعفة الجهود وراء تحرير بلدانهم فلا يصيبها ما أصاب شقيقاتها . والواقع ان دعاة الاستعمار الاوربي واقطابه سعوا سعياً حثيثاً في الفترة التي تقدمت الحرب العظمى لاقتطاع كل ما يمكن اقتطاعهُ من اراضي الدولة العثمانية مستغلين فرصة ضعفها وانحطاطها وانهماك رجالها في المنافسات الحزبية

وأعلنت الحرب العظمى واشتعال الداخلي على اشده بين العرب العثمانيين والاتحاديين الترك فاغتنم هؤلاء فرصتها للتخلص من رجال الحركة القومية العربية ودعاتها فقبضوا عليهم واعدموا اكثرهم شنقاً في الساحات العامة في بيروت ودمشق والقدس ونفوا كثيرين من ابناء هذه الاقطار وكانت الخطة التي وضعوها لقضاء على الفكرة العربية تقوم على اجلاء العائلات العربية الكبرى من سورية وفلسطين والعراق وارسالها الى اقاصي الاناضول واحلال الارمن الذين اخرجوهم من ارضهم وديارهم محلهم . ولا يخامرنا شك في انهُ لو كتب لتلك الخروب الفروس بفوز الترك وحلفائهم الالمان لضعف شأن الحركة العربية ولما ارتفع للعرب ذكر ولعوملوا في بلادهم معاملة الارقاء ، ولمنعوا من التكلم بلغتهم ، ومن تعلمها ومن قراءة تاريخهم ودراسة سير رجالهم وعظمائهم ولحملوا على دراسة سير رجال الترك . ومن كان في شك من ذلك فلينظر الى حالة العرب في كيليكية (ادنه) فقد ضيقت عليهم الحكومة الكمالية المسالك ومنعتهم من التكلم بلغتهم ودراسة تاريخهم توصلاً الى تتريك هذا القطر العربي الذي هو جزء لا يتفصل عن الوطن العربي العام ولا بد للعرب في المستقبل من المطالبة به والسعي لاسترداده ورفع الحيف النازل بسكانه وابنائه فهم يعاملون معاملة لا تتفق مع المبادىء التي وضعتها جامعة الامم لحماية الاقليات الجنسية والدينية في جميع البلدان

الثورة العربية

واعقبت في خلال هذا الدور الثورة العربية ويرادفها تلك التي اضرمها الحسين بن علي على الترك

(١) وضع الانكليز يدهم تدريجاً على المقاطعات الواقعة في جنوبي اليمن وهي لحج وحضرموت وعسير بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٩١٩

في سنة ١٩١٦ بالاتفاق مع بعض رجال سورية والعراق الذين ايدوه ووالوه تخلصاً من جور الاتحاديين الذين ظلموهم وآذوهم وسعياً وراء انشاء امبراطورية عربية تضم الحجاز والشام والعراق . واليك حدودها كما رسمها مؤسسها في كتابه يوم ١٤ يونيو ١٩١٥ الى السر هنري مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر « استقلال البلاد العربية من مرسين ، ادنه (كيليكية) حتى الخليج الفارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ، ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سينا غرباً »

فهذا التحديد للدولة العربية التي نهض الحسين بن علي بمؤازرة رجال العرب في الشام والعراق لانشائها يخرج من دائرتها الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاوربي ويجعلها قاصرة على البلدان التي كانت حتى ذلك العهد تابعة لتركيا . بما في ذلك نجد واليمن وعسير وجنوبي اليمن وكانت تتمتع باستقلال داخلي واسع النطاق في العهد العثماني ، اما جنوب اليمن وقد اراد الملك الحسين ادماجه في الدولة العربية فكان مشمولاً بالحماية البريطانية . وابى الانكليز الموافقة على الحدود كما جاءت في كتابه وردّ عليه السر هنري مكماهون يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٩١٥ يقول : « اما ما يتعلق بقضية الحدود فقد يكون بحثاً في مثل هذه التفاصيل — والوقت قصير والحرب قائمة — سابقاً لاوانه وخاصة لان تركيا لا تزال تحتل قسماً كبيراً من الاراضي التي اشرتم اليها في مشروعكم احتلالاً تامًّا » . فكتب اليه الحسين يوم ٩ سبتمبر ملحًّا في البت في قضية الحدود « لان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد تتمكن من ارضائه او مفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد » وقال نائب الملك يوم ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ في رده « وقد ادركت من كتابكم الاخير انكم تعلقون اهمية كبرى على قضية الحدود وانكم تعدونها من المسائل الحيوية ، فأرسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية وانه ليسرني أن ارسل اليكم البيانات التالية التي اثق كل الثقة بأنها ستفوز برضائكم

« ان مرسين واسكندرونه وبعض الاقسام السورية الواقعة في غربي دمشق وحمص وحماه وحلب لايمكن ان يقال عنها انها عربية محضة . فيجب ان تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على اساس هذه التعديلات على ان لا تقضي شيئاً من اتفاقنا مع الزعماء العرب . اما الاراضي التي تستطيع انكلترا العمل فيها بملء الحرية ودون ان توقع ضرراً بحليفتها فرنسا فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة ان اعطيكم التأمينات التالية جواباً على كتابكم

١ — ان انكلترا مستعدة على اساس تلك التعديلات ان تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة ٢ — تعمي بريطانيا الاراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوحدتها ٣ — تقدم بريطانيا للعرب — عند الحاجة — كل مساعدة او نصيحة

تلزم وتعاونهم في انشاء افضل شكل من اشكال الحكومات في مختلف البلدان العربية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان العرب يوافقون على الاقتصار على استشارة ومعونة بريطانيا وحدها ويرضون بأن يكون جميع الموظفين الذين يحتاجون اليهم في تنظيم دوائر ملكتهم من اتباعة الانكليزية

« أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد فان العرب يعرفون ان مركز انكلترا ومصالحها فيهما تتطلب شكلاً اداريًا خاصًا ، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوطيد مصالحنا المشتركة »

وهكذا اخرج الانكليز من نطاق الحدود التي رسمها الحسين ولاية الموصل ولبنان الكبير كما اخرجوا ولايتي البصرة وبغداد واستثنوا الاقطار العربية الخاضعة لزعماء العرب ويراد بها عسير واليمن ونجد فلم يبق سوى الحجاز وفلسطين وسورية الداخلية

٤ — دور السياسة الانكليزية : ١٩١٨ — ١٩٢٥

وضعت الحرب اوزارها يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ وانتهت بانتصار الحلفاء وهم الذين انضمّ اليهم العرب وقاتلوا في صفوفهم من دون ان تحقق لزعماء الحركة العربية ما كانوا يطمعون بنيله فقد وضع الانكليز في نهايتها يدهم على العراق وعلى فلسطين وشرق الاردن باسم الانتداب ووضع الفرنسيون يدهم ايضاً على سورية ولبنان وأضافوها الى الاقطار العربية الاخرى التي يسيطرون عليها. والبلاد العربية التي ظلت في خارج منطقة الاحتلال الاجنبي هي: ١ — الحجاز ٢ — نجد ٣ — اليمن. ومعنى هذا ان جميع الاقطار العربية (ما عدا جزيرة العرب الاصلية) كانت في هذه الفترة خاضعة للاستعمار الاوربي . وضعف شأن الحركة القومية في اوائل هذا الدور وفترت همة بعض رجالها فانتشت فكرة السياسة الاقليمية وراجت ومضاها انصراف كل قطر من الاقطار العربية الى العناية بشؤونه الخاصة من دون ان يكون لهُ ارتباط او اتصال مباشر بالاقطار الاخرى

وأثرت مبادىء الحرب في نفوس ابناء الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاجنبي وفعلت مفعولها فتحرك بعضها يطالب بحقوقه . فكانت في مصر ثورة (سنة ١٩١٩) وفي العراق ثورة (سنة ١٩٢٠) وفي تونس ثورة (سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠) وفي سورية ثورة (سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٧) وفي المغرب الاقصى ثورة (سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦) وفي فلسطين ثورة (سنة ١٩٢٩)

وكذلك وقعت في داخل جزيرة العرب احداث خطيرة غيرت وبدلت من وضعها السياسي فقد استولى ابن سعود في خلال هذه الفترة على امارة آل الرشيد في حايل (سنة ١٩٢٠) وعلى الحجاز سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ وعلى امارة الادارسة سنة ١٩٣٣ فتكوّنت في داخل الجزيرة

دولتان لا ثالث لها : دولة الجنوب وهي دولة اليمن ويشمل نفوذها اليمن وتهامة (ما عدا النواحي التسع المشمولة بالنفوذ البريطاني) ودولة الشمال وهي الدولة السعودية وتضم الحجاز ونجد وعسير وتهامة وادركت القضية العربية في آخر هذا الدور نجاحاً لا يستهان به تمثل فيه :

١ — تحرير العراق من الانتداب ودخوله جامعة الامم سنة ١٩٣٢ — ٢ — نشأة الدولة السعودية الكبرى ٣ — عدول الوطنيين السوريين عن السياسة الاقليمية واعلانهم الرجوع الى السياسة القومية سياسة الوحدة العربية (٩ يناير سنة ١٩٣٦)

٥ — دور الهجرة او الدور الحالي

يبدىء هذا الدور بعقد ميثاق التحالف بين العراق والمملكة السعودية في بغداد يوم ٢ ابريل سنة ١٩٣٦ وهو الميثاق الذي يصح ان يسمى قاعدة الوحدة العربية فقد جاء في المادة السادسة منهُ « يجوز لاية دولة عربية مستقلة ان تطلب الانضمام الى هذه المعاهدة ايضاً » وبظهور اتجاهات جديدة في بعض الاوساط المصرية لتأييد فكرة الجامعة العربية وانضمام مصر اليها وباتساع نطاق التعاون التقافي بين مصر والشام والعراق والحجاز واليمن اتساعاً يستوقف النظر ويدل على تحول في الاتجاه القومي وعلى ان فكرة الوحدة العربية تقدمت تقدماً محسوساً في بلاد العرب الشرقية وهي مصر والشام والعراق والحجاز واليمن اما في بلاد العرب الغربية اي في شمالي افريقية وهي برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى فلا يزال انتشارها محدوداً لبعد الشقة وصعوبة المواصلات ولان السلطات الحاكمة هناك تحاربها وتعرقل انشاء اتصال مباشر بين ابناء تلك البلاد وبين اخوانهم من عرب هذه البلدان

وخلاصة القول ان في كل قطر من أقطار العرب المستقل منها وغير المستقل اتجاهين :

الاول — لتحريره من كل نفوذ اجنبي اذا كان خاضعاً لهُ والفوز بالاستقلال

والثاني — لتعزيز فكرة الوحدة العربية وتأييدها ونشرها لتسهيل انضمامه الى الاقطار العربية الاخرى التي استقلت وقد وضعت حكومة العراق والبلاد السعودية قاعدة هذا الاتحاد بميثاقهما الاخير واعلناه كما تقدم انه مفتوح امام كل دولة عربية مستقلة

كيف ينشأ الاتحاد

اما طريقة انشاء الاتحاد العربي ونظمه والاساليب التي تتبع لتحرير الاقطار العربية الاخرى التي لا تزال خاضعة للاجانب فقد وفيناها حقها في كتابنا الجديد « الدولة العربية المتحدة » وقد صدر الجزء الاول منه في هذا الشهر واسمه « تاريخ الاستعمار البريطاني في بلاد العرب » فليرجع اليه من شاء زيادة ايضاح وبيان

صواكب الاعلام

مختارات مما نشره المقتطف فى ممر الستين السنة الماضية

---

١ — اطباء الشرق
للدكتور كرنيليوس فانديك

٢ — الهرم والشعرى
لمحمود باشا الفلكى

٣ — النباتات المصرية الطبية
للدكتور حسن باشا محمود

٤ — الباب والبابية
للسير مرزا فضل الله الايرانى

٥ — التربية والحجاب
لقاسم امين

٦ — شرف العمل
لمحمد كرد على

٧ — فلسفة الاحلام
للفيلسوف برغسن

٨ — موعظة شهر الورود
للآنسة مى

٩ — النهضة الشرقية الحديثة

الشيخ مصطفى عبد الرازق — سامى الجريدينى المحامى
عباس محمود العقاد — الدكتور بيارد ضرج — امين الريحانى

١٠ — الثورة المقبلة

للورد سترود

ستون سنة

ستون سنةً ، سارت في خلالها الحضارة سيراً حثيثاً الى الامام . ففي الافكار تنبهٌ ، وفي الآراء تعديل ، وفي الآداب ثورة ، وفي المعتقدات انقلاب ، وفي نظم الحكم تحوُّل ، وفي امور المعيشة ارتقاء لا يضاهيه ارتقاء في كل ما سبق من عهود التاريخ ، وفي جميع فروع العلم وابواب البحث ، اكبابٌ على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى ، والعلماء في كل قطر ، مثبتون في كل صقع ، مكبّون على كل موضوع ، يبحثون ويمحّصون ويكشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او مرض او موت ، وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مبدعيه ، ورفات نظرياتهم وآرائهم

هذا والطبيعة لا تزال كما كانت ، الها تحدى الركائب ، وعلى النفوذ الى مكامن اسرارها تطلّق أبعد الغايات . كواكب وسيارات ، واثار ومذنبات وسدم ، ترصع الفضاء ، وصخور تتدحرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في سهولها وجبالها ، وانهار تحتفر مجاريها في التراب ، وحيوانات تبقي هياكلها في طبقات الثرى ، وانبتة تكتب قيودها في اطباق الفحم ، ورجال يقلبون الغامر عامراً والعامر جنة تجري من تحتها الانهار . فالهواء يدوي بالاصوات ، والجوُّ حافل بالاشارات ، والاجتماع كرة تتقاذفها قوى الدفع والجمع ، والارض كلها رقعة دوّن فيها تاريخ الاحياء وغير الاحياء ، والرقعة في ظرف مختوم ، والعلم يرنو الى فض الظرف واعلان محتوياته واسراره

من اكثر العلوم النظرية دقة وغموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعدها اثراً في معايش الناس ، من ادق المعادلات الرياضية الى اعوص الآراء الجديدة في شكل الكون وبناء المادة ، الى احدث المكتشفات والمستنبطات في الزراعة والصناعة والمواصلات والمخاطبات والوقاية والعلاج ، الى اشهر المذاهب في الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس — كل ذلك اصاب من التقدم والتحوُّل في الستين السنة الماضية ، مما يجعلها من اعظم العصور مقاماً في تاريخ الانسان على وجه الارض

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولاً امينًا بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، في ميدانه الرحب التقت اقلام العلماء والادباء والفلاسفة ، من ابناء الحضارتين ، والمقتطف واقف للحضارة بالمرصاد ، يقتطف من العلم كلّ طارف وكلّ تليد ، ويقيّس من الاجتماع والادب كلّ اتجاه ، ويزفُّ نباءهُ اجمالاً او تفصيلاً الى ابناء الشرق العربيّ ، في غرة كل شهر ، في ثوب ، آيتهُ البساطة والسلامة ، وغرضهُ الفائدة الخاصة والخدمة العامة

فلّب صفحات مجلداته الثانية والثمانين ، تتوالى امامك مواكب الاعلام ، في مركبات فاخرة ، من العلم الراسخ والفكر المتوقد والخيال الذهبيّ والخلق الكريم هنا تجد ، اعلام الفلسفة من افلاطون

وارسطوخانيس الى الكندي والفارابي وابن سينا ، الى كانت وكونت وسبنسر ونيتشه ووليم جيمز وهنري برغسون. واعلام العلوم الطبيعية والفلكية ، من طاليس وارسترخس وبطليموس ، الى ابن الهيثم وابن حيان والبتاني الى غليليو ونيوتن وهوجنس ولافوازييه ومندليف وكوري ، الى ميكلسن وملكن واينشتين . واعلام العلوم الطبية ، من ابقراط وجالينوس الى الفافقي والرازي والزهراوي وابن البيطار ، الى هارفي وجنر ، الى باستور واستر وكوخ وبهرنج ورس وبانتنغ . واعلام الاحيائيين والمواليديين من طبقة كوفيه ولينيوس وداروين ورسل ومندل وهكسلي ومورغن . واعلام المخترعين من وط وستيفنصن، الى مورس وبل ، الى اديسن ومركوني وده فرست وبيرد . واعلام الرواد ، من روّاد المصريين القدماء الى روّاد العرب في القرون الوسطى ، الى فاسكو دي غاما ، وكولمبوس ومجلان وسكوت وبيري وشكلتون وامندسن وحسين وبرد. واعلام السياسة والحرب والادب والشعر والعمل والمال، الى ارباب العلم والفكر والخيال في الشرق العربي — كرنيليوس فانديك ، وشبلي الشميل، وسليم الموصلي ، ويوحنا ورتبات ، وبشاره زلزل ، وحسن باشا محمود، ومحمود باشا الفلكي ، وشفيق منصور ، وقاسم امين ، وجبر ضومط ، وفرح انطون ، ومحمد كرد علي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وامين المعلوف ، وشوقي ، وحافظ ، وولي الدين ، وخليل مطران، ومصطفى صادق الرافعي، ومحمد عبد الحميد، وطه حسين، وايليا ابوماضي ، ومحمد شاهين باشا ، وحسين سرّي باشا ، والامير مصطفى الشهابي ، وامين الريحاني، وعباس محمود العقاد ، وأنيس المقدسي ، واسماعيل مظهر ، والآلوسي . . .

جميع هؤلاء ، وعشرات بل مئات غيرهم من الاعلام الذين لا تتسع لمجرّد ذكرهم صفحات رمنها من المقتطف اذاع المقتطف آثارهم او سيرهم او حقائق الموضوعات التي اشتغلوا بها والمذاهب التي ذهبوا اليها او خطرات نفوسهم الحسّاسة وأخيلتهم المنهذّبة . فكيف يسع الباحث ان يختار فصولاً تعدُّ على اصابع اليدين ، من ثمانية وثمانين مجلداً، تربي صفحاتها على خمسين الف صفحة او ستين الفاً ، وتضمُّ في نطاقها بحوثاً ونبذاً في جميع فروع المعارف القديمة والحديثة ؟

ان العمل متعذّر بطبيعته ولكن ما لا يدرك على الوجه الاوفى لا يسقط اهمالهُ كلَّ الاهمال بوجهٍ من الوجوه . فالفصول التي تتوالى في القسم التالي من هذا العدد التذكاري ، لم نراعِ في اختيارها صفة خاصة ، وانما كنا نفتح المجلد من المقتطف اتفاقاً ، ونقلب صفحاته ، فنعثر بمقال يستوقف النظر ، بما اصاحبه من مقام ، او بما في بحثه من طرافة او حكمة ، او بما يدلُّ عليه من المراحل في تطور موضوع من الموضوعات وارتقائه

وقد يعجب القارىء اننا لم ننشر في هذا العدد مقالاً من المقالات العلمية التي كان منشاءُ بكتابتها فيه ، مع ان المقتطف مجلة علمية ، قبل ان تكون مختصة بالادب وما الى الادب من ألوان

الكتابة ، ولكن الحائل دون ذلك ، ان نصف ما نشر في المقتطف او اكثر من النصف كتبهُ منشاؤهُ او من تولى مساعدتهما في تحريره ، فكيف يستطاع اختيار فصل او فصلين من ثلاثين الف صفحة ؟ يضاف الى هذا ان الموضوعات العلمية ، التي نشرت في النصف الاول من حياته اقرب الى بسط المبادىء والاصول لترسيخها في اذهان قرائه، فإعادتها الآن وقد ذاعت بواسطة معاهد التعليم والمجلات الثقافية قلما يفيد . ثم ان سرعة التقدم العلمي في ما انقضى من هذا القرن كان سريعاً ، يبعث على الدهشة في سرعته ، فما كتب في بناء المادة سنة ١٩٢٠ لا يستقيم منهُ الآن الا جانب يسير ، وان مقالات المقتطف العلمية جمع بعضها في كتب على حدة اشهرها « بسائط علم الفلك » و « العلم والعمران » و « فصول في التاريخ الطبيعي » و « الرواد » و« معجم الحيوان» و « فتوحات العلم الحديث »

بسط المقتطف في خلال حياته نظرية التطور العضوي من جميع نواحيها ولاقى في سبيل ذلك عنتاً عظيماً كما بيّن الدكتور عمر في مقالته التي صدّرنا بها هذا الجزء التذكاري . وحارب السحر والشعوذة، وحذّر من التمادي في الاستسلام لاقوال المدّعين مناجاة الارواح وتصويرها، ووصف المذاهب الطبيعية الجديدة في علمي الطبيعة والكيمياء ، من ناحيتيها النظرية والعملية ، وكلف بالمباحث الفلكية وتقدّمها، ولم يغفل الآثار وطرائقها ومعانيها التاريخية، والتفت الى نواحي الارتقاء الاجتماعي، وشرح المذاهب المختلفة في علم النفس على القواعد التي رسمها فرويد ومكدوغال وكوهلر وباڤلوف والسلوكيون في اميركا ، ووضع في جميع هذه العلوم الفاظاً ومصطلحات عربية ذاع معظمها وصار مألوفاً، وأيّد نهضة المرأة الشرقية بالدفاع عن حقوقها واشراكها في تحرير المقتطف ونشر ما يلزم لها في حياتها العامة والخاصة ، وكان لا يدع موت علم من الاعلام ، او الاحتفال بذكر علم من الاعلام ، ان يمر من دون ان يبسط سيرتهُ او يلخصها ، سواء في ذلك العالم والطبيب والمؤرخ والاديب والشاعر . فالذين يدين عليه انهُ لا يعنى الا بالعلم، ينسون الغرض الرئيسي الذي انشىء لهُ ، وينقلون ما جاء في مجلداته من مئات الصفحات بل من الوفها ، عن المتنبي وأبي تمام والبحتري وامرىء القيس وأبي العلاء وشكسبير وملتن وشلي وتنسن وبيرون وكيتس وهاردي وغالزوردي وبرنارد شو وڤيكتور هوغو وجوته وبيرلوتي وأناتول فرانس وغيرهم وما نقل من آثارهم ، وما نشره من فصول في الاحتضارات والتعزيات ومنزلة الشعر في التاريخ ومرامي الشعر العالية ، علاوة على ما اثبتهُ من مختار الشعر لكبار شعراء العربية في عهده

فالفصول التالية في هذا الجزء التذكاري ليست الا نصيلة مختارة من مواكب العلم والادب والتاريخ كما توالت في صفحات المقتطف من ستين سنة الى يومنا هذا

من مئتين سنة
في المقتطف

أطباء الشرق

للدكتور كرنيليوس فانديك

ليس ثمة تاريخ أسقم من تاريخ اطبّاء العرب فيقتضي جمع ما يذكر منهُ من مؤلفات كثيرة بعضها يناقض بعضاً احياناً والكل ممزوج بحكايات وخرافات لا اصل لها وكثيراً ما يعسر تمييز فاسدها من صحيحها . ومن المؤلفات التي منها جمعت ما اقوله في هذا الموضوع تاريخ الدول لابي الفرج الملطي وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان وتاريخ المسلمين لابي الفدا الحموي وكتاب المكتبة الشرقية للقس السمعاني الماروني وكتاب تهذيب الاسماء لابي زكريا يحيى النووي وكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وكتاب طبقات الشافعية لابن شهبة

كان العرب قبل الاسلام محصورين في شبه جزيرة العرب وحسب ما بقي من تواريخهم لم يقم بينهم عالمٌ شهير طبيباً كان او غير طبيب وانما كثرت فيهم الشعراء . واطباؤهم اخذوا ما اخذوهُ من الطب عن السريان والفرس والهنود ولذلك نذكر بعض الذين اخذ عنهم اطباء العرب قبل الاسلام اي قبل القرن السابع بعد المسيح

(١) قطقه الهندي . كان من مشاهير حكماء الهند وفلاسفتهم . حكى ابو معشر جعفر بن محمد ابن عمر البلخي في كتاب الالوف ان قطقه كان من اشهر علماء الهند في معرفة علم الهيئة وعلم الطب. ومن مصنفاته كتاب اسرار المواليد وكتاب الاقتران الاعلى والاسفل للسيارات وكتاب قوانين الطب وكتاب دوران الافلاك وكتاب منازل القمر

(٢) سندشهل الهندي. حكيم عالم في الهيئة والطب . وذكر في الكتب العربية عدة اشخاص من مشهوري الهنود حكماء في الطب وعلم الهيئة منهم باكور ورجاء وصفا وداهر وانكر وزنكل وشهر وانديو وجادي وتُرجم كثير من مصنفاتهم الى العربية . وذكر الرازي في الحاوي هنديًّا اسمهُ شركة تُرجمت مصنفاتهُ الى الفارسية ومن الفارسية الى العربية عن يد عبدالله بن علي وكتاب سُسْرُود تُرجم من الفارسية الى العربية بسعي يحيى بن خالد البرمكي وكتاب نداتا ذكر فيه اربعمائة مرض واربعة امراض وكتب أُخر هندية تُرجمت الى العربية مثل كتاب علل النساء وكتاب البكر وكتاب الحيّات السامّة

(٣) ابو قابيل الهندي . كتب كتاباً سمّاهُ كتاب الامراض والعلل

(٤) شانك الهندي . حكيم في علم الهيئة والطب كتب في السموم وتُرجم كتابهُ هذا الى الفارسية ثم الى العربية عن يد العباس بن سعيد الجوهري لاجل الخليفة المأمون وشرحهُ يحيى بن البطريق الآتي ذكرهُ . وكتب كتاباً في الطب البطري وكتاباً في علم الهيئة

(٥) جودكل طبيب هندي شهير من كتبه كتاب في المواليد تُرجم الى العربية

(٦) ثيودورس . طبيب مسيحيٌّ من نيسابور نال حظًّا عند الملك سابور ذي الاكتاف فبنى هذا الملك كنيسة في نيسابور اجابةً لطلب ثيودورس . وعاش ثيودورس بين سنة ٣٠٩ و ٣٨٠ للمسيح . والّف كتاباً في اليونانية سمّى قواعد الطب الصوبية وفي السرياني كناشا

(٧) برزويه بن ازدهر فارسي من مرو الشاهجان . تعلّم الطب في فارس ثم توجه الى الهند بأمر الملك انوشروان بن قباذ بن فيروز الذي ملك سنة ٥٣١ و٥٧٩ وأتى من هناك بكتاب الحكاية الشهيرة التي صنفها بذبابي الملك من ملوك الهند وتُرجمت الى الفارسية ثم الى العربية عن يد ابن المقفع وهي المعروفة بحكاية كليلة ودمنة

(٨) سرجيوس او سرجيس بن الياس الراقي من رأس عين مسيحي يعقوبي عاش في عصر الملك يوستيانوس وترجم عدة كتب من اليونانية الى السريانية وبعد حين ترجمت الى العربية في عصر الخلفاء بني العباس

(٩) هارون او اهرون القس الاسكندري الّف كتاباً في الطب في السريانية كان في عصر هيراكليوس وترجم كتابهُ الى العربية

(١٠) عبد الملك بن ابجر الكناني . طبيب عربي مسيحي وعلم الطب في الاسكندرية . أسلم في ايام عبد العزيز بن مروان والي مصر سنة ٧٠ للهجرة اي ٦٨٩ للمسيح

(١١) اما يوحنا او يحيى المعروف عند السريان بكراماطيقوس اي النحوي فكان اسكندريًّا مسيحيًّا يعقوبيًّا . دخل الى عمرو بن العاص وقد عرف موضعهُ من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من اقواله الفلسفية وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكان لا يفارقهُ

كان الدكتور كريليوس فانديك رحمة الله عليه نجماً من أنجم الهيئة العلمية في الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد تعلم العربية وأجادها والف فيها في الفلك والكيمياء والمثلثات والنبات والباثولوجيا والعروض ووضع سلسلة النقش في الحجر في تبسيط العلوم. وكان استاذاً في جامعة بيروت الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) ومديراً لمرصدها الفلكي وكان له على «المقتطف» اعظم الفضل فانه شجع منشئيه واشترك معهما في وضع خطته وهذه مقتطفات من فصل كتبه تقرظ في مجلده الاول

(١٨١٨ — ١٨٩٥)

اما الاطباء الذين اثبت انبا اسماؤهم بين العرب بعد الاسلام فتقسم اعصارهم الى ست مدات الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ والثانية من ١٥٠ الى ٣٠٠ والثالثة من ٣٠٠ الى ٤٠٠ والرابعة من ٤٠٠ الى ٦٠٠ والخامسة من ٦٠٠ الى ٧٥٠ والسادسة من ٧٥٠ الى ١٠٠٠ وفي مدة الالف السنة هذه نجد ذكر ٣٠٠ من الاطباء المشهورين الذين لغتهم العربية وان لم يكونوا جميعاً عرباً في الاصل ومنهم من الذين دون الطبقة الاولى ولا يسعنا المقام غير ذكر اشهر المشهورين فنقول

المدة الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ اي من ٦٢٢ للمسيح الى ٧٦٧

ان الخلفاء والامراء الاولين اخذوا اطباءهم من المسيحيين واليهود وفي تلك المدة لم يقم بين العرب طبيب شهير واول من ذكر من اطباء العرب الحرث بن كلدة الثقفي طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جندبسابور وغيرها في الجاهلية وطبب في ارض فارس وحصّل مالاً ثم ان نفسهُ اشتاقت الى بلادهِ فرجع الى الطائف ومن اقوالهِ من سرّهُ البقاء ولا بقاء فليأكل الغذاء وليخفف الرداء وليقلّ من غشيان النساء يريد بخفة الرداء ألاّ يكون عليهِ دين . قيل مات في سنة ١٣ للهجرة (٦٣٤ م) من سمٍّ سُقيهُ قبل ذلك بسنة

(١٣) نضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان من الجاهلية وأُخذ اسيراً يوم بدر فقُتل

(١٤) ابو حفص يزيد مولى مروان بن الحكم طبيب يهودي في اليمامة اسلم في خلافة عثمان ابن عفّان سنة ٣٠ للهجرة (٦٥٠ م)

(١٥) ماسرجويه الطبيب البصري سرياني الثقة يهودي المذهب تولّى ترجمة مؤلّف القس اهرون المشار اليهِ الى العربية من السريانية في خلافة مروان. حدّث ايوب بن الحكم قال كنت جالساً عند ماسرجويه اذ اتاهُ رجل من الخوز فقال اني بُليت بداء لم يُبلَ احد بمثلهِ فسألهُ عن دائهِ فقال أُصبح ببصري مظلم عليّ وانا اصاب بمثل لجس الكلاب في معدتي فلا تزال هذه حالي الى ان أُطعم شيئاً فاذا أُطعمت سكن ما اجد الى وقت انتصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيهِ فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة ثم عاودني فلا اجد لهُ دواء الاّ معاودة الاكل فقال ماسرجويه على دائك هذا غضب الله فانهُ اساء لنفسهِ الإختيار حين اقترن بك ولوددت ان هذا الداء تحوّل اليّ والى صبياني فكنت اعوّضك ما تُدرك بك مثل نصف ما املكُ فقال لهُ الخوزي ما افهم عنك قال ماسرجويه هذه صحة لا تستحقها اسأل الله نقلها عنك الى من هو احقّ بها منك

(١٦) ثيوذوكس وتيودون طبيبان رومانيان في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان لازمها عدة تلامذة وكتب في الطب وكان من تلاميذهِ الفرات بن شحناثا في زمن المنصور

(١٧) ابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية الاموي اخذ الكيميا والطب عن راهب رومي اسمهُ موريانوس توفي سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م)

(١٨) اصطفانوس اول المترجمين لخالد بن يزيد ترجم عدة مصنفات من الرومية الى العربية

(١٩) احمد ابن ابرهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٨م) استخلص من كتب بقراط كتاباً سمَّاهُ اصول الطب ورسالةً في اثبات المستعمل في الطب

(٢٠) ابو بكر محمد بن سيرين البصري كان ابوهُ نحاساً من جرجرايا جلاه الى عين التمر في بعض المصالح فاخذه خالد بن الوليد اسيراً مع ٤٠ فتىً آخرين فاشتراه انس بن مالك ثم فدى نفسهُ بعشرين الف درهم وتزوَّج بصوفيا مولاة ابي بكر فولدت محمداً الذي نحن في صدده في سنة ٣٣ للهجرة (٦٥٣ م) واشتهر في معرفة الحديث وتعبير الاحلام وصار كاتباً لانس بن مالك لما تولى البصرة. قيل ولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة وغلب عليهِ الدَّين فأُلقي في الحبس. وقبل وفاة انس بن مالك اوصى ان لا يصلي عليهِ احد ولا يقرأ عليهِ الصلاة الاَّ ابن سيرين فاتي بهِ من السجن ولما كمل الفرض عاد اليهِ بدون ان يرى اهل بيتهِ. توفي في ١١٠ للهجرة (٧٢٨ م) والَّف كتاباً في تعبير الاحلام كثير الذكر بين الذين اتوا بعدهُ

(٢١) ابن ابي زاحف الَّف في النبات في نحو ١٢٥ للهجرة (٧٤٢ م)

(٢٢) عبدالله المقفَّع فارسي مجوسي اصلاً. اسلم على يد عيسى بن علي عم ابي العباس والمنصور من بني العباس. الَّف كتاباً في الامراض وشرحاً على ارسطوطاليس ترجم من الفارسية الى العربية. قُتل بامر سفيان والي البصرة

(٢٣) ابو قريش عيسى الصيدلاني في بغداد في عصر الخليفة المهدي لم يُذكَر هذا من جملة الاطباء لانهُ كان ماهراً بالصناعة وانما يذكر لظرافة خبره قيل كان هذا الرجل صيدلانيًّا ضعيف الحال جدًّا فشكت الخيزران حظيَّة المهدي وكانت من مولدات المدينة وتقدَّمت الى جاريتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي فلما وقع نظر الجارية عليهِ ارتهُ القارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال بل لملكة جليلة عظيمة الشأن وهي حبلى بملك. وكان هذا القول منهُ على سبيل الرزق. فانصرفت الجارية من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منهُ فتفرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت ينبغي ان تضعي علامةً على دكانهِ حتى اذا صحَّ قوله اتخذناه طبيباً لنا وبعد مدة ظهر الحبل وفرح بهِ المهدي فرحاً شديداً فانفذت الخيزران الى ابي قريش خلعتين فاخرتين وثلاثمائة دينار وقالت استعن بهذه على امرك فان صحَّ ما قلتهُ استصحبناك فعجب ابو قريش من ذلك وقال هذا من عند الله جلَّ وعزَّ لاني ما قلتهُ للجارية الاَّ وقد كان هاجساً من غير اصل. ولما ولدت الخيزران موسى الهادي سرَّ المهدي سروراً عظيماً وحدثتهُ الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبهُ فلم

يجد عنده علماً بالصناعة الا شيئاً يسيراً من امر الصيدلة الا انه اخذه طبيباً لما جرى منه واستصحبه واكرمه الاكرام التام وحظي عنده

(٢٤) ابو عبدالله جعفر بن محمد بن علي الصادق السادس من الائمة المستورين العلويين الف في الهيئة والكيمياء والرمل وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ للهجرة (٧٦٥م)

(٢٥) ابو موسى جابر بن حيان بن عبدالله الصوفي الطرسوسي مولداً الكوفي مسكناً من تلامذة جعفر الصادق . اشهر في الكيمياء وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ١٠٠٠ صفحة طبع مؤلفه في ستراسبورج سنة ١٥٣٠ وايضاً ١٦٢٥ وطبع كتاب اصول الكيمياء لجابر وابن سينا في مدينة باسل سنة ١٥٧٢ وكتاب له في الهيئة في نورومبرج سنة ١٥٣٤

***

في المدة الثانية بقي علم الطب مع الاجانب ولم يشتهر به عربي اصلي وفيها اجتهد الخلفاء في ترجمة كتب اليونان والسريان والفرس الى العربية ومن اشهر المترجمين حنين كما سيأتي

(٢٦) اما اشهر اطباء اوائل هذه المدة فمنهم عائلة بختيشوع اولهم جيورجيوس بن بختيشوع اختديابوري . قبل مرض الخليفة المنصور وكما عالجه الاطباء زاد مرضاً فاخبر عن جيورجيوس هذا بانه من افضل الاطباء فكتب الى العامل بجنديابور فانفذه بعد ما اكرمه فخرج ووصى ابنه بختيشوع بالبيمارستان واستصحب معه تلميذه عيسى بن شهلاثا . ولما وصل الى بغداد امر المنصور باحضاره فلما وصل الى الحضرة دعا له بالفارسية والعربية . فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وامره بالجلوس فسأله عن اشياء اجابه عنها بسكون واخبره بمرضه فقال له جيورجيوس اذاً ادبرك بمشيئة الله وعونه فامر له بوقت بخلعة جليلة وانزله في اجمل موضع من دوره واكرمه كما يكرم اخص الاهل . ولم يزل جيورجيوس يطببه حتى برىء من مرضه ففرح به الخليفة فرحاً شديداً وقال له يوماً من يحدثك هنا قال تلميذي فقال له سمعت انه ليس لك امرأة فقال لي زوجة كبيرة ضعيفة لا اقدر على النهوض من موضعها وانصرف من الحضرة ومضى الى الكنيسة . فامر المنصور خادمه سالماً ان يحمل من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً الى جيورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار ففعل ذلك فلما انصرف جيورجيوس الى منزله عرفه عيسى بن شهلاثا تلميذه بما جرى وأراه الجواري فانكر امرهن وقال لعيسى يا تلميذ الشيطان لم ادخلت هؤلاء الى منزلي أأردت ان تجسني . امض وردهن على اصحابهن فمضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم فلما اتصل الخبر الى الخليفة احضره وقال له لم رددت الجواري قال لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوج باكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا تأخذ غيرها فحسن موقع هذا من الخليفة وزاد موضعه عنده . وفي سنة ١٥٢ مرض جيورجيوس واستأذن بالانصراف الى بلده فعرض عليه المنصور الاسلام قال يا حكيم اتق الله واسلم وانا اضمن

لك الجنة فقال جيورجيوس قد رضيت حيث آباؤي في الجنة او في النار فضحك المنصور من قوله فانصرف الى بلده وترك تلميذه عيسى بن شهلاثا عند الخليفة المنصور فاتخذه طبيباً . اما هو فأخذ بأذية الناس الى ان اطلع المنصور على امره فنفاه . وفي ذلك الوقت كان من اصحاب المنصور نوبخت المنجم الفارسي وكان خبيراً بعلم الهيئة فلما كبر وضعف قال له المنصور احضر ولدك ليقوم مقامك فأحضر ولده ابا سهل . قال ابو سهل فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه قيل لي تسمَّ لامير المؤمنين فقلت اسمي خرشاذماه وطيماذاه ما بادار خسير وايهشاد فقال لي المنصور اكل ما ذكرت هو اسمك قلت نعم فتبسم ثم قال اختر مني احدى خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان نجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل قلت قد رضيت بالكنية فبقيت كنيته وبطل اسمه

(٢٧) وبعد وفاة جيورجيوس المذكور قام ابنه بختيشوع وصار طبيب هرون الرشيد. وبعده

(٢٨) جبرائيل بن بختيشوع ثم

(٢٩) جاورجيوس بن بختيشوع اخو المذكور ثم

(٣٠) بختيشوع بن يحيى . وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠ هـ الموافقة لسنة ١٠٥٨ م اي مدة ثلاثمائة سنة ولهم مصنفات كثيرة في الطب لا يسعنا المقام ذكرها وكتب واحد منهم اكحيل السجع . ومن مترجمي هذه المدة حجاج بن مطر ترجم المجسطي لبطليموس وترجم اقليدس وبعض مصنفات ارسطوطاليس وعبد المسيح بن ناعمة والبطريق في عصر المنصور وابو زكريا يحيى بن البطريق . وفي هذه المدة اشتهر بعض الاطباء من الهنود والفرس واليهود والنصارى عند الخلفاء ولا يسعنا تفصيل ذكرهم . منهم منقة وصالح بن بهلة وعبدوس بن يزيد وموسى بن اسرائيل الكوفي وعائلة الطيفوري وزين الطبري اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق بن الساح الكندي المسيحي وقسطا بن لوقا وابو زكريا يحيى بن ماسويه وابو زيد حنين بن اسحق بن سليمان بن ايوب العبادي الشهير بالترجمة الذي ولد سنة ١٩٤ للهجرة الموافقة لسنة ٨٠٩ للمسيح . وكانت حرَّان يومئذٍ قرية للصابئين وقام من الصابئين عدة اطباء مشهورين منهم ثابت بن قرَّة الذي قيل فيه

هل للعليل سوى ابن قرة شافي بعد الاله وهل له من كافي
أحيى لنا رسمَ الفلاسفةِ الذي أودى وأوضحَ رسمَ طبٍّ عافِ
فكأنهُ عيسى بنُ مريمَ منطقاً يهبُ الحياةَ بأيسرِ الاوصافِ
مثلت لهُ قارورتي فرأى بها ما اكتنَّ بين جوانبي وشغافي
يبدو لهُ الداء الخفيُّ كما بدا للعين رخراخُ الغدير الصافي

(المقتطف: كل هذا مهَّد لازدهار الطب العربي الذي بلغ ذروته على ايدي الرازي وابن سينا والزهراوي وذكر هؤلاء الثلاثة وحدهم وتأثيرهم في نشوء الطب الحديث في اوربا يقتضي سفراً كبيراً)

هرم الجيزة والشعرى

لمحمود باشا الفلكي

ناظر المعارف المصرية سنة ١٨٨٥

من إحدى وخمسين سنة في المقتطف

بين الشعرى والهرم

قرّرنا في فصل سابق أن وجوه اهرام الجيزة جميعها مائلة ميلاً واحداً على الافق وان مقدار هذا الميل نحو ٥٢ درجة ونصف. وأن جميع ما في الساحة الهرمية من اهرام وهياكل وبراب متجهةٌ نحو الجهات الاربع الشمال والجنوب والشرق والغرب. فكلٌّ من هذين الامرين اعني اتحاد المقابر والمعابد في الجهة بحسب الوضع واتحاد وجوه المقابر الهرمية في الميل لا يتأتى وقوعهُ بموجب الصدفة والاتفاق بل لا بدّ ان يكون ذلك عن قصد وغرض ديني كان معلوماً عند قدماء المصريين. ألا ترى ان المتأخرين من الامم يجعلون مقابرهم في اوضاع منسوبة الى بيت المقدس اوغيره بحسب دياناتهم وان اللحد عندنا معشر المسلمين يحفر عمودياً على جهة الخط الواصل منهُ الى مكة المعظمة بحيث يكون الملحود عند وضعه فيه على جنبه الايمن متجهاً بوجهه نحو الكعبة المشرّفة. هذا والغرض الذي اراد قدماء المصريين ربط مقابرهم الهرمية به ونسبتها في الموضع والجهة اليه لا يصحّ ان يكون مقرّهُ على سطح الارض كمكة المشرّفة وبيت المقدس وغيرهما. فان ربطهُ بميل اسطحة وجوه الاهرام وهو زاوية ارتفاعهُ فوق الافق يثبت ان وضعهُ في السماء في مقرّ احد معبوداتهم من الكواكب

ثم ان السلف من قدماء مصر لم يكونوا يعبدون في الحقيقة غير اله واحد وهو الذات العلية المتصفة بالقدم والبقاء وجميع اوصاف الكمالات. وكانوا يسمونهُ آمُون را ويتصوّرونهُ على كيفيات واشكال مختلفة يتخيلون تجليهُ لهم بها على حسب الازمنة. وكانوا يصدرون عنهُ وزراء روحانية او ملائكة تتعدّد بتعدد مظاهر قدرته جلّ وعلا وقالوا ما لعبدهم الاّ ليقرّبونا الى الله زلفى. وكانت النجوم عندهم مقرًّا لهذه المخلوقات بل هي عقولها فكان لكلٍّ منها كوكب يستدل به عليه وهو روحهُ وعقله. وارواح الخلق عندهم قديمة لا تفنى والدار الآخرة عندهم دار جزاء

فكانوا يعتقدون ان هناك ملكاً حكماً يحاسب ارواحهم ويزن اعمالهم ويقضي عليهم إما بنعيم دائم او بتعب ومشقة وتعذيب لا نهاية لهُ . وقد كان المصريون يعظمون بعض الحيوانات وربما عبدوها لمشاكلتها بعض الروحانيات . فانهم كانوا ينظرون العجل مثلاً كأنهُ التمثال الحي لثور السماء والكلب الارضي كأنهُ تمثال حيٌّ للكلب السماوي وهو الشعرى

واكابر هذه الروحانيات كانت تدعى بالآلهة وكانت عند الاقدمين موكلة بتدبير احوال اهل الارض . والواحد منها يتشكل عندهم باشكال مختلفة يظهر فيها بين الناس حيناً بعد حين كما تشهد به الآثار القديمة الموجودة الى الآن . والكلب السماوي وهو الشعرى هو الموكل بحساب الارواح بعد الموت ويتشكل اذ ذاك بصورة رجل رأسهُ رأس كلب فان هذه الصورة القظيعة تشاهد منقوشة على جنازة فيها الميت موضوعاً على سرير حولهُ الآنية الاربعة الكليَّة المعظمة عندهم . وملك الموت والحساب وهو على الصورة المذكورة مادٌّ يديهِ على الميت وآخذٌ بزمامهِ وكأن لسان حالهِ يقول ان المتوفَّى صار في قبضتهِ وتحت سلطانهِ فلا يقرب اليهِ احد . ثم ان الكلب السماوي المذكور او الشعرى يتشكل بشكل ابن آوى عند القضاء على المذنبين بالعذاب الدائم كما يشاهد في نقوش الآثار المصرية وقد يشاهد هرمس الاكبر ايضاً في شكل رجل رأسهُ رأس كلب وقابض بيدهِ على لوح كاتب ويُرى في موضع آخر آخذاً في كتابة وزن الارواح . ومعلوم ان هرمس هو الكلب انوبيس او عطارد المصريين . ويؤخذ من هذا كلهِ ان الصورة التي رأسها رأس كلب وابن آوى وهرمس والكلب انوبيس وعطارد المصريين كلها مظاهر واشكال للكلب السماوي الذي عقلهُ كوكب الشعرى . وان هذا الكلب هو الموكل بأمر الموتى عند قدماء اهل بلادنا . هذا وكان اسم الشعرى عند قدماء المصريين ست ومعناهُ الكوكب والكلب . ويرى منقوشاً على الآثار القديمة ان ست هو السادس او السابع من العائلة الاولى اللاهوتيَّة التي حكمت مصر في اول الزمان . وكثيراً ما ترى الاشارة الدالة على اسم الشعرى مجتمعة وملحقة بالعلامة الدالة على إسيس وهي من اكبر الالهات الاناث المشهورات عند المصريين

ثم ان مدن مصر وقراها كانت منقسمة بين آلهتهم فكانت كل مدينة تحت كنف واحدٍ منهم حتى الآثار واشكالها الهندسيَّة فانها كانت منتمية الى بعض الآلهة وعندي ان الاهرام والصوَر الهرميَّة كانت تخص الشعرى على ما تبيَّن لي من الادلة التالية

الاول : لما كانت الاهرام مقابر كانت ولا بدَّ في كنف متولي امور الموتى وهو الكلب السماوي او الشعرى على ما رأيت فانهُ هو الذي تخافهُ النفس وتهابهُ وتتملَّق اليهِ طمعاً في نعيم الآخرة وفراراً من عذابها

الثاني : انهُ يشاهد في بعض المغارات والمدافن المصرية القديمة اهرام صغيرة موضوعة حول الموتى وتسمَّى بالاهرام الذرية وقد صوِّر على احد اسطحتها الكلب السماوي او الشعرى بشكل

وجل رأسهُ رأس كلب . وقد نقش على اسطحتها اشعة واستانات يستضيء بها الميت من هذا الاله المفضع وفي ذلك دلالة واضحة على اختصاص الاهرام بالشعرى وانتسابها اليها

الثالث : ان الصوَر الهرميَّة تشاهد ضمن الرموز الثلثة التي جعلت علماً للشعرى في الآثار القديمة . فان الشعرى تتبيَّن عند المصريين بهذه العلامة △ ☆ وهي مثلث او وجه اهرم وهلال وكوكب وذلك يدل على ان الصورة الهرمية من خصائص الشعرى

الرابع : انهُ كان في قسم الفيُّوم بناء جسيم يسمَّى مدينة لياري وهو مشهور في الآثار المصرية . ولياري اسم ملك من ملوك العائلة الثانية عشرة من الثلاثين عائلة التي حكمت مصر من ابتداء زمن مينا باني مدينة منف الى زمن الاسكندر الكبير على ما قرَّرهُ مثيتوكير قسوس مصر في زمن البطالسة خلفاء الاسكندر . وكان محلهُ في مكان بركة اللاهون وهو عبارة عن اثني عشر ايواناً كباراً متلاصقة ستة من ابوابها الاصليَّة متجهة نحو الشمال والستة الاخرى نحو الجنوب وفيها فسحات وطرق كثيرة جداً وتشتمل على ثلثة آلاف غرفة مركبة من طبقتين طبقة تحت الارض وأخرى فوقها . وكان في الزاوية التي ينتهي بها البناء هرم ارتفاعهُ نحو ثمانين متراً . وقد شاهد هذا البناء هيرودوتوس اليوناني قبل الهجرة بأكثر من الف سنة ووصفهُ في تاريخه ورآهُ استرابون ايضاً قبل الهجرة بنحو ستمائة سنة . وكان يقال ان هذا البناء اعظم واجمل بناء في الدنيا ولم يكن احد يدخل اليهِ الا مخفوراً بحفرائه خوفاً من ان يتيه فيهِ او يخفى عليهِ باب الخروج منهُ وكان ملوك مصر يعقدون فيهِ مجالسهم المهمة ويحجون اليهِ كبراء مملكتهم للمشورة اذ كان لكل قسم او مديريَّة من البلاد ايوان مخصوص فيهِ

ثم ان دوبوى احد متأخري الفرنج كان يرى ان مدينة لياري هذه هي في وضعها وتشكيل محلاتها وجهاتها عبارة عن منطقة فلك البروج مشكَّلة على الارض بجميع تقاسيمها من بروج او بيوت شمالية وجنوبية ومن صيف وشتاء وايام طوال وقصار وغير ذلك وان الهرم فيها علم للشمس . ويحتج بذلك على ان الهرم يختص بالشمس دون سواها موافقاً لرأي ايلين احد قدماء اليونان وهو ان اشكال المسلات والاهرام تشبه لهب النار واشعة الشمس فلا بدَّ من كونها مختصة بالشمس . لكننا نقول انهُ اذا صح ان مدينة لياري كانت في وضعها لتمثيل منطقة فلك البروج لزم ان يكون الهرم فيها رمزاً الى الشعرى لا الى الشمس لان مدار الشعرى كان منتهى المنطقة وحدَّها من الجهة الجنوبية قبل الهجرة بنحو اربعة او خمسة آلاف سنة . فكانت بمثابة خفير يمنع الشمس من ان تتعدَّى حدود طريقها وتنزل الى الجهة الجنوبية جهة الخراب والدمار والهلاك في زعم قدماء المصريين . وعليهِ تكون نسبة ذلك الكوكب الى منطقة البروج في السماء بالنظر الى الوضع كنسبة هرم مدينة لياري الى المدينة نفسها بالنظر الى الوضع ايضاً . اعني ان

الهرم هنا رمز الى الخير الذي يحفر الشمس لكيلا تتعدى حد طريقها وتخرج من منطقتها وعليه فيكون رمزاً الى الشعرى

الخامس : ان مما ورد في الاخبار وفي كتب اهل الاسلام عن نسبة الهرم الى هرمس الاكبر يدل على انه كانت هناك رابطة بين الهرم والشعرى . لان هرمس هو عطارد المصريين وهو الكلب انوبيس او الكلب السماوي او الشعرى على ما تقدم

وبالجملة ان الكلب السماوي او الشعرى كان من اهم آلهة المصريين القدماء وطالما تلاعبت به عقولهم فجعلوه رئيساً في خلق الدنيا وبداءة سنيهم الاهلية وهي الدور الكلبي واستدلوا على زمن فيضان النيل من شروقه في الاحتراق وعلى ابتداء فصل الربيع من غروبه في الاحتراق وعدّوه سلطان الكواكب وخفير الشمس يحفظها من التعدي الى جهة الجنوب جهة الدمار والخراب كما سبق عليه الكلام الى غير ذلك مما لا محل له الآن . ثم ان اطناب المتقدمين والمتأخرين من المنجمين وغيرهم في وصف الشعرى واعلاء شأنها يغني عن اطالة الشرح . والادلة الجمة التي اوردناها يؤيد بعضها بعضاً وتنفي كل ريب من ان الاهرام كانت تنسب الى الشعرى وتخصص بها عند المصريين القدماء وذلك ما اردنا بيانه

فاذ قد تحققنا وجود رابطة معنوية بين الاهرام والكلب السماوي فلا بدّ ان يكون عدم اختلاف الميل في وجوه جميع اهرام الجيزة دلالة حسيّة على تلك الرابطة وان يكون جعل هذا الميل اثنتين وخمسين درجة ونصف درجة عن قصد اعني ان تكون الاهرام من حيث وضعها وجهتها في نسبة معيّنة الى موضع كوكب الشعرى في السماء وقت تشييد تلك الاهرام . وحقيقة هذه النسبة وسرّها لا يدركان الاّ بعد التأمل في بعض الاصول التنجيميّة . ولا يجوز احتقار هذه الامور في ما نحن بصدده لان علم التنجيم اصل علم الفلك وعليه كان جل عقائد المتقدمين من المصريين وغيرهم . فانهم كانوا يعتقدون ان الكواكب تؤثر في احوال العالم السفلي وان تأثيرها يزداد كلما قرب ان يكون وقوع اشعتها عموديًّا على الشيء الذي تؤثر فيه حتى يبلغ تأثيرها اعظمهُ عند وقوع اشعتها عموديّة على ما تؤثر فيه

فاذا امعنت النظر في ذلك وفي كون الاهرام مقابر وفي كون امر الموتى من حساب وغيره مفوّض في زعمهم الى الكلب السماوي او الشعرى ثبت عندك عقلاً ان ميل وجوه اهرام الجيزة لم يكن فيها كلها اثنتين وخمسين درجة ونصف درجة الاّ لقصد وهذا القصد هو وقوع اشعة الشعرى عمودية على وجوه الاهرام المقابلة لها لان قوة سلطان الشعرى على تلك الاهرام او لان قوّة تأثيرها في المدفونين فيها لا تبلغ اشدّها في زعمهم الاّ عند وقوع اشعتها عمودية عليهم كما قدمنا

وعلى ذلك يتحوّل معنا البحث عن تاريخ بناء اهرام مقف الى مسألة هندسيّة فلكية وهي

معرفة الوقت الذي كانت اشعّة الشعرى تقع فيه عمودية على السطح المواجه للشعرى من سطوح الاهرام التي على السطح الجنوبي منها لانهُ هو الذي يواجه مدار الشعرى اليومي واما بقية السطوح فلا يصيبها شيء من اشعة الكوكب المذكورة . ولكن الاشعة لا تقع عمودية كما ذكرنا الاّ عند صيرورة الكوكب في كبد السماء حيث يتكبّد ويلزم ان تكون نقطة تكبُّدهِ قطباً للدائرة الحاصلة من تقاطع مستوى الوجه الجنوبي للاهرام بالمقعّر السماوي . ومن ثمَّ تردُّ المسألة الى البحث عن الزمان الذي فيه كانت نقطة تكبد الشعرى في قطب الدائرة الحاصلة من تقاطع مستوى الوجه الجنوبي للاهرام بالمقعّر السماوي . ونقطة تكبد الشعرى لا تكون في قطب الدائرة المذكورة الاّ اذا كان ميل الشعرى — وهو بعدها عن دائرة المعدّل — يساوي اثنين وعشرين درجة ونصف درجة . اي الفرق بين ميل وجه الهرم الجنوبي على الافق وهو ٥٢° و ٣٠ وبين عرض البلد وهو ٣٠° . وبذلك تتحوّل المسألة الى صورة سهلة وهي البحث عن التاريخ الذي فيه كان ميل كوكب الشعرى يساوي ٢٢° و ٣٠ . فيكون التاريخ المستخرج بهذا البحث تاريخ الزمان الذي بنيت فيه الاهرام

***

ميل الشعرى وتاريخ الهرم

يلزم لحل هذه المسألة حساب موقع الشعرى او ميلها فقط في زمانين بينهما مدةٌ ما كألف سنة مثلاً ثم ينظر فيما اذا كان الميل المعيّن وهو ٢٢° و ٣٠ محصوراً بين الميلين الناتجين من الحساب فان كان محصوراً بينهما يعرف التاريخ المطلوب بتعديل ما بين السطرين او بمجرّد تناسب هندسيّ وان لم يكن محصوراً يحسب الميل في زمن ثالث بحيث ينحصر الميل المعيّن بين اثنين من هذه الميول الثلثة . فيستخرج التاريخ المطلوب من عمليّة تعديل ما بين السطرين

وقد اخترت لذلك سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد ومعلوم ان تاريخ الميلاد متقدم على تاريخ الهجرة النبوية بثلثمائة واثنين وعشرين سنة شمسيّة . ثم حسبت كوكب الشعرى في هذين التاريخين فوجدت ان

مطالعهُ المستقيمة كانت في التاريخ الاول اي سنة ٢٢٥٠ ٥٤° ٥١' ٢٥"
وميلهُ كان ٢١° ٢٩' ١٠" جنوباً
ومطالعهُ المستقيمة كانت في التاريخ الثاني اي سنة ٣٢٥٠ ق . م ٤٤° ٤٢' ٠٣"
وميلهُ كان ٢٥° ٢٣' ٢١" جنوباً

ولم اعتبر في هذا الحساب غير الحركة الحاصلة عن تقهقر الاعتدالين . ولكن بمقابلة الارصاد الجديدة بعضها ببعض وبارصاد بطليموس يتضح ان لكوكب الشعرى حركة أخرى خاصة

بواسطتها يأخذ الكوكب في القرب من دائرة الفلك مع التناقص في الكمية تدريجاً بمعنى ان مقدار تلك الحركة من جهة الميل يزداد على حسب التقهقر في الزمان الغابر فانهُ الآن ١٩١٦ من الثانية في السنة كما يعلم من مقابلة الارصاد الجديدة بعضها ببعض وكان قبل ثماني مائة سنة ١٩٦٢ من الثانية في السنة على ما يستخرج من مقابلة الارصاد الجديدة بارصاد بطليوس التي تاريخها متقدم عن وقتنا هذا نحو ١٦٠٠ سنة وعلى هذا يكون وقت الحركتين ٤٦ من الثانية في مدة ٨٠٠ سنة. وعلى فرض ان تغيُّر تلك الحركة جرى منتظماً على المقدار المتقدم آنفاً يستنتج بالحساب ان مقدارها كان نحو ٣٠٤٢ الثانية قبل عصرنا بخمسة آلاف او ستة آلاف سنة فتكون الحركة المتوسطة في هذه المدة نحو ٢٠٤٣ الثانية . ولقصر مدة الارصاد الجديدة ولعدم وجود ما يعوَّل عليهِ من الارصاد القديمة ولو بعيدة في العهد من زمن بناء الاهرام يضطرُّ الى الاعتماد على المقدار المتوسط وهو ثانيتان وعشر الثانية للتغير السنوي في ميل كوكب الشعرى اذ لا سبيل لمعرفته بوجه اضبط من ذلك . على ان الخطاء الذي يحتمل صدورهُ عن فرض هذا المقدار المتوسط لا يزيد عن مدة قرنين من الزمان وهي قصيرة بالنظر الى بعد عهد تلك المباني

هذا وما اتا اتخذنا سنة ١٧٥٠ بعد الميلاد اصلاً ومبدأً في حساب مقدار تقهقر الاعتدالين وبناء عليهِ حسبنا ميلي كوكب الشعرى لسنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد كما تقدم وكان ما بين هذين التاريخين والتاريخ الاصلي اربعة آلاف للاوَّل وخمسة آلاف سنة للثاني لزم تكرار التغيُّر السنوي المتوسط اعني ثانيتين وعشري الثانية اربعة آلاف مرة وخمسة آلاف مرة . والناتجان — وهما درجتان وست وعشرون دقيقة واربعون ثانية ثم ثلث درجات وثلث دقائق وعشرون ثانية — يطرحان من ميلي الكوكب السابقين فيخرج من ذلك ١٩ درجة و١٢ دقيقة ثم ٢٢ درجة و٢٠ دقيقة وهما الميلان الحقيقيان لميل كوكب الشعرى في سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد باعتبار تقهقر الاعتدالين والحركة الخاصة بالكوكب معاً . ويُعلم من بعد هذا ان التاريخ المطلوب متقدم بسنين قليلة عن سنة ٣٢٥٠ قبل الميلاد لان مقدار الميل في تلك السنة ٢٢ درجة و٢٠ دقيقة كما رأيت . وهذا لا يختلف عن الميل المفروض الذي يراد معرفة تاريخهِ الاَّ بمقدار عشر دقائق . فلك اذاً ان تقول لسنة ثلث درجات وثماني دقائق (وهو فرق سيلي الكوكب في سنتي ٢٢٥٠ و٣٢٥٠ قبل الميلاد) الى الف سنة (وهو فرق التاريخين) كنسبة عشر دقائق الى المجهول . ومنهُ يستخرج مقدار المجهول ثلاثاً وخمسين سنة تضاف الى ٣٢٥٠ سنة فيحدث ٣٣٠٣ سنين قبل الميلاد وهو التاريخ الذي كان فيهِ ميل كوكب الشعرى مساوياً اثنتين وعشرين درجة ونصف وذلك تاريخ بناء اهرام الجيزة واذا اضفت الى ذلك التاريخ ٦٢٢ سنة وجدت ٣٩٢٥ سنة وهو تاريخ بناء الاهرام في سنين ثمنية قبل الهجرة النبوية

ثم ان هذا التاريخ لا يخلو من خطإ يسير ملازم لهُ بالطبع . لان خطأً بعض الدقائق في تعيين ميل وجوه الهرم او بعض انحراف طفيف في اصل وضعهِ وبنائهِ مع الخطإ الذي يحصل عن عدم اصابة المقدار الحقيقي للحركة الخاصة بكوكب الشعرى يحدث في تاريخ بناء الاهرام خطأً من مائة الى مائتي سنة . لكن هذ الخطأ يسير جدًّا بالنسبة الى قدم عهد الاهرام الذي يبلغ ٣٢٥٠ سنة قبل الهجرة كما استخرجناهُ فلذلك لا يعبأ بهِ والتاريخ الذي استخرجناهُ مطابق لما كان عليهِ جمهور المتقدمين من مؤرخي المسلمين ولما جرى عليهِ متأخرو الفرنج ممَّن اشتغل بالآثار المصرية . فان ابن عبد الحكم والمسعودي والقضاعي والمقريزي وغيرهم من المؤرخين يروون على ما استخرجتهُ من كلامهم ان الطوفان كان في القرن الثامن والثلاثين قبل الهجرة وان الاهرام بنيت قبل الطوفان بثلاثمائة او اربعمائة سنة . وابن يونس الفلكي وغيرهُ من المنجمين يجعلون الطوفان في سنة ٣٧١٨ قبل الهجرة . وعلى كلٍّ فيكون زمن بناء الاهرام عندهم قريباً من ٤١٠٠ سنة قبل الهجرة وذلك لا يختلف عما وجدتهُ بحساب الشعرى الا بنحو مائتي سنة

واما من جهة علماء الافرنج وخصوصاً من اشتغل منهم بالآثار المصرية فانهم استخرجوا تاريخ بناء الاهرام بطرق متعددة ووفقوا بينها بتنقيحات سليمة وابحاث دقيقة ووصلوا الى نتائج مطابق لما تقدم. فان بتنصن استخرج من بقايا كتاب منيتو ومن ايراتوستين والقراطيس الاثرية المصرية المحفوظة في مدينة تورين بايطاليا ومن الواح قدماء ملوك مصر وغيرها من الآثار الاثرية ان ما بين بينا او منيس باني مدينة منف وبين زمن اسكندر ذي القرنين ٣٥٥٥ سنة شمسية وان مدة حكم الثال الاربع الاولى الملكية ٥٧٠ سنة اعني ان انتهاء العائلة الرابعة كان سنة ٢٩٨٥ قبل الاسكندر او سنة ٣٣١٠ قبل الميلاد . ولما كان بانيا الهرمين الكبيرين من اهرام الجيزة هما خيوبس وشفرن من ملوك العائلة الرابعة بالاجماع وكانت هذه العائلة قد حكمت ١٥٠ سنة فتكون الاهرام المذكورة قد بُنيَت في القرن الثالث والثلاثين قبل الميلاد اعني نحو ثلثة آلاف وتسع مئة سنة قبل الهجرة وهو مطابق لما حسبتهُ عن موقع كوكب الشعرى . واذا راجعنا ما كتبهُ العالم بروغش في كتابهِ الشهير في الاتيكات والآثار المصرية وجدنا ان هذا العالم يرى ان باني مدينة منف متقدم عن الميلاد ٤٤٥٥ سنة وان انقراض العائلة الرابعة كان سنة ٣٤٠٢ قبل الميلاد وان الاهرام بنيت نحو ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد اعني سنة ٤١٠٠ قبل الهجرة . وذلك لا يختلف عن حسابي الا بنحو مائتي سنة. ففي هذا الاتفاق تأكيد لصحة ما رآهُ مؤرخو العرب والفرنج ودليل قوي على صحة ما استنبطتهُ من الروابط والمناسبات بين الاشكال الهرمية والشعرى العبور وعلى ان الاهرام بنيت حقيقة نحو اربعة آلاف سنة قبل الهجرة لغرض ديني تعبدي ملائم لعبادة الكواكب

النباتات المصرية
واستعمالها طبًّا

للدكتور حسن باشا محمود

من خمسين سنة
في المقتطف

النبات جسمٌ عضويٌّ ينبت ويغتذي ويتنفس وينمو ويتناسل ويموت. وهو يوجد في كل جانب من الارض مهما كانت درجة حرارته بشرط ان يكون قابلاً للزراعة مرويًّا بما يكفيه من الماء العذب. قال تعالى «وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا». ومن النبات ما يعيش في الماء ويعرف بالنبات المائي. ويوجد في كل جانب من الارض نباتات تنفع في معالجة الامراض التي تظهر فيها

نبات الحلة

الحلّة نبت كثير الوجود في القطر المصري يشاهد في فصل الربيع منتشراً في حقول الحنطة والحمص والبرسيم والفول وغيرها وينبت فيها لاختلاط بزره بالبذار (التقاوي) فيزرع وينمو معها او لوقوع بزره في الارض قبل زرع الحبوب المذكورة. والحلّة نبت سنوي من الفصيلة الخيميّة يعيش في الربيع ويجف في الصيف جذره مغزليٌّ مزين بألياف ذات اقلام شعريّة وساقه ترتفع نحو متر عن الارض وهي اسطوانية مجوّفة تحتوي نخاعاً ابيض. ويتفرّع بالازدواج والفروع تحمل اوراقاً خيطية خضراء متوالية مركبة. وازهاره بيضاء خيمية الشكل وهي مركبة ومزينة من قواعدها بوريقات خضراء ورائحتها عطرية طيبة. وثمره جاف صلب. وهذا النبت ينبت في جنوب فرنسا وقد اظهر الكيماوي ملوس الخوجه بمدرسة الاجزاجية بمونپيليه انهُ اذا حرق مئة جزء من الحلة حصل منها ٩٢١ الجزام من الرماد. وقد حلل الرماد المذكور فوجد فيه ما يأتي

٣٠٨٦٠	كلورور وكبريتات وفصفات وكربونات البوتاسا والصودا مع اثر من كلورور وكبريتات الحير والمانيزيا
٤٧٧١٩	من فصفات الكلس والمانيزيا واكسيد الحديد والمنجنز
٠٥٤١	من السلس والفحم
٩٢١٠٠	المجتمع

وفي هذا النبات مادة راتنجية ومادة دهنية ايضاً عدا عمّا ذكر وقد اكتشف فيه حضرة الكباري ابراهيم افندي مصطفى الخوجه بمدرسة الاجزاخانة بمصر اصلاً نفيساً سمّاهُ الخلّين يشبه الاجسام الثلاثية العناصر ولا يتحد مع الحوامض فيكوّن املاحاً وهو ابيض اللون ذو بلورات ابرية حريرية مرّ الطعم جداً يذوب في الماء الساخن اكثر مما يذوب في البارد وفي الكوّول

وقد استحضرهُ مكتشفهُ على هذه الكيفية. اخذ مخلوطاً من اجزاء متساوية من مسحوق ثمر الحلة والحير المسدود بالماء ثم جففهُ وصبَّ عليه الكوّول وبخر المخلوط وجففهُ . ثم مزج المتحصل بالايثر وصفّده وصبَّ عليهِ الماء الثالي ورشحهُ سخناً وتركهُ حتى برد فتكوّنت فيهِ بلورات أذابها في الحامض الخليك الساخن . ثم ترك المذوَّب حتى برد ورشحهُ فوجد فيهِ بلورات أذابها في الماء الثالي وترك مذوَّبها فتكوّنت فيهِ بلورات هي الخلّين الذي نحن بصدده.

وقد ظهر من التجارب التي جرّبها بالخلين على الحيوانات انهُ يؤثر فيها تأثير السموم المخدرة فيحدث فيها تيبّساً وشللاً في اطرافها الخلفية وبطوءاً في حركات تنفسها وضربات قلبها

وقد اجريْنا التجارب على هرّ فأعطيناه خلاصة الحلة وحقنّا كلباً بثلاثة دسيجرامات من محلولها وارنباً بدسيجرامين منهُ فلم نشاهد في واحد منها تيبّساً ولا شللاً في الاطراف ولكن الارنب مات بعد اربع عشرة ساعة من حقنه فشرحناه فوجدنا غدهُ ولخاعهُ محتقنين ومعدتهُ وامعاءه منتفخة بما فيها من الغازات الكثيرة . والقلب محتوياً على دم مائع . ولم نستطع اعادة التجارب على الحيوانات العجماء لقلة المقدار الذي تيسر لنا من الخلين ونسيدها ان شاء الله عند الحصول على ما يكفي منهُ . ولكننا جرّبنا الحلة نفسها في البشر مراراً عديدة فكان منها نتائج جيدة نافعة جديرة بالتفات القراء اليها ولذلك نفصلها في ما يلي

كان الدكتور سن بلنا عود ، رحمة الله عليه ، من نوابغ المصريين الذين تلقوا علوم الطب في اوربا في النصف الثاني من القرن الماضي وقد تولى ادارة مصالح الصحة السومية ورآسة مجلس الصحة البحرية والمدرسة الطبية وكان عضواً في الجمعية الطبية في مونبلييه وله في المقتطف مقالات علمية نفيسة نقتطف منها ما يلي :

(١٨٤٧ — ١٩٠٦)

منافع الحلة في معالجة الامراض

لما كانت الحلة غير مذكورة بين الادوية في المادة الطبية الحالية فقد بذلنا الجهد في تجربتها لمعالجة الامراض فنجحت تجاربنا حتى صارت خليقة بالاعتبار وافية بالفائدة كافية لجعل الحلة عقاراً من اعقار المستعملة الآن. فلا يخفى ان الحلة قديمة الاستعمال عند بعض المصريين لتسليك الاسنان وهي في غاية المناسبة

لذلك لسببين الاول انها تنظف الاسنان من بقايا الاطعمة والثاني انها مقوية للثة ومزيلة للاملاح التي ترسب على الاسنان وتضرُّ بها وذلك لوجود مواد ملحية ومادة مرة ومادة بلسمية في الحلة. وقد نجح استعمالها معنا في معالجة الامراض التالية على الوجوه الآتية

اولاً . اوراق الحلة — استعملناها ضماداً في الاورام الالتهابية للجلد والنسيج الخلوي تحتهُ كالدمامل والجمرات الحميدة والفلغموني المحدود والتهاب الكفة وقد نجحت ايضاً في القوبة الحادَّة والمزمنة

ثانياً . مغليُّ بزر الحلة — استعملناهُ مضمضة قابضة ومقوّية في امراض الفم واللثة فأفاد فيها

ثالثاً . بزر الحلبة المدقوق — مزجناه بزيت طيب او بالشيرج فكان دهاناً نافعاً في الالتهابات المفصلية وبعد الدهن بهِ يغطَّى المفصل بالقطن او بالصوف

رابعاً . مغليُّ بزر الحلة ايضاً — وجدناهُ طارداً لبعض الديدان المعويَّة ومضاداً للحميَّات الخفيفة المتقطعة

خامساً . وقد نجح معنا مغليُّ بزر الحلبة مراراً في معالجة الرمل البولي الكثير الحدوث في مصر سواء كان لتكوين الآلام الشديدة المصاحبة لهذا الداء او لازالة النوبة او لمنع تكرارها وكيفية الاستعمال هي ان يؤخذ دوهم من البزر ويغلى في اربع اواق ماء ويصفَّى المغلي ويسقى ساؤهُ للمريض على ثلاث مرات الثلث صباحاً على الريق والثلث بعد الظهر والثلث قبل النوم مدة ثلاثة ايام متوالية ويشنطق المريض بمنطقة من صوف ويحتمي عن اللحوم في اثناء تلك المدة . وقد استعملتُ خلاصة الحلبة في شخص فنجحت وذلك اني اعطيتهُ اياها حبوباً في كل حبة سنتيجرام واحد من الخلاصة وكان المريض يأخذ من ثلاث حبوب الى خمس في الاربع والعشرين ساعة

وقد تحققتُ من بعض المرضى الذين هم عرضة للرمل البولي انهم باستعمال مغليّ بزر الحلبة ثلاثة ايام في الشهر على الكيفية المتقدمة لم تعاودهم نوبة الرمل ولم يصبهم المغص الكلوي المميز لهذا المرض وقد مضى عليهم الآن ثلاث سنين او اربع وهم سالمون منهُ مع انهم كانوا قبل استعمال الحلبة يصابون بالنوبة مرة في كل سنة تقريباً . وقد استعملتُ مغلي بزر الحلبة في معالجة البول اللبني فنجحت ايضاً . ولا بدَّ من اقتصار المريض على اللبن غذاءه والانقطاع عن غيره من الاغذية على كل حال

اما تأثير الحلبة في الرمل البولي والحصى الكلوية فيفسَّر بأمرين اولهما ان الحلبة تمنع تكوُّن الرمل بما فيها من الاملاح والآخر انها تسكن الالم الشديد الذي يحدث في مجاري البول في الكليتين والحالبين بما فيها من الخلين الذي هو جوهر مسكن كالجواهر المخدّرة كما ثبت بالتجارب وبسبب وجود المادَّة الراتنجية في الحلبة يلطف تهيُّج مجاري البول في هذا المرض . هذا وسنذكر نفع الحلبة في معالجة امراض اخرى متى تأكدنا نجاحها وبالله التوفيق

الليمون الحامض (الطالح)

الليمون شجيرة من الفصيلة الليمونية كثير الوجود في القطر المصري وغيره واوصافهُ معروفة عند الجميع فلا داعي لذكرها والمستعمل منهُ طبًّا الاوراق والازهار والاثمار. فالاوراق تستعمل نقاعتها في الحمامات العطرية فتنبه المجموع الوعائي للجلد وتقوي البنية في الامراض الضعفية والانيميا . والازهار يستخرج منها بالتقطير مع الماء ماء عطر يسمى ماء الزهر وهو كثير الاستعمال شرباً في حال اضطراب القناة الهضمية والدوار . ويدخل في الجرعات المنبهة وفي بعض الاشربة . والثمر يستخرج من قشره زيت طيَّار طارد للديدان ويصنع من بزره لسوق لطرد الديدان ايضاً . ويستخرج من لبهِ عصارة حامضة وهي عصارة الليمون وفيها كلامنا الآن

تستخرج هذه العصارة بعصر الليمون باليد او بآلة مخصوصة وفي كل مائة جزء من العصارة ١٫٧٧ من الحامض الليمونيك و ٠٫٧٢ من اصل صمغ وحامض مالیك و٩٧٫٥١ ماء

وهي حامضة بسبب الحامض الليمونيك الذي فيها . وهذا الحامض ثلاثي القاعدة ويستحضر من العصارة بطريقة سهلة وهي ان تترك العصارة مدة ثم ترشح وتمزج بالكلس (الجير) وتسخن فيتحد الحامض الليمونيك بالكلس ويتكون منهما ملح غير قابل الذوبان فيجمع ويغسل بالماء الساخن ويعالج بالحامض الكبريتيك فيتكوَّن كبريتات الكلس الذي لا يذوب فيرسب ويرشح فيستخلص منهُ الحامض الليمونيك ثم يتصعد على نار حتى يتكوَّن على سطحهِ طبقة بلورية ويُترك حتى يبرد بالتدريج فيتبلور كلهُ . وعند ما يراد استعمالهُ يذاب الجزء منهُ في نحو خمسين جزءًا من الماء ويستعمل كالعصارة او يزاد مقدارهُ عن ذلك بحسب قول الطبيب

ويمكن حفظ عصارة الليمون سنة من الزمان وذلك بمعالجتها على هذه الصورة . يجمع الليمون الناضج بعد ان يشرب ماء الليل ويترك ٤٨ ساعة ثم يغسل ويقطع ويعصر في اناء من الخزف وتترك العصارة فيهِ ١٢ ساعة لتروق فتصفى وتوضع في تنانٍ مسدودة وتترك ثلاثة ايام ثم تصفى ثانية وتوضع في تنانٍ حتى تملأها تماماً وتُسدَّ التنانى بسدادات محكمة تصل الى العصارة وتترك كذلك فتبقى صحيحة سنة من الزمان . ويعصر الليمون مقشراً او غير مقشر . وعصارة الليمون غير المقشر انفع في امراض القناة الهضمية . ويمكن تركيز هذه العصارة بتصعيدها على نار هادئة فيقل جرمها ويسهل نقلها . وحذار من وضع العصارة في آنية نحاسية لانهُ يتكوَّن منها ملح نحاسي سام

تستعمل عصارة الليمون صرفاً او ممزوجة بالماء او بالانكتول او بادخالها في الاقراص او الاشربة . من ذلك الليمونات (ليموناده) المستعملة للتبريد والترطيب وتقوية المعدة على الهضم وقطع الاسهال واذا استعملت لقطع الاسهال تمزج بمدقوق البن او نقاعة الشاي

وتستعمل في الحميات المتقطعة والنوشة والحمى المعدية واذا وضع مقدار من العصارة في

فنجان قهوة وشربها المصوم قبل الموم عرق عرقاً غزيراً وانخفضت الحمى او زالت . وتستعمل ايضاً في الحيضة مسكنة ومزيلة للقيء وفي معالجة داء الخفر فتشرب وتدهن بها اللثة . وفي معالجة الحدار اي داء المفاصل . واذا قطع الليمون وسخن قليلاً ووضعت قطعة على مكان به الم عصبي أزاله فهو كثير الاستعمال في الصداع وفي الشك المؤلم . وقد اثبتت لنا التجارب نفع هذه العصارة في الذبحة الحلقية النشائية (اي الدفتيريا) والجلطية وفي الرمد الصديدي والحبوبي الحاد والمزمن وفي القروح الجافة . وارشدنا الى استعمالها في الذبحة الحلقية والرمد الصديدي المصري والرمد الحبوبي الحاد كونها قابضة ومضادة للعفونة وكاوية كيماوياً خفيفاً للسطح المخاطي الملتهب

لا يخفى ان الذبحة الحلقية على انواع واشدها خطراً النشائية والجلطية وقد استعملنا عصارة الليمون في الذبحات البسيطة وفي هذين النوعين ايضاً فعالجنا بها سبعة اطفال منهم بين ثلاث سنوات وسبع . ثلاث منهم كانوا مصابين بالذبحة الحلقية النشائية واربعة بالذبحة الجلطية فكنا نمس فرشة بعصارة الليمون ونمس بها الحلق اربع مرات في اليوم مرة كل ثلاث ساعات ثم نغرغر الطفل كل نصف ساعة بغرغرة من الماء وعصارة الليمون البلدي ومن لم يستطع التغرغر منهم اعطيناه اقراص كلورات البوتاسا قرصاً كل ساعة ووضعنا لبعضهم لبخاً ملينة من الظاهر ولبعض قطعاً من الليمون الممخن فشفوا كلهم بعد ان عولجوا نحو اسبوع

واما الرمد الصديدي المصري والرمد الحبوبي الحاد الشديد الخطر والعدوى الكثير الحدوث في القطر المصري فعالجنا كثيرين من المصابين بهما كباراً وصغاراً في مستشفى الحمزاوي فشفوا جميعاً

وطريقة العلاج هي ان تقلب الاجفان وتنظف بالقطن الجديد النظيف وتمس الملتحمة الجفنية والبنية مرة او مرتين كل اربع وعشرين ساعة بفرشة مغموسة في عصارة الليمون الجديدة المصفاة ثم تغسل العين بماء ممزوج بعصارة الليمون (كوبة ماء وعصارة ليمونة واحدة) كل ساعة بعد تنظيف الاجفان من الصديد بقطن نظيف . وقد تضطر الحال احياناً لارسال علق على الصدغين او اعطاء ملين بحسب شدة المرض والاحتقان الملتحمي. هذا ما اكتشفناه حتى الآن وقد اكتشفنا فوائد اخرى لهذه العصارة سنذكرها عند ما تأكد تأثيرها افادة للعموم

الحلبة

الحلبة كثيرة الوجود في القطر المصري ولم تذكر بين النباتات الطبية المستعملة في اوربا ولكن اطباء العرب استعملوها وذكروها في كتبهم . وهي نبات حشيشي عشبي من ذوات الفلقتين ذو جذر مغزلي دقيق وساق اخضر حشيشي عقدي مجوف الباطن مستدير في طرفه السفلي ومربع في العلوي ويتفرع من كل عقدة من الساق ذنب غمدي فيه ورقة مركبة من ثلاث وريقات قليلة الوسطى منها اكبر من الجانبيتين . ويخرج احياناً من ابط بعض الاوراق اوراق

ثانية اقل حجماً من الاولى . والازهار فراشية انتهائية بيضاء كأسها اسطوانية خضراء ذات خمسة فصوص سهمية مسننة مغطاة بوبر . والتويج ابيض مؤلف من ورقة علما كبيرة منقسمة الى فصلين ومن وريقتين سفليتين صغيرتين علمها وبر أخضر . والبيض كثير المساكن والثمر قرني له عصراعان ومساكن عديدة وفي كل مسكن بزرة مصفرة وفي هذه البزور مادة غروية ملينة ومادة مرة ومادة نشوية واملاح . وكلما جف النبات زادت المادة المرة

استعمال الحلبة غذاء — تؤكل الحلبة خضراء في ايام الشتاء والذي يؤكل منها الاوراق والازهار والجزء العلوي من الساق . والاهالي يأكلونها مع الخبز كما يأكلون الفجل والجرجير وتقبل بالملح والفلفل والزيت والخل سلطة ويمكن طبخها كغيرها من الخضر وطعمها حينئذ كطعم الخبازى المطبوخة . اما بزرها فكثير الاستعمال في القطر المصري طعاماً فيضاف دقيقه الى دقيق الذرة ويصنع منها الخبز الجيد

استعمال الحلبة علاجاً — تصنع من الحلبة الخضراء ضمادات ملينة مصرفة لبعض الاورام واذا أفرط في اكلها أحدثت ليناً وإدراراً خفيفاً في البول . دعيت مرة لمعالجة شخص مصاب بالحدار المفصلي المزمن فاستعملت له الادوية الخاصة بالحدار فلم يشف وكانت الاغذية الحيوانية تعبه فوصفت له الحلبة مع الخبز ومنعته عن اخذ الادوية . فأحدثت له الحلبة ليناً وادراراً في البول وزالت آلام مفاصله وصار قادراً على المشي ولم يمض عليه زمن طويل حتى نقه فأشرت عليه بالذهاب الى الارياف لتغير الهواء . وامتحنت ذلك في مريض آخر فنجحت ثم دعيت لمعالجة امرأة مصابة بالتهاب في مفصل الركبة اليمنى فأمرتها باستعمال لبخة من الحلبة الخضراء وبأكل الحلبة نفسها فاستفادت من ذلك كثيراً . وبزور الحلبة الجافة كثيرة الاستعمال والمنافع فان غلايتها المصفاة تنفع غسولاً في الارماد وشربها يصفي الصوت ويسكن السعال في النزلات الشعبية ويدر البول ويقوي المعدة . وتستعمل في الدوسنطاريا شرباً وحقناً ومطبوخها بالعسل مع التمر والتين نافع في امراض الصدر ومع الخل نافع في الاسهال . ودهن الورد مع الحلبة يقوي الشعر ويزيل التخالية (الهبرية) ويصنع من دقيقها لبخة مثل اللبخة المصنوعة من بزر الكتان . وغلايتها المحلاة بالعسل تستعمل شرباً للنساء وقت النفاس فتكون غذاء مقوياً وتساعد الرحم على قذف مافيها من المواد الدموية والمصلية . والقوابل في القطر المصري يضعن من بزرها سدادة يضعنها في المهبل امام عنق الرحم ويبقينها فيه ٢٤ ساعة لاجل امتصاص ما في الرحم عند ضعفها لانهن لايستعملن الحقن . ويستعملن غلاية الحلبة غسولاً للنساء وقت النفاس . والمبلطون يدهنون بها البلاط الجديد بعد فرشه . ويظهر من ذلك كله ان الحلبة كثيرة المنافع وتستحق ان تذكر بين النباتات المستعملة طبًّا ولاسيما في القطر المصري لكثرة وجودها فيه ورخص ثمنها

الباب والبابية

من اربعين سنة
في المقتطف

للسيد ميرزا فضل الله الايراني

لا يخفى ان المؤسس للبابيَّة رجلان شهيران من اهل الشرق وهما الباب وبهاء الله . أما الباب فهو شاب شريف من اهل شيراز خامسة فارس اسمهُ ميرزا علي محمد ولد في غرة محرم سنة ١٢٣٥ هجرية من عائلة معروفة بالسادة الحسينية من اهل التجارة . وتوفي والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه وربي هو في حجر خاله الحاج ميرسيد علي التاجر الشيرازي . وكان من طفولته مواظباً على العبادات مداوماً على الصلوات فلما ترعرع وشب اشتهر بالتقوى والورع وكان جميل الوجه كثير الوقار ظاهر المهابة بادي النجابة . واشتغل بالتجارة مع خاله المذكور في مدينة بوشهر وشيراز . وسافر قبل اظهار دعوته الى العراق لزيارة مشاهد الائمة كما هو معهود من الشيعة ومكث في العراق اقل من خمسة اشهر وهناك كان اول اشهار اسمه بين الجمهور

فلما رجع إلى شيراز وبلغ سنهُ الخامسة والعشرين ادعى انهُ الباب [1] وذلك في الخامس من جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هجرية وأول من صدقهُ وآمن بهِ ملا حسين الشهير الملقب عند البابية بباب الباب وهو من أهل بُشْرُوَيه من بلاد خراسان . وهكذا تتابع عليهِ حتى بلغ عددهم ١٨ نفساً فسماهم بحروف حي [2] وأمرهم بالتوجه إلى بلاد ايران والعراق وتبشير العلماء بظهوره ودعوتهم الى اتباعهِ وحثهم على كتمان اسمهِ حتى يعلنهُ هو بنفسهِ في وقتهِ

وتفنن المفسرون لاسم الباب كلٌّ على ما توهمهُ رجماً بالغيب كما يستفاد مما ذكرتهُ الجرائد النصرية حديثاً . فبعضهم فسره بباب العلم وبعضهم بباب السماء وبعضهم بباب الحقيقة ولكن المستفاد من كتبهِ « انهُ هو القائم المبشر بقرب نزول المتقد المجيد ودخول العالم في دور جديد » ولهذا اشتهر اتباعه بالبابية وذاع صيتهم بهذا اللقب في الممالك الاسلامية

ولما اتى موسم الحج توجه الى مكة وبعد فراغه من اعمال الحج اعلن دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمهُ وذاعت دعوتهُ وعلا صيته ورجع الى ايران ونزل في مدينة بوشهر على

(١) الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر (٢) لان عددها بالابجدية ١٨

خليج العجم فقبض عليه والي فارس حسين خان الملقب بنظام الدولة وبقي محبوساً في مدينة شيراز عدة شهور حتى حدث في بلاد فارس وباء شديد فقر اكثر الاهالي وغفلوا عن حراسته فرجع الى بيته وسافر الى اصفهان ونزل في بيت امام الجمعة مير سيد محمد الملقب بسلطان العلماء . وكان والي اصفهان اذ ذاك الامير الشهير معتمد الدولة منوچهرخان فانجذب من حسن بيانه ومال اليه واعتقد به وكتب الباب كتابه الموسوم بالنبوة الخاصة في خصائص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطلب منه . وكتب ايضاً كتابه الموسوم بتفسير سورة الكوثر بطلب سلطان العلماء

وكان الباب يتعجل في خطبه ورسائله حتى قيل انه كان يكتب في اربع ساعات الف سطر بالعربية او الفارسية على غاية من جودة الخط وحسن الاسلوب . ووقع بينه وبين العلماء مناظرات اكثرها مدون في الكتب التاريخية فأدهشهم بقوة قريحته وسرعة قلمه وحسن بيانه . فحدث بين العلماء اختلاف كبير في امره وهيجان شديد منهم من صدقه وآمن به مثل محمد تقي المدرس الهروي وحبيب الله العلوي ومنهم من حكم بجنونه مثل مير سيد محمد واتباعه . والاكثرون افتوا بتكفيره ووجوب قتله مثل محمد مهدي الكلباسي وأضرابه . فنقله الوالي من بيت سلطان العلماء الى بيته وأخفاه وأظهر انه ارسله الى طهران بأمر المرحوم محمد شاه . فبقي مختفياً في بيت منوچهر خان حتى توفي وتولى ابن اخيه ميرزا كركين خان على اصفهان فأرسل الباب بأمر المرحوم محمد شاه الى طهران فلما صار على نحو مرحلة من طهران ارسلوه الى آذربايجان وبقي محبوساً في جهريق وماكو وهما قلعتان من قلاع آذربايجان حتى توفي المرحوم محمد شاه وجلس على تخت ايران جلالة ناصر الدين شاه . وفي اثناء ذلك اشتدت الخصومة بين اتباع الباب وعلماء ايران وولاة البلاد فقاموا يداً واحدة على البابيين واتفقوا على لزوم ابادتهم فاشتبكت الحرب بينهم في بلاد مازندران وزنجان وتبريز

وخلاصة هذه الوقائع ان ملا حسين المذكور آنفاً سار مع اصحابه من خراسان قاصدين كربلا من بلاد العراق ولحق بهم الحاج ميرزا محمد علي المازندراني الملقب عند البابية بالقدوس وملا محمد صادق الخراساني الملقب عند الشيعة بالمقدس وهما من العلماء المشهورين فعقدوا اعلاماً سوداً ورحلوا فلما وردوا الى ساري عاصمة مازندران حكم ملا سعيد اكبر علماء البلد بوجوب محاربة البابيين وابادتهم . فالتجأوا الى مقبرة الشيخ الطبرسي احد العلماء المشهورين وحصنوها وقاموا للمدافعة وكان عدد البابيين ٣١٣ نفساً وحصل بينهم مناوشات كان الفوز فيها للبابيين . فصدر الامر من الدولة لباسقلي خان السردار اللاريجاني بمحاربة البابيين لمحاصرهم هو ومهدقلي ميرزا والي مازندران بالمدافع والجنود المنظمة فأوقع بهم البابيون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فتنابعت عليهم العساكر والمدافع وامتد الحصار وقتل في اثنائها رئيسهم ملا حسين واشتد عليهم الجوع

واخيراً أمنهم الوالي والسردار وخرجوا وسلموا اسلحتهم فاحاطت بهم العساكر وقتلوهم بالرصاص جميعاً الا رئيسهم الملقب بالقدوس وبعض خواصه فأرسلوا الى مدينة ساري وقتلهم ملاّ سعيد كبير العلماء باتفاق الطلبة واحرق جثثهم

وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام بين البابية وعلماء الشيعة وكان زعيم البابيين الحاج ملاّ محمد علي الزنجاني احد العلماء المشهورين وكان الوالي امير اسلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه. فعمل الوالي باغراء علماء الشيعة على إبادة البابية واشتبك للقتال بينهم واشتد الامر على الوالي فارسل إلى طهران فأرسلت لهُ العساكر والمدافع حتى قتل زعيم البابيين وفني رجالهُ عن آخرهم وارسلت بقية منهم الى طهران فقتلوا هناك . وفي مدينة تبريز من مدن فارس اشتبكت الحرب بين الحزبين وكان رئيس البابيين العالم الشهير السيد يحيى الدارابي ابن السيد جعفر الكشفي صاحب المصنفات كشارق ونحفة الملوك وغيرها . فآل الامر الى قتل السيد يحيى واصحابه بعد تأمينهم

فلما توفي المرحوم محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية وجلس على التخت جلالة ناصر الدين شاه في العاشر من سبتمبر من تلك السنة كانت ايران اذ ذاك مصدر القلاقل والفتن بسبب سوء تصرف اتراك الايروان المستولين على المناصب في صدارة حاجي ميرزا أقاسي وأعلن والي خراسان محمد حسن خان الملقب بسالار العصيان على الدولة وادعى الملك وعقد صلحاً مع امراء أفغان وبخارى وتركستان وازدادت هذه القلاقل بظهور البابية وما وقع بسببهم من المحاربات الدموية . فعزم ميرزا تقي خان الصدر الاعظم على قتل الباب وظن انه يتمكن من ابادة البابية بقتل رئيسهم فأصدر أمراً بقتله إلى حشمة الدولة حمزه ميرزا والي تبريز وهو عم جلالة ناصر الدين شاه فأبى هذا وقال « ساء ظني وخاب أملي فاني كنت آملاً من دولة ايران تأمرني بمحاربة دولة من الدول الكبيرة وما ظننت أبداً أنها ستأمرني بقتل أحد أتقياء اولاد الرسول الذي ما فات منهُ نافلة من النوافل الدينية ولا أدب من الآداب العالية الانسانية » فامر الصدر الاعظم أخاه ميرزا حسن خان رئيس عساكر أذربايجان بقتل الباب فعلق في ميدان مدينة تبريز وقتل بالرصاص في ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هجرية . فلما قتل الباب زاد اشتهار تعاليمه وكذلك زاد اضطهاد اتباعه. واشتهر من بعض رؤسائهم دعاوي مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآتية وامثالها فاختلفت آراؤهم وتشتت اهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات وزاد الطين بلة ان اطلق شاب اسمهُ محمد صادق التبريزي رصاصة على جلالة ناصر الدين شاه سنة ١٨٩٦ ميلادية حينما خرج جلالتهُ للصيد من قصره في قرية ياوران وهي على ساعتين من طهران فاشتد الامر في طهران وسائر البلاد على البابيين فقبضوا على المتهم والبريء والمطيع والعاصي وقتلوا كثيرين منهم باشد انواع القتل وافظعها

ومن جملة من قتل في هذه الحادثة المرأة الشهيرة قرة العين وهي بنت حاجي ملاً صالح اكبر علماء قزوين . وكانت اعجوبة عصرها في العلم والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان وكانت منتمية الى الشيخية مكبة على مطالعة الكتب الكلامية. فلما ظهر الباب وانتشرت رسائله اعتنقت مذهبه وصارت من أعظم انصاره وكانت اذ ذاك في مدينة كربلا فناظرت علماءها فأفحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها . فحدث هيجان عظيم بين علماء العراق فاضطرت ان تمضي الى بغداد ونزلت مع بعض خواصها وحاشيتها في بيت ابن الالوسي الشهير مفتي بغداد (وهو مصنف كتاب تفسير روح المعاني المطبوع في بولاق)ومكثت في بيته نحواً من شهرين وناظرت علماء بغداد فرضوا جاطاعلى الاستانة فرجعت الى ايران بأمر السلطان المرحوم عبد المجيد خان فلما بلغت ايران ناظرت علماء كرمانشاه وهمذان ووردت الى قزوين وسكنت في بيت والدها حتى قتل عمها في قزوين فمضت الى طهران ونزلت في بيت الشارع الشهير بهاء الدين . فقبض عليها بعد مدة وبقيت محبوسة في طهران حتى حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ ميلادية كما ذكرنا آنفاً فقتلت خنقاً والقيت جثتها في بئر الجبنيذ المعروفة بباغ ايلخاني

قال ابن الالوسي « القرتية اصحاب امرأة اسمها هند وكنيتها ام سلمة ولقبها قرة العين لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة اشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول برفع التكاليف بالكلية وأنا لم احس بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين وكم من بحث جرى بيني وبينها ورفعت فيه الثقة وقد رأيت فيها من الفضل والكمال ما لم اره في كثير من الرجال وهي ذات عقل واستكانة ومزيد حياء وصيانة وقد ذكرنا ما جرى بيننا من المباحثات في غير هذا المقام واذا وقفت عليه تبين ان ليس في فضلها كلام » الى آخر قوله . وقد خلف الباب رسائل كثيرة وكتباً مدونة بالفارسية والعربية منها ماذكرناه ومنها الرسالة العدلية في الفرائض الاسلامية ومنها تفسير سورة البقرة واحسن القصص وكتاب اسماء كل شيء ومنها البيان الفارسي . واورد عليه اعداؤه ان كلامهُ خارج عن الفصاحة وفيه ما يخالف القواعد النحوية . وقيل انه لما انتقدوا عليه هذا الانتقاد اجاب بأن الكلمات كانت مقيدة فلما ظهر أطلقها من القيد ...ولكني رأيت في كتاب البيان انهُ أجاب عن هذا الايراد اولاً بأنهُ ما قرأ النحو والصرف وما تعلم في المدارس وما ادعى انهُ من اهل العلم بل انهُ شاب فارسي امي مأمور من ربهِ بما يعارفه . وثانياً بأن منكري القرآن انتقدوا على رسول الله عليه السلام بامثال هذه الانتقادات واستشهد ببعض الآيات القرآنية التي انتقدوا عليها بأن فيها ما هو مخالف للقواعد النحوية والاصول اللغوية . والحق يقال ان كتب الباب وبهاء الله ورسائل فرعه الكريم عباس ليست مما ينتقد عليها بأمثال ذلك

والباب حسابات دقيقة ليس هنا مقام تفصيلها مثلاً عبر عن العدد ١٩ بالواحد تطبيقاً على حساب الابجدية وبحاصل ضربه في نفسه بعدد كل شيء وبنى على هذا العدد تواريخ ايامه وطبقات اصحابه وابواب كتبه والسنن والآداب المنسوبة الى طريقته . ولهُ احكام صعبة صارمة قلما يمكن ان يعمل بها نفحها وأصلحها بهاء الله كما سنبينهُ . واما بهاء الله واسمهُ ميرزا حسين علي فولد في ٢ محرم سنة ١٢٣٣ هجرية ووالده ميرزا عباس الملقب بزرك النوري كان من كبار وزراء دولة فتح علي شاه والعائلة النورية من العائلات الشهيرة في بلاد ايران

فلما قام الباب واشتهر ذكره صدقهُ بهاء الله فاشتد به ازر البابيين وعلت كلمتهم وكثرت جماعتهم وانتشرت تعاليمهم في طهران ومازندران وكان بينهُ وبين الباب مراسلات سرية كان الواسطة فيها ميرزا عبد الكريم القزويني كاتب ألواح الباب . فلما حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ م كما ذكرنا قبض على بهاء الله وسجن نحو اربعة اشهر وحوكم بمحضر جمع من الوزراء وكان سفير روسيا يدافع عنهُ فلما ثبتت براءتهُ من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه امر الشاه بالافراج عنهُ وابعاده الى العراق فخرج من طهران مصحوباً ببعض عساكر ايران تراقبهُ بعض فرسان سفارة الروس حفظاً لهُ من الاغتيال في الطريق حتى ورد بغداد سنة ١٨٩٧ م

ولما اقام في بغداد اشتد ازر البابيين به وطابت مثاهلهم بورودهِ فانهُ كان على جانب عظيم من الوقار والمهابة والدعة . فأخذ في تهذيب ما فسد من اخلاقهم واصلاح ما انحرف من اعمالهم وأجمع كلمتهم وأشهر دعوتهم فطار صيتهُ وانتشرت رسائله . وطالت اقامتهُ في العراق نحو ١٢ سنة حتى ظهرت حزازات وضغائن في صدور بعض الايرانيين المقيمين في العراق واشتعلت بين الحزبين نار العداوة والشقاق . فآل الامر الى ارسال بهاء الله الى الاستانة بأمر السلطان عبد العزيز خان . وبعد ما مكث فيها نحو اربعة اشهر أمر بالسير الى مدينة ادرنه من بلاد رومللي فتوجه اليها وأقام فيها نحو خمس سنين وجدَّ في نشر تعاليم البابيين حتى تكررت العداوة وتكررت الشكاية فصدر الامر بنفيه الى عكاء من بلاد الشام فتوجه اليها مع اهل بيته وخدامه

ولم يثنِ عزمهُ عن تقديم اتباعهِ وتهذيب اخلاقهم مع ما لحقهُ من الاضطهاد فسنَّ لهم سنناً عادلة وقرظ آذانهم بمواعظ حسنة فوضح رسائله التي زادت عن الالف عدة بأحسن المواعظ والنصائح وزينها بأجمل الامثال والشواهد . ففرض عليهم تربية الاطفال ذكوراً واناثاً بالعلم والادب والاهتمام بتعميم المعارف وتوسيع نطاقها حتى قيل انهُ ادخل المعلمين في طبقات الورثة وكذلك فرض عليهم الاشتغال بالصناعة والتجارة ونهاهم عن الكسل والبطالة وأمرهم بحب الخلق على اختلاف مذاهبهم وأديانهم وعلمهم ان الاديان شرعت للصحبة والوفاق فلا يجعلها سبباً للعداوة والافتراق . وحثهم على اطاعة الملوك والرضوخ للقوانين الدولية ومنعهم من الدخول

في الامور السياسية وصرّح في كتبه بأن سلطة الملوك سلطة سماوية ومنحة الهية . ولذا منعهم عن التكلم بالسوء في حق الملوك والامراء . وفرّق بين المعاملات والعبادات فأرجع حكم العبادات الى الكتاب وحكم المعاملات الى المجالس المدنية ونهى عن تأويل الكتاب . وكذلك منعهم عن اللعن والسب والشتم والغيبة والافتراء والقتل والزنا وعن كل ما يخالف الانسانية ويحدث القلق والاضطراب في الهيئة الاجتماعية حتى منعهم عن حمل الاسلحة الا باذن الدولة ومنعهم عن المتعة والتسري وأمرهم بالاكتفاء بزوجة واحدة وان لا يتجاوز اثنتين البتة وصعب عليهم الطلاق وعندهم الصوم والصلاة والحج والزكاة على حسب ما فصل لهم في الكتب الدينية فنجح في بث تعاليمه وتحسين اخلاق شعبه الى ان توفي في ١٦ ايار سنة ١٨٩٢ م موافقاً لثاني ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ

وأول من دوّن وقائع البابية هو ميرزا تقي المستوفي الكاشاني الملقب باسان الملك مصنف كتاب ناسخ التواريخ فانه ذكر في تاريخه المخصوص بالقاجارية واقعة ظهور الباب وحوادثها موافقاً لما اشتهر عنها عند اعداء البابيين فنسبهم الى الفساد والالحاد وذكر عنهم اموراً تنفر منها القلوب وتشمئز منها النفوس . لانهُ في ايام اضطهاد البابيين اجتهد المعاندون لهم في بث المفتريات عليهم ورموهم بالاباحة وفساد الاخلاق فما بقوا قبيحاً الا نسبوه اليهم ولا رذيلة الا وصفوهم بها فأشكل أمرهم على الاوربيين فقام جماعة من اهل الفضل والانصاف منهم لكشف عقائد البابية ومعرفة عاداتها . منهم العالم الفاضل مستر برون معلم اللغات الشرقية في كمبردج . سافر الى ايران سنة ١٣٠٥ هجرية وعاشر البابيين وأخذ شيئاً من كتبهم وسافر من ايران الى الشام ودخل عكاء ولقي بهاء الله فرجع الى اوربا ونشر ما رآه في المجلات العلمية . وكذلك الاستاذ البارون رزن احد الاساتذة في مدارس بطرسبرج ترجم بعض رسائل بهاء الله ونشرها في بلاد روسيا وسائر اوربا . ومنهم الكابتن الكسندر تومانسكي احد الضباط سافر الى مدينة عشق آباد ومنها الى ايران وعاشر البابيين وعرف عاداتهم وأخلاقهم وشرع في تأليف تاريخهم . وكذلك قام بعض افاضل الشرقيين لتدوين وقائعهم منهم ميرزا محمد حسين الهمداني صاحب كتاب التاريخ الجديد . وهذا سافر مع جلالة ناصر الدين شاه في سفره الاول الى اوربا وعند عودته أتى الاستانة وعرف شيئاً عن الطريقة البابية . فلما رجع الى ايران صنف تاريخه المذكور وترجم الى الفرنسوية والانكليزية في اوربا . ومنهم المؤرخ السائح ابو الفضل محمد ابن محمد رضا الجرقادقاني نزيل بخارى مصنف كتاب فصل الخطاب . وأما لسان الملك المذكور صاحب التاريخ الكبير ناسخ التواريخ فقد عدّل لهجتهُ نوعاً في هذا الكتاب عند ذكر حوادث البابيّة وما كتبهُ عن وقائع البابيّة في اصل ناسخ التواريخ اقرب الى الحقيقة مما كتبهُ في المجلد المخصوص بالقاجارية . وستكشف الايام من غرائب وقائع البابيّة ما سترتهُ الاغراض السياسيّة

من خمس وثلاثين
سنة في المقتطف

التربية والحجاب

لقاسم امين

لو لم يكن في الحجاب عيب الاَّ انهُ منافٍ للحرية الانسانية وانهُ صار بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فجعلها في حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع أن الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المالية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجينة مع أن القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبره للرجل — لو لم يكن في الحجاب الاَّ هذا العيب لكفى وحده في مقته وفي ان ينفر منهُ كل طبع غرز فيه الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انهُ يحول بين المرأة واستكمال تربيتها

اذا تقرَّر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن أن يستغنى عنها فما هي التربية التي تناسبها ؟ هل يناسبها تربية كتربية الرجل او تخص بتربية اخرى ؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب اولا بدَّ فيها من ابطاله ؟ وهل يعمل فيها على قواعد تؤخذ من العلوم التربية الحديثة او يُرجَع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة ؟

***

في المسألة الاولى — لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلأن المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب أن تتعوَّد الرياضة كما تفعل النساء القرويات اللواتي يشاركنَ اقاربهنَّ الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتاد ذلك من اول نشأتها وتستمرَّ عليهِ من غير انقطاع والاَّ ضعفت صحتها وصارت عرضة للامراض. ذلك لان النواميس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبهُ الجسم وما يفقدهُ بحيث لو اختلَّ هذا التوازن فسدت الصحة واختلَّ نظامها . والامراض التي تصيب الانسان بسبب اهماله

استعمال قواه الجنسية ليست بأقل عدداً ولا بأخف ضرراً من الامراض التي تصيب من ينفق قوته ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها . ثم ان ما تقاسيه المرأة من الآلام والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء الا قويات المزاج صحيحات الاجسام كنساء القرى المتعودات العمل البدني المتمتعات بالهواء النقي . أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لهن على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهن يمشين عليلات بعد الولادة الاولى وكثيراً ما يهلكن فيها فقد يلقى عدد من يموت منهن في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

وكما تلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة اولادها ووقايتهم من العلل . لان ما يعرض على مزاج الام وما يكون فيه من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادبية فلأن الطبيعة قد اختارت المرأة وندبتها الى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الاخلاق واتمنتها عليها . فهي التي تضع النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال الاخلاق وتنشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقاً للامة بعد ان كانت اخلاقاً للعائلة كما كانت اخلاقاً للعائلة بعد ان كانت اخلاقاً للأم . هذا يدلنا على ان المرأة الصالحة هي أنفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هي أضر عليه من الرجل الفاسد . ولعل هذا هو السبب في ما وقر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنست بها المرأة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلي من شأن المرأة ما لا تعليه من شأن الرجل

***

بقي علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية . هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والغاية التي ترمي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقته امكنه ان يوجه اعماله الى ما يعود عليه بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيداً

ولا تحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضاً الى تعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكائنات واحوال الانسان كما انها تحتاج الى تعلم مبادىء قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

كلها ما عدا القيد والاهتمام . والحالم يدرك ويتذكر ويستدل ولكنهُ لا يقيس ولا يطبق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهداً عنيفاً . فحسبان الباح صحة اجتتاج بسيط لا يقتضي عناء ولكن الحكم بأنهُ باح كلب لا يكون إلاَّ بعد إعمال الفكر وإعمال الفكر هو الذي ينقص الحالم وبهِ يمتاز عن المستيقظ

وبهذا الفرق الجوهري نفهم مزايا الاحلام أي مميزاتها فيفهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقلما يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث بحسب اهميتها

فعدم الانسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطباق التام بين ما يشعر بهِ الحالم وما يتذكره بل كثيراً ما يطبق الحالم امراً على أمر مخالف له أو يطبق اموراً متخالفة يأتي بها من ذاكرتهِ على أمر واحد يشعر بهِ. مثال ذلك أن ترى عيناه نقطاً بيضاً في بقعة خضراء فتصورها مرجاً أخضر فيهِ أزهار بيض او طاولة البياردو وعليها كرات العاج أو نحو ذلك مما يجتمع فيهِ الاخضر والابيض ويكون محفوظاً في ذاكرتهِ . وتتسارع هذه الصورة من الذاكرة وكل منها يحاول ان يلصق بالتأثير الذي دخل ذهنهُ فقد تتوالى عليهِ الواحدة بعد الأخرى فيرى أولاً مرجاً ثم طاولة بلياردو وقد يظهران دفعة واحدة حتى لا يرى فاصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجاً وطاولة بلياردو في آن واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيء إلى غيره حالاً وإذ يرى العقل ذلك يحاول إيضاحهُ فيزيدهُ غموضاً

ولهذا السبب عينهِ يفتقي الزمان من كثير من الاحلام فيرى الحالم في ثوانٍ قليلة حوادث لو تذكرها في يقظتهِ لقضى في تذكرها يوماً كاملاً لانهُ وهو في اليقظة يعيش مع غيره من الناس فيرى ما يجري لهُ متناسباً بحسب اتصالهِ بهم كأن ساعتهُ لغيره بمثابة ترس ساعة لها اسنان كثيرة تتقدم بها حركة زبلكها إلى ساعات ودقائق بدلاً من تركه يتحلل في وقت واحد . وهذا الترس المسنن لا وجود لهُ في الحلم فلا محل فيهِ للتحكيم والتدقيق وما يقتضيانهِ من الجهد والعناء ولذلك لا يضطر الحالم ان يطبق ما في نفسهِ على ما هو خارج عنهُ

***

بقي ان نعلل كيف ان همود العقل يجعل الحالم يقدم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع أنها تنطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدٍّ سوى

من الآراء الشائعة اننا نحلم في الليل بما كان يشغل افكارنا في النهار خاصة . وهذا يصدق احياناً ولكن ان كانت الافكار التي نفكر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اننا

لا تكون نائمين النوم الحقيقي المريح بل النوم الذي نستيقظ منهُ متعبين كأننا لم ننم

اما الاحلام التي نحلمها في النوم العادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا خطوراً وبالمواضيع التي مرت بنا ولم نمعن النظر فيها . وإذا حلمنا بما حدث لنا في يومنا فالغالب ان يكون بالتطفيف منهُ لا بالمهم فاذا كنت في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولما دنت مني اجفلت عن غير قصد ولغير داع خوفاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان مركبة صدمتني ومرّ مجلها عليّ ولكني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فعلاً . واذا سهرت على مريض مشرف على الموت وخطر ببالي انهُ قد يشفى ولو كان الرجاء من شفائهِ مقطوعاً ثم نمت فقد أحلم انهُ شفي . والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر ومن المحقق ان الامور التي يراها الانسان في حلمهِ هي في الغالب الامور التي مر في بالهِ وقت اليقظة مروراً لا التي ينم نظره فيها ويطق قلبهُ عليها . ولا غرابة في ذلك لان الذات التي تحلم هي الذات التي لا تهم ولا تعنى والصور التي تجسمها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة من غير تعب ولا عناء

***

أما إذا كان النوم عميقاً جداً فيحتمل أن تكون أحلامه غير ذلك ولكن هذه الاحلام تنسى عادة ولا يتذكرها المرء بعد ما يستيقظ وإذا تذكر شيئاً منها شعر كأنهُ آت من مكان سحيق وزمان بعيد دلالة على انهُ تذكر في حلمهِ اموراً مرت عليهِ في صباه ولما استيقظ حاول ان يسترد بهجة الصبا فقالت لهُ هيهات

قالى أحلام هذا النوم العميق يجب أن يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تتجلى محفوظات الذاكرة بعد أن يكون صاحبها قد نسيها ولكي يعلموا الامور التي تدخل في دائرة المباحث النفسية . ولا أجسر أن أبدي رأياً في هذا الموضوع ولكني لا أحجم عن الاعجاب بالغيرة والهمة اللتين يعمل بهما أعضاء جمعية المباحث النفسية فان كان التلبثي تؤثر في أحلامنا فمن المحتمل أن يكون أشد تأثيرها فينا ونحن نائمون هذا النوم ولكني أكرر ما قلتهُ سابقاً وهو أني لا أستطيع أن أبدي رأياً في هذا الموضوع . وها قد سرت معكم على قدر استطاعتي فأقف عند عتبة المجهولات وستكون أهم أعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في أعمق أسرار الوجدان أو فيما نسميهِ بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي أن الباحثون سيكتشفون فيهِ مكتشفات عجيبة لا تقل اهميتها عن اهمية ما اكتشف مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية هذا ما ارجوهُ وأتمناهُ وأجعله مسك الختام

من خمس عشرة
سنة في المتحف

موعظة شهر الورود

للآنسة « مي »

دنا المساء فهزني طرب الربيع ورغبت في الخروج والتجوال لاشارك الطبيعة في افراحها كأني حسبت جدران البيت تقطع الصلة بيني وبينها ، وتشعرني بأن الكون حرمني من مشاركة موجوداته الهاتفات بأريج ايار بين الغصون وبزينة الارض العروس

خرجت وليس لي وجهة معينة اطلب بداهةً احياء قلما اخترقتها . فسرت في شارع قصير على مقربة من شارعنا كأن نفسي المتيقظة لبت داعي الاخضرين المحيطين بهاتيك المنازل اخضر يبسط على ارض الحديقة طنفسة مخملية ، وأخضر يتعالى ظليلاً فيعكس طيف اتانه على وجه الجدران الشاهقات

سرت متمهلة أتنقل من رصيف الى رصيف ، والشمس آخذة في التحدر وقد انكسرت حدتها ولطف نورها حتى بدت الاشعة حزينة بما مازجها من معاني الفراق . وما كان اندر المركبات والسيارات في ذلك النهج ، والمارّون يتبادلون نظرة كأنهم لقلتهم يقولون « أرأيت ؟ لا أحد الاّ أنا ! »

اتيت على آخر الشارع فنفذت منهُ الى شارع رحب طويل هو شارع ماريت باشا المؤدي الى دار الآثار المصرية . فخطوتُ مترددة بين العودة من حيث أتيت ومتابعة المسير الى الامام . واذا بناقوس يدق على مقربة مني ولرنينه ازاء الغروب دويٌّ متوسل حنّان . فالتفتُّ الى جهته فوجدتني امام كنيسة صغيرة رأيتها مراراً ولم ادخلها مرة

وقفت اتأمل واجهة الكنيسة وأدير نظري في الحديقة التي تتقدمها وكانت تجتازها بعض السيدات . فلما توارين وراء باب الكنيسة تبادر اليّ انهُ يُحتفل بصلاة الشهر المريميّ في هذه

الساعة من كل يوم على طول الشهر ، لان ايار (مايو) مكرّس للعذراء . ولم يعد ينقضي الآن أُري فتاة تسير بخطوات عصفور في ثوب ازرق كزرقة الاحلام وتتوارى هي ايضاً وراء باب الكنيسة لاجد مني شوقاً الى مشهد الهياكل وتوقاً الى رائحة البخور . اضحكوا ما شئتم ، انتم الزاعمون ان الثوب المليح دعابي ، وان زيهُ البسيط وتخريعهُ الدقيق كان له مع المرأة مني احاديث

اما الكنيسة فكانت مملوءة بالمصلين ولم يخل في مقاعدها الآ مكان واحد جثوت عنده قرب الكاهن الراكع امام المذبح يتلو المسحة باللاتينية فيرد عليه الجمهور بلهجة الخاشع المنيب

لا اعرف شيئاً اجمل واسمى من الصلاة في اي دين من الاديان ، لانها رفع النفس الى اعلى درجات الارتقاء ومحاولة الدنو من روح الحياة الكبرى . هي مناجاة العابد للمعبود ، هي شكر المخلوق للخالق واستطافتهُ لاستنزال عطاياه . وما اعذب هذا الاعتقاد ان في السماء هناك وراء جميع القوى والجاذب الكونية الهاً قديراً لا يقضى دونهُ امر ، لديه النعم يفيضها على الحاجة البشرية ، وعزة يتلاشى حيالها ضعف الانسان ، وجودٌ يمسُّ البرايا فتموج وتتنوع وتنبض بالحياة والقوة والتحول . الآ اني لا استحسن الصلاة الآلية المستطردة على وتيرة واحدة دون ان يشترك فيها العقل والقلب ، — الصلاة المتعاقبة ألفاظها بين الشفاه والاصابع تعد منها ارقاماً معينة — لانها ايست الى التنويم المغناطيسي منها الى الايقاظ الروحي . قد يكون هذا التأثير من تفنن الشيطان في التجربة والخداع . قاتله الله ! لقد وسوس في صدري حتى شتت افكاري وحملني على احصاء الحاضرين . وكانت النتيجة اني جزمت بأن النساء اسبق الى دخول السماء نسبة الى عددهن في الكنيسة ، اذ لم يكن بين مائتي امرأة الآ رجلان وخمسة ارباع . أما الرجلان فرجلان ، وأما الخمسة الارباع فصبيان صغار خمسة جاءوا مع امهاتهم . وكم كنت ظالمة في الاحصاء والحكم فلك اني عند الخروج وجدت جمهور الرجال في مدخل الكنيسة يقفون هناك مراعاة للسيدات وتكرماً منهم لهن بالمقاعد

وظلّ الخنّاس الوسواس يجربني فحسّن لي تفحص المعبد فتفحصت جدرانهُ وما قام عليها من صور وتماثيل ، وهندستهُ وما ميزها من نقوش ورموز ، وهياكلهُ وما تناسق عليها من صلبان وطاقات ازهار — تلك الازهار ذات الانحناء السريّ تتخللها شموع كأن لهبها تذكارات لاذعة في شفق الغيبوبة والنسيان

لكل شيء في العالم نهاية . صمتت الاصوات فشى السكان الى الدرابزون امام المذبح الكبير وبدأ موعظتهُ الايطالية . وكان يقول اشياء عادية بصوت مثبت واشارتهُ مرتبكة كاشارات التلاميذ في حفلة توزيع الجوائز . ولكن لم يلبث ان ارتفع صوتهُ وركزت هيئتهُ واتسعت اشاراتهُ ولمعت عيناه وهو يقول :

« الى مريم ربة هذا الشهر الجميل يجب ان تلتجيء النساء جميعاً . فالامهات يتعلمن منها التجمل بالصفات التي احاطت بها ابنها يسوع : وهي الحنان والحصافة والمحبة الصادقة التي لا زهو فيها ولا شعور . لقد كانت ، وما زالت ، وستبقى ابداً اسمى مثال للامومة القدسية ، تسير الامهات وراءها مستوحيات اساليب التربية والتهذيب

« اليها يلتجيء اليتامى الذين لا امَّ لهم فيجدون في حضنها الراحة والعطف والمساعدة . اليها تلتجيء العذارى لانها ابهى مظهر للطهر والحشمة والوداعة

« اسمعن يا اخواتي يا نساء القاهرة ! اليكنَّ أوجه هذه الكلمات فأقبلنها لانها خلاصة اعتقادي ، تعلمنَ الحشمة من مريم انتنَّ بنات اليوم الناسيات . ما وقار المرأة واحترام الناس لها الاَّ نتيجة حشمتها وعفتها . انا قد تكنَّ عفيفات طاهرات في قلوبكنَّ ولكن كيف يصدَّقكنَّ الرائي ويحسنَ الظنَّ بكنَّ وانتنَّ تسرنَ في الشوارع بهذه الازياء الحديثة التي تعري منكنَّ العنق والنحر والذراعين ، هذه الازياء الشريرة بأقمشتها الشفافة ، الشريرة بقصرها وضيقها ، التي تعدم لابسها كل هيبة وجلال

« أتحب تتزينَ ؟ أتحب تهين في هذا التهتك ؟ ألا تعلمنَ اذاً ان حب الرجل لا يكتسب بالتهتك بل بالتكتم . الرجل محارب من طبعه يهوى الفتوحات ويستميت في الاخضاع بينما هو يعرض عن كل ما لا يكلفهُ الماً وكدًّا . فلماذا يسعى اليكنَّ وانتنَّ تحطرنَ في كل مكان ؟

« ام انتنَّ تتزينَّ للجمال ؟ ولكن هل الجمال في الزينة والاناقة وملاحة الوجه وتناسب الاعضاء ؟ كلاَّ ! كم من امرأة تُحسب آية تناسب وملاحة وهي مع ذلك غير جميلة اذا سرَّ امروء بمشاهدتها مرة او مرات فهو لا يتسنى مجالستها ويملُّ كلامها وسخافتها بعد ان يعرفها قليلاً اذ يرى ان احسن ما فيها هو هذا الشيء الخارجي الذي لا يكفي لامتلاك القلوب واكتساب الارواح

« ألا تعلمنَ ان النساء اللاتي كنَّ ذوات أثر في اعاظم الرجال وذوات سلطة وشوكة

حزنَ جمالاً اعظم من هذا الجمال الخسيس وأبقى . لقد كان لهنَّ جمال النفس الذي تزيده الايام رونقاً بينما هي تحكُّ القشرة هنا وهناك وتوسعها كل ساعة ذبولاً واتلافاً . كان لهنَّ جمال العقل وجمال القلب ، وجمال حسن التصرف ، وجمال اللطف الصحيح ، وجمال المحبة الطاهرة العميقة المستخفة بالمظاهر التي لا يغرها جمال الشباب وجمال الاناقة وجمال الازياء

« أتعلمنَ ما هو الشباب والجمال ؟ هما حديقة تملأ الازهار النضرة والعطور المنعشة ، يقف امامها المارُّون معجبين . وما هو الاَّ يوم وليلة فتمرّ العاصفة صارعة اشجارها ، مبددة ازهارها ميدة عطورها ، وتغادرها خالية الاَّ من اكوام التراب والاغصان المكسرة . هذا ما تسمونهُ جمال الشباب اي جمال القشور . اما الجمال الآخر فهو جمال الجوهر . الآلام تطهره ، والمصائب تجلوه ، والعواطف تمنحهُ قوة وبهاءً . هو الجمال الذي يبقى ناميًا مدى الحياة . هو مساعد العائلة ، هو مساعد الزوج ، هو مهذب الاطفال ، هو السلام والخير والبركة . ولتحفظه المرأة . . . اسمحنَ ايتها السيدات . . . لتحفظ المرأة ذلك الجمال . عليها ان تكون وردة تحيط بها الاشواك . . . . »

انتهت الموعظة . فعزف الارغن الشجيّ وابتدأ الزياح فاشترك الجميع في الترتيل وتصاعدت الشمائر نحو الله ملحنة الماماً ومحترقة امام هيكله بخوراً

وعند خروجي من الكنيسة كان الظلام يغمر المدينة ومضيئو المصابيح يجرون في الشارع حاملين المشاعل . فوقف احدهم يتفرج على السيدات وهو يفترُّ عن أسنانه البيضاء ، ويثني على كل مارة الثناء المعتاد قائلاً بلهجته المصرية النقية « انت يا واد يا حلو ! انت باللي زي الباشا ! انت يا واد يا حلاوة »

هذه هي موعظة شهر الورود : على المرأة ان تكون وردة تحيط بها الاشواك . وما «الاشواك» الوردة النسائية غير التكتم والحشمة والطهارة كما قال ذلك القس . فان عجبتم اليوم لهذا الكم الطويل الذي يتعثر قلمي بأذياله فاعلموا ان سببهُ موعظة شهر الورود . وان اعرضت عن ذلك الثوب الشفاف الساحر واستبدلتهُ بهذا الشبيه بثوب ايبا الواعظ لكثافته فما سببه الاَّ موعظة شهر الورود . وان غادرتكم الآن ، فما ذلك الاَّ لاني اريد ان اسمع موعظة شهر الورود مرة اخرى

النهضة الشرقية الحديثة

وأظهر مظاهرها

من عشر سنوات
في المقتطف

مختارات من استفتاء للمقتطف
تم سنة ١٩٢٦ — ونشر سنة ١٩٢٧

ما مزج الشرق عن جموده

للشيخ مصطفى عبد الرازق

أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة في الشرق الادنى هي النهضة الفكرية التي زحزح الشرق عن جموده والتي هي اساس لكل نهوض

بدت مظاهر الجمود العلمي في الشرق ، حين عدا على الشرق الجمود ، من وجهين : احدهما — صبغ العلوم كلها بصبغة واحدة ، والذهاب بغاياتها جميعاً الى وجهة دينية ، ليست هي الغاية التي تتجه اليها العلوم بطبيعتها

فعلم العروض الغرض منهُ ان تعلم ان القرآن الكريم ليس بشعر

وعلم الحساب تعرف به تقسيم المواريث على النظام الشرعي

وعلوم الهيأة والفلك تهتدي بها الى القبلة ومواقيت الصلاة

والفلسفة يراد بتعلمها الرد على ما تتضمنهُ من آراء مخالفة للدين

والامر على هذا المنوال في سائر العلوم

ولاشك ان توجيه العلوم في هذا الاتجاه ضيق دائرتها وانحرف بها عن مذاهبها ، ووقفها عن التقدم ، ووسمها في قواعدها وشواهدها واغراضها بسمة خاصة هي سمة الدين التي لا تحتمل كل ما تحتمل حرية البحث العلمي من فروض وتجارب وشكوك

والوجه الثاني — تغلب الاسلوب الديني على اساليب النظر المنطقي في جميع مناحي البحث ، وهو متصل بالوجه الاول

الدين يعتمد على نصوص مقدسة مصدرها الوحي الالهي ، وكل جهد التفكير الانساني فيما هو تفهمها وتأويلها ، والقياس حكم ومؤيدات من جانب العقل لما جاءت به

اما البحث العلمي فهو يتناول الاشياء والحوادث والمعقولات ، يحلل مركباتها ، ويؤلف بسائطها ويستقرىء جزئياتها ، ويصل بين عللها ومعلولاتها

هما اسلوبان متباينان ، قد لا يستغني الانسان عنهما ، لكن لا يجوز له الخلط فيهما

على ان انحطاط الشرق ، وتقاصر الهمم فيه ، وارتباك العقول ، وفقدان روح الحرية والاستقلال ، كل اولئك خلط بين الاسلوبين بل محا احدهما ، واصبحت العلوم ديناً تحترم نصوص المؤلفين السابقين فيه كما تحترم الكتب المنزلة ، ولم يبق للاحقين الا ان يتدارسوا ما كتب الاولون ، ويخدموه بشرح او حاشية او تقرير

وهكذا جمد العقل وجمد العلم وجمد الدين

***

ثم جاءت النهضة العلمية الحديثة في الشرق ، تفصل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، وتخلص اساليب البحث العلمي من الاسلوب الديني

نشأت هذه النهضة في مصر باتصالها بالمعارف الغربية ، فقد جاء مع (بونابرت) علماء كانت آثارهم بزوراً لم تذهب كلها بداداً

وارسل محمد علي الكبير الى اوربا بعثات علمية اختارها من الازهر . فذهبت متينة باخلاقها الدينية وتعليمها الازهري ، وعادت أشد متانة واوفر كفاية بما كسبت من معارف جديدة ، وبما عرفت كيف تفصل بين وجهة النظر الديني ووجهة النظر العلمي

اخذوا يضعون في ضروب من العلم مختلفة مؤلفات ليست متوناً ولا شروحاً ولا حواشي ولا تقارير ، وليست على ذوق الدينيين وما ألفوا من أساليب وأخذوا يعربون خير ما عند الفرنجة من كتب في الفنون التي درسوها . واليهم يرجع الفضل في النهضة العلمية الحديثة

وقد وصل ارهم الى المعاهد الدينية نفسها ، التي نشأوا فيها نشأتهم الاولى ، فنبه اهل تلك المعاهد الى صنوف من العرفان لم يعرفوها ، واساليب من التفكير والبحث والبيان لم يألفوها

واذا كان ذلك مما أثار كفاحاً بين الجمود الذي لا يريد تغييراً والنهوض الذي يريد ان يحل العلم من عقاله ، ان يجعل للدين سبيلاً خالصة ، فهو قد أنبت بين الدينيين انفسهم فكرة اصلاحية . وأنهض من بينهم مصلحين يعملون على تقرير حرية العقل واعتبارها عما جاء به الدين

وكانت خدمة هؤلاء المصلحين للدين والعلم خدمة جليلة بما أيدوا حرية العقل من وجه ديني

وبما حسبوا اسباب عداوة بين الدين والعلم كان رجال يثيرونها في نفوس الجماهير حرباً مدمرة

خدم هؤلاء المصلحون دينهم ، اذ ردّوهُ الى ينابيعه الصافية ، وجرّدوهُ من التشويه والسخف ، وأبرزوهُ كما أنزلهُ الله من السماء نقيًّا حرًّا سمحاً كريماً

وخدم هؤلاء المصلحون النهضة العلمية في مهدها ، وصانوها من طغيان المجاهدين ، وردّوا عنها كيد الكائدين

ولقد كان الامام محمد عبده يهتف في الناس بكل ما أُوتي من قوة الايمان وقوة العقل ، ان ليس من الدين ان يرمى بالكفر اهل النظر العقلي وان زلوا ، فانما هم يطيعون الله في تحريك عقولهم « ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانك »

اما الذين جاؤوا بعد الشيخ محمد عبده يقذفون كل مفكر بالكفر ، فأولئك في ايمانهم ضعف وفي عقولهم

***

ومن العوامل التي لها في نشر الحركة العلمية في الشرق أثر معاهد العلم التي انشأها الاجانب ولئن كان في كثير منها منازع مؤذية ، فقد تضاءل كل اثر لها غير صالح الى جانب أثرها العلمي ، فان العلم بأبى بطبعه الا ان يكون مثمراً ثمرة خير

ومن قول ما قال الغزالي : « طلبنا العلم لغير الله فأبى الا يكون لله »

***

وقد نشأت الصحافة مع نشأة النهضة العلمية . فكانت مظهرها قوة وضعفاً وتأثرت بها وأثرت فيها

لكن الصحافة كثيراً ما تراعي هوى الجمهرة من قرائها ، وكثيراً ما يكون هوى العلم غير ما تهوى الجماهير

بيد ان مجلات علمية نشأت في عهد علمي وحملت لواء العلم ، قد ادت للعلم احسن خدمة بتيسيرها مباحثهُ العويصة ، ومثابرتها على بث التفكير العلمي ، والمبادىء العلمية وقد كانت ولا تزال ، مدارس صالحة لطوائف من المتعلمين لا يتهيأ لها ان تساير حركة الرقي الفكري في العالم الا من سبيلها

***

واذا ذكرت النهضة العلمية في الشرق الادنى وذكر انصارها فالمقتطف جدير بان يحمل راية السبق في هذا الميدان

خمسون عاماً من اعوام الجهاد في خدمة العلم وحرية الفكر في الشرق أيقظها الدهر فوق جبين شيخ المجلات ، إكليل مجد وفخار

طرائق التفكير الحر

لسامي الجريديني المحامي

في التاريخ نهضات كثيرة منها ماكان سياسيًّا نقل السلطة من يد الى اخرى ومنها ماكان اجتماعيًّا قضى على نظم موروثة وتقاليد معبدة ومنها ماكان أدبيًّا غيَّر نظام التفكير وفكَّ العقل من قيوده

فهل عندنا في الشرق مثل هذه النهضات ؟ او بالاولى مثل هذه الثورات ؟

ولماذا تقول النهضة في « الشرق » . اني لا احبّ هذا التعميم — فاهو الشرق ؟ ومن هم الشرقيون ؟

ولماذا نسير وراء هذا التقسيم القديم الاعمى فنفصل العالم الى شرق وغرب

قف امام خارطة العالم واجعل اعلاها شمالاً واسفلها جنوباً ويمينها شرقاً ويسارها غرباً ترَ مصر مع افريقيا في الجنوب لا في الشرق . بل انت ترى اوربا قسمها شرقاً اذا قيست بأميركا

ألا إنهُ خطر لقدماء الاغريق ان يقسموا العالم الى شرق وغرب يجب ان نسير نحن وراء هذه القسمة

انها ليست على شيء من حقيقة الجغرافية

وهل يصح ان نكون نحن شرقيين مثل اليابانيين والصينيين ونُحدّثنا عنهم جنساً ودماً ودينًا بعد ما بين السماء والارض . وهل يصح ان يكونوا اقرب الينا منا الى اليونان والبلغار والتليان وبيننا وبين هؤلاء ربط عديدة لا نجدها بين الصين ومصر مثلاً

او نقصد الى القول بأن النهضة في مصر ترمي الى انهاض الحجاز والعراق وفلسطين وسوريا وتركيا وما الى هذه البلدان التي نجمعنا بها جامعة قديمة

الحقيقة اننا لا نجرؤ على القول بالقومية بعد . اننا لا نجسر ان نقول ثورة مصرية او ثورة سورية او ثورة تركية قسم ونقول شرقية كما لم نقل بعد التفكير تفكيراً قوميًّا لحداثة عهدنا بمثل هذا التفكير . اللهمَّ الاَّ الاتراك فقد ساروا على غير ما نسير نحن عليه ولعلهم شدوا الرحال في سيرهم شدًّا سريعاً قد لا يكون ممدوح العاقبة بعد ما بين الغرض الذي يرمون اليه وتاريخ

عنصرهم المعروف . ولكنهم في نظري الشعب الشرقي الوحيد السائر الى غاية محدودة على طريق محدودة — لذلك يصح لنا بحق ان نقول « نهضة تركية » فانها ثورة سياسية واجتماعية تهيأ لها ما يهيأ لكل الثورات — زعيم يقود رامياً الى غرض وسير حثيث الى هذا الغرض وجهاد مع اجنبي أثار فيهم روح القومية باستفزاز عواطفهم وهكذا سبيل الشعوب في تكوين قوميتها . دع عنك ما على هذه النهضة من انتقاد ليس هنا محل البحث فيه

اما في ما سوى ذلك فأين النهضات في « الشرق » اذا سلمنا جدلاً بهذا التقسيم الذي يفصل العالم الى شرق وغرب

نحن من الذين يعتقدون ان الحضارة الغربية خير الحضارات التي يتعين علينا اقتباسها كما اننا من الذين ينظرون الى الامر الواقع فيرون انها هي الحضارة السائدة العالم ونحن من الذين يعتقدون ان طريق نجاتنا في مسالمة هذه الحضارة وتكييف حضارتنا عليها تكييفاً لا يناقضها بل يماشيها

ذلك أن التاريخ يقص علينا قصص اصطدام الشرق بالغرب منذ العصور الاولى حتى الساعة فما قصّ الاّ حديث اصطدام كانت نهايتهُ انهزام الشرق امام الغرب — فالعاقل من اعتبر وعرف ان يلتمس طريقاً غير طريق جربهُ فقادهُ الى مواطن الخطر

ونحن من الذين يعتقدون انهُ لا بقاء لنا في معترك الحياة الدولية الاّ اذا كوّنّا قوميات شرقية مستقلة مثل القوميات الغربية فكما انك لا تطمع في تكوين شركة تجارية او جمعية ادبية الاّ اذا عثرت على « شخصيات » مستقلة هي افراد الرجال كذلك لن نكون اهلاً لدخول المجتمع المتمدن ان لم تكن لنا شخصية صحيحة وهي القومية بما تمنيهِ هذه القومية من معانٍ وما تفرضهُ من تبعات وحقوق

فليست الحضارة الغربية لباساً يرتدى او لغة يرطن بها بل هي اساس عميق للحرية : حرية الفكر والقول والعمل ، وبناء شامخ للنظام : النظام القائم على هذه الحرية

فهل عملنا على اقتباس هذه المدنية ؟

انني على الرغم مما بي من التشاؤم عند ما ادرس تاريخنا القديم وعند ما انظر الى حاضرنا ، اني على الرغم من ذلك اظن اننا وقد احتككنا مكرهين بالغرب قد بدأنا ثورة فكرية لا بأس بها فالتفكير الحرّ اساس كل نهضة سياسية كانت ام اجتماعية . ولا تسل عما يؤدي اليه هذا

التفكير . لا . دعهُ يسير . فهو يقاوم ويُقاوم وتصطدم حريتهُ بحريات اخرى وهكذا الى ان يتمّ النصر للفكر الصحيح

فما لا شكّ فيهِ ان جرثومة التفكير الحرّ بدأت في مصر وفي سوريا منذ نيّف وخمسين عاماً — بدأة بكتّابٍ فكروا تفكيراً حرًّا صدم ما في الجماهير من عقيدة موروثة فوقفوا في سبيلها ولكن الفكرة نمت فجاءت بقوم قاوموا استبداد الحكام في عز جبروتهم الطاغي ووقفوا في وجه رجال الدين يمنون عليهم جهلهم فما زالت حتى زحزحت ما كان لتتقدم من مقام

على ان التفكير الحرّ في مصر وسوريا لم تتح لهُ عوامل سياسية تساعدهُ

فقد كان اختلاف الحكام في اوربا وتضارب مطامعهم السياسية مما جعل بعضهم ينصر لوثر في إصلاحهِ وبعضهم يشجع الهوجنوت وبعضهم يحمي ڤولتير وهكذا وجد المفكرون الاحرار الفقراء من يأخذ بأيديهم على غير قصد فساروا يحملون شعلة فكرهم الى ان حرقوا الهشيم القديم

اما عندنا فقد اتفق فيما مضى الجمهور مع حكامهِ المستبدين فكانوا يقاومون كل تفكير حرّ اينما ظهر

ولكنهُ على الرغم من هذا ظلّ حيًّا وها قد بدت طلائعهُ تظهر ظهوراً لم نعهدهُ من قبل فهل يتمّ لهُ النصر او يظلّ محصوراً في دائرة ضيقة كما كان في الماضي فلا ينمو ولا يعيش ؟ لا اعلم

ان تاريخ اضطهاد التفكير الحرّ لتاريخ مجيد . ومجدهُ تاج يلبسهُ كل هؤلاء الذين اضطهدوا وعذبوا وحوكموا وسجنوا في سبيل تفكيرهم

وها قد ذهب الآمرون بالتعذيب والناهون عن الحرية ولم تبق الاّ ذكرى الابطال — أبطال المفكرين تفكيراً حرًّا

فان نحن اجتزنا العقبة وعبرنا السبيل كما عبرهُ اسلافنا المفكرون الاحرار غير مبالين بما تلاقيهِ من اضطهاد او عقاب فاننا نكون حقًّا قد وضعنا الاساس المتين ونكون قد مهّدنا الى نهضة اجتماعية وسياسية تأتي بأسرع مما نظن فنتبوأ مكاننا في مجتمع الحضارة الصحيح

فالحرية أساس كل بناء في حضارة جديرة بأن تعيش . فاذا قام شعب بنهضة سياسية لا تكون الحرية اساساً فيها فلن تكون تلك النهضة الاّ قلقاً غايتهُ التخلص من نير الى نير ونقلاً للحكم من يد الى يد اخرى — وهذا ما نعوذ بالله منهُ

حرية الآداب

لعباس محمود العقاد

ما هي النهضة ؟ هي الخروج من حالة الجمود إلى حالة الحركة ، او هي الانتقال من المحاكاة والتقيد إلى عهد الاستقلال والحرية . فاذا أردنا أن نقوّم نهضة بقيمتها الصحيحة فنبحث عن دلائل الحرية فيها ثمّ النهضة وثمّ يكون أظهر مظاهرها

بيد أني أقسم الحرية إلى نوعين : نوع أسميه الحرية المادية وأعني به الحرية الاضطرارية أي الحرية التي لا تكون أحراراً في طلبها بل نعمد اليها بكرهين مدفوعين بحكم الأحوال القاهرة وبواعث المعيشة، وتلك حرية ناقصة مبتورة لانها حرية من لا حرية لهُ في الاختيار فاذا تبدلت أحوال المعيشة فضاقت بنا عاداتنا وعقائدنا في أحوالنا الجديدة فبرمنا بها ونفضناها عنا فتلك حركة مباركة وحرية طيبة ولكنها على هذا حرية تملوها حريات ومنزلة لا تغبط الامم على الوقوف لديها وليس يصعب عليك أن ترى مثيلاً لها في الحيوان يضيق به الحبس فينطلق منهُ أو يثقل عليه القيد فيعالج كسره أو في الجماد يتقدم لانه لا يستطيع أن يقف مكانهُ أو يتحرك لانه محمول على الحركة

ونوع آخر هو الحرية الروحية او هو الحرية التي لا تدفعك اليها الضرورات المألوفة والمطالب السوقية وانما يدفعك اليها اتساع أفق النفس وسمو معاني الحياة والطموح الى غايات من الرفعة والجمال يشتاقها الانسان الكامل وهو موفور الجد سكين المؤونة . فهذه الحرية هي الحرية النفيسة الغالية وهي مقياس النهضات الشريفة وفضيلة الانسان على سائر المخلوقات ، وهي الحرية التي تترجم عنها الآداب والفنون والفلسفة الروحية وما اليها من التعبيرات «الجميلة» عن اشواق الحياة

ولقد سألتموني : «ما هي أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وأبقى آثارها ؟» فرأيي اذن أن اظهر مظاهر نهضتنا وابقى آثارها هو «حرية الآداب» او هو حركة التجديد في الشعر والكتابة والفن لانها الحركة التي لا تتقيد بمحاكاة قديم ولا بمحاكاة حديث، ولانها ترجمان تلك الحرية التي نحن احرار في طلبها بقدر ما يكون الانسان حرًّا في هذا الوجود ، وليست بترجمان حرية نحن مدفوعون اليها بدوافع الاضطرار والكثيف والمطالب التي يشبهنا فيها الحيوان وقد يوجدها مثيل في الجماد

على ان هذه الظاهرة — بعد — ضعيفة الاثر قليلة الحصول ، فاذا هي بلغت أشدها وأوفت على تمامها فهنالك تبحث في الشرق عن جميع ظواهر النهضات التي عرفتها الامم فلا يعوزك منها دليل، بل هنالك لا يعوزك حتى الدلائل على النهضة «العيشية» التي تعوزنا الآن لانا تمشي مع البواعث الوقتية مسخرين خطوة بعد خطوة ولا ننبعث الى الحرية بشوق في النفس وحب للجمال . فالحقيقة انا اليوم لا نضارع غيرنا في الاختراع والابتكار ومجاراة حاجات المعيشة لاسباب خلاصتها انهم يفهمون الجمال ونحن لا نفهم الجمال ، لا انهم خلقوا بمعدات وأعضاء ونحن خلقنا بغير معدات وأعضاء

انهيار التقاليد القديمة

للدكتور بايرد ضدج
رئيس جامعة بيروت الاميركية

منذ بضع سنوات نقيت علماً عربيًّا من علماء الهيئة ، اقتبس معارفهُ من كتّاب القرون الوسطى وبنى على كتاباتهم آراءه في حلقات زحل وأقمار المشتري وعدد النجوم الثوابت والقوهات البركانية التي تبدو على وجه القمر ، وكانت هذه الآراء مبنية على مقام الكتّاب الذين قالوها ومقام تلاميذهم الذين تناقلوها على مرّ العصور ، ولم يكن للمرقب والبحث العلمي نصيب ما في تكوينها

وفي أحد الايام زارنا في جامعة بيروت الاميركية فذهبت معهُ في المساء إلى مرصد الجامعة وفيه مرقب قطر بلورته ١٢ بوصة، نشاهد بأم عينه بواسطة هذا المرقب ، أقمار المشتري وجاميع النجوم التي كشفت حديثاً وأثبتت وجود عوالم في الفضاء اللانهائي لم تكن معروفة قبلاً وشاهد أيضاً القوهات البركانية التي على وجه القمر وغير ذلك من غرائب الافلاك

فأنشأ يخبرني حينئذٍ كيف انقضت عليه سنون والفلسفة رائده في درس هذه الظاهرات الطبيعية ووصف مقدار سروره لانهُ أتيحت لهُ فرصة ليرى حقيقتها بعينه . ففي لحظة واحدة انتقل مركز السلطة الفكرية لديه من كتّاب القرون الوسطى إلى ما كشفتهُ آلة علمية حديثة

وعرفت رجلاً آخر من لبنان تلقى العلوم اللاهوتية في حداثته وجعل ما جاء في الكتب الدينية أساساً لمعتقده وإيمانه . وكان راسخ الاعتقاد بيوم الدينونة، وبوجود «سماء» و«جهنم» وكان لشدة إيمانه يتدفق حين الوعظ بآيات الكتاب حتى أصبح في بلدته علَماً يدعو الناس إلى الهداية والخلاص . ولكنهُ اختلط بكثيرين من رجال العصر وشبانه فأخذت تتطرق اليه شكوك وريب تعذب نفسهُ المطمئنة . أخذ يرتاب في محتويات الكتب الدينية كلما ازداد تعمقاً في درسها ، وأخذ يبحث عن الحقيقة في مكان آخر . ولما فقد ثقتهُ في صحة الوحي تزعزع إيمانهُ وبردت همتهُ وضعفت قوتهُ عن دعوة الناس وردهم إلى التوبة والخلاص وحاول أن يجد أساساً جديداً لايمانه فلم يفلح ولبث يتخبط في الظلام

***

فعندي أن أظهر مظهر في النهضة الشرقية الحديثة هو أن الناس أخذوا يفقدون ما لهم من

الثقة في تقاليد آبائهم كقاعدة لمعتقداتهم الدينية والادبية ودليل لسلوكهم وانهم اخذوا يبحثون عن اساس غير هذه المعتقدات

لما اندلعت ألسنة اللهيب في أزمير قبيل استيلاء الاتراك عليها سنة ١٩٢٢ هرب كثير من سكانها إلى الميناء. وقفوا هناك على الحد بين البر والبحر يشاهدون بيوتهم وكل ما فيها من عزيز لديهم تتالهُ يد الفناء، ورأوا النيران تلتهم كل شيء حتى لقد كانوا في خطر منها على الثياب التي يرتدونها فدفعهم اليأس إلى الماء يسبحون الى المراكب التي في المرفأ او خارجهُ لعلهم يصلون الى مركب يقلهم. ولكن المراكب والسفن كانت مزدحمة باللاجئين اليها، فغالبوا الامواج حيناً حتى وهنت قواهم وابتلعتهم اللجج

هكذا يرى كثيرون من الناس أن التقاليد والمعتقدات القديمة التي قدَّسها آباؤهم وجروا عليها تنهار إلى الحضيض انهياراً سريعاً يهددهم بهدم معتقدهم الشخصي. فيندفعون مدبرين عنها يبحثون عن أساس جديد لمعتقد جديد فيطمس كثيرون منهم في الظلام ثم يهبطون الى هوَّة الشك أو يغرقون في لجة « المادية »

***

وهذا المظهر من مظاهر النهضة في الشرق لا يقتصر على مذهب دون مذهب أو على جنس دون آخر، فإن الثوار في روسيا نقضوا الكنيسة والعائلة وغيرهما من أركان الحياة الدينية والاجتماعية. واليوذيين في الصين أخلوا معابدهم من التماثيل لكي ينشئوا فيها مدارس علمية حديثة. ومنذ بضعة أسابيع كنت في تركيا فشاهدت فيها بعيني، القيود القديمة التي كانت تقيد بها المرأة، والاحترام لرؤساء الدين، والايمان بالوحي الالهي — شاهدت كل ذلك ينهار أمام المذاهب العلمية الجديدة وحرية الحياة الاوربية

وفي البلدان الشرقية نعرف كثيرين من الرجال والنساء الذين لا يهتمون باحترام التقاليد والعادات والاعياد التي أحبها آباؤهم وجروا عليها. كذلك نجد جهلاً معيباً بأقوال الكتب الدينية واعراضاً عن الصلوات العامة وفي الوقت نفسه نرى ازدياداً في تعاطي المسكرات وانتشار الآفات الاجتماعية. وميلاً الى احلال المسرات والملاهي محل التقاليد القديمة المحترمة. وزاد في اثر ذلك وقوع الحرب وتجييش الجيوش وانتشارها في مختلف البلدان

ففي الحين الذي نرى فيه افراد الجيل الجديد يديرون عن معتقدات آبائهم القديمة نراهم ايضاً يقبلون على الفلسفة القديمة القائلة « لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت »

مضى على مصر والعراق وفلسطين وتركيا نحو خمسين سنة، أي منذ ما الشيء المقتطف وهي

تقطع شوطاً من أشواط الانسان يقع بين عهدي المدنية (الاقطاع) والديمقراطية . اي انقلاب تمَّ في هذه السنين ! ها سكك الحديد والسيارات والطائرات والتلغراف والتلفون، تطوي الابعاد الشاسعة حتى كادت تمحوها . وها مذهب النشوء الجديد أخذ العلم يقيمهُ مقام القول القديم بالخلق المستقلّ . لقد أثبت باستور أن الامراض تنشأ عن أحياء صغيرة هي الميكروبات . وأصبح الزمن يقاس بسني النور ، والتاريخ بالصور الجيولوجية المتطاولة . وصُدِم الاعتقاد بامكان حدوث العجائب صدمة عنيفة ، وصار الكون آلة تتألف من جواهر وأيونات ، تربطها معاً نواميس طبيعية كشفها البحث والامتحان . في كل هذا يبحث الشبان والشابات عن معبود آبائهم وفي الغالب لا يجدونهُ . يقولون اذا كانت الارض كرة فأين جهنم ، واذا كان الفضاء غير محدود فأين السماء

وقد فازت النساء في كثير من البلدان المجاورة للبلدان الشرقية بحق الانتخاب ، وعليه ترى اخواتهنّ في الشرق يطلبن التحرر من القيود التي قيدنَ بها ، القيود المبنية على تمييز بين الرجال والنساء . اضف الى ذلك ان الامم التي تجري على العادات الاوربية في معيشتها اخذت تنتشر في الارض ولها من جيوشها وسائل منظمة لنيل المطامع البشرية

***

ما أعظم التجارب التي يتعرض لها الشبان والشابات في الشرق . انهم معرضون لفقد ما لهم من الثقة في عادات آبائهم وتقاليد اجدادهم والتجري على العادات الغربية غير عارفين هل هذه العادات نتائج الارتقاء الحقيقي او هي سراب يلمع ويخفي وراءه المعايب

ما من جيل في التاريخ واجه طائفة من المشكلات كالمشكلات التي يواجهها ابناء الجيل الحاضر ، وما من جماعة من الفتيان والفتيات وجدت امامها ما يثنيها عن الايمان الصحيح كفتيان الشرق وفتياتهُ في هذا العصر . وسواء تمكن المتقدمون في السن من قبول الآراء الجديدة والتجري عليها او لم يتمكنوا ، فانهم لا شك يستطيعون ان يعطفوا على الشبان الذين تمزقهم هذه الشكوك المؤلمة . وسواء اردنا او لم نرد ، لا نقدر ان نقف سدّاً في سيل تيار ما يسمى مدنية وما يحمله معهُ من آراء جديدة في العلم والاجتماع

وعليه ارى ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة هو هذا الميل الى هدم التقاليد القديمة كأساس للمعتقد والسلوك . وعملنا هو ان نساعد النشء الجديد ليجد اساساً لمعتقدات تعصمهم من احتقار الدين وتقودهم الى الاحتفاظ بأعلى مستوى ادبي حتى يعيشوا لتحقيق الغايات الروحية الرفيعة

في قلوب النرابغ

لامين الريحاني

ان أظهر هذه المظاهر ما يراهُ كل الناس ، كالملابس الافرنجية ، والاسواق المرصفة والارتال الكهربائية ، والسيارات ، والابنية التي لا شرقية تُعرف ولا غربية — انها كلها من مظاهر التطور ، وقد تقدم من مظاهر النهضة . ومما لا مرية فيه أننا غيرنا عاداتنا في الملابس والاسفار ، وصرنا نفضل الجادة المرصفة على الرمل والغبار ، والكهربائية على الحمار . ولا فرق مختارين كنا في ذلك او مرغمين

هو التيار الاوربي والناس امامهُ كالرمان في طريق اصيل . فانا وان لذت لنا قراءة الاخبار واستماعها عن اجدادنا منذ خمسين سنة فلا بلد لنا ، ولا نستطيع الاَّ بوثبة نصفها عقل ونصفها جنون ، ان نعود الى ما كانوا يلبسون ويتطون ، ويبنون ويفرشون . على اني اذا تصورت الشيخ ناصيف اليازجي مثلاً والدكتور يعقوب صرُّوف — الشيخ ناصيف في عمامته وابازمه ، جالساً على «طراحته» يدخن غليونهُ الطويل وهو يكتب ، والدكتور يعقوب في بزته الافرنجية ، مكشوف الرأس ولا غليون حتى ولا سيجة يدمن — تستوقفني الصورة الاولى وان كان قلبي وعقلي يتجهان حبًّا واحتراماً الى الثانية . نعم ان المسألة ذوقية لا اجتماعية

ولكني اسأل القارىء ان يتصوَّر مؤسس مصر الحديثة ، محمد علي الكبير ، بعمامته البيضاء الوافرة ، او في طربوشه المغربي ، وهو متربع في ديوانه ، او متمطٍ صهوة حصانه ، ثم يتصور احد حكام هذا الشرق الادنى اليوم الذين يُقيدون انفسهم بأربع اذرع من الجوخ الانكليزي او الافرنسي ، ويجلسون في السيارة وهم يدخنون السيكارة — يتصور الصورتين ويسأل نفسهُ أيتهما ادعى الى الوقار والاعجاب . أية الصورتين أفخم وأجل وأجل ؟ هذا في الظاهر ، في القيافة . ولا أثير في قلب القارىء الاشجان فأسألهُ ان يقابل بين مؤسس اكبر النهضات الشرقية العربية الحديثة ، صاحب الطربوش والسروال وبين حكام هذا الزمان الدستوريين

ليست أظهر المظاهر اذن من اركان النهضة الشرقية ، ولا هي برهان على النهضة الثابتة التي فيها رقي حقيقي ومعنوي

وما هي يا ترى هذه النهضة ؟ النهضة في القاموس الطاقة والقوة ، او هي الطاقة على النهوض

مما نحن فيه الى شيء أرفع منهُ . ولكن روح الزمن اكسب اللفظة معنىً آخر او ظلاً من المعنى جديداً . اني افهم بالنهضة الثورة على القديم الذي امسى عقيماً ، والقديم الذي صار بالياً ، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً ، ان كان في الاحكام ، او في العقائد ، أو في الآداب ، او في العلوم ولهذه الثورة مظاهر يراها كل الناس فهي اذن اظهرها ، ولكنها ليست بأهمها . ولها مظاهر لا يراها الا فريق من الناس ، وقد لا يراها غير الخاصة من ذوي الالباب ، وهي في نظري اهمها

اما تلك التي يراها كل انسان ويشارك اليوم فيها ، فيخسر او يكسب في سبيلها ، انما هي هذه الاحكام الدستورية التي حلت محل الحكم التركي القديم . ولكنها في مظاهرها مدعاة لغير الاحترام فلو عاد الوالي الذي كان يحكم بغداد منذ خمسين سنة ، ورأى الملك فيصلاً يلعب « التنس » واصدقاءهُ الانكليز ، لهزَّ رأسهُ مبتسماً وهو يقول : كي لا يخجل صاحب الجلالة ، بين النخيل

ولو عاد الخديوي اسماعيل ورأى هذا البرلمان المصري الباهر وهؤلاء الافاضل المكلين بالثوب الافرنجي الرسمي — اسود على ابيض — وبينهم نطخ من العمائم لرفض ان يجلس على العرش المعد لهُ قائلاً — ايها السادة السوَّدون اني افضل ان اكون واحداً منكم على ان اقيد بارادتكم كلها

ولو تجد ثانية احد ولاة الشام وشاهد تماثيلَ بدمشق في السنة الاخيرة لرفع يديهِ الى السماء شاكراً شاكياً معاً . وما هي مظالمنا يا ربي اذا قيست بأعمال المتمدنين ؟

ولو أُتيح للامير بشير الكبير ان يزور اليوم سراي بيت الدين فيرى من على هذه الجمهورية اللبنانية لضرب الارض بفليونهِ ، وعاد دامع العين الى قبرهِ

حكومات جمهورية ديمقراطية ! واحكام برلمانية ! تدابير ! هي اظهر مظاهر النهضة الشرقية العربية اليوم ، واقلها اهمية ، اذ لا ارى فيها سياسيًّا او اخلاقيًّا ، ولا قوة حقيقية او معنوية . فهل تظنها في هذا الشكل الصناعي — وقل المدرسي التمريني — تدوم طويلاً . لا ورب القوة ! فاما ان يقوم عليها حاكم من اهل البلاد — حاكم بأمرهِ وسيفهِ — مثل مصطفى كمال او ابن سعود ، واما ان ينهض الشعب بأسرهِ على اولئك الذين يرومون استعمار الشرق الادنى بواسطتها فيصبون على دورها البنزين ويوكّلون بها النار

وأية مهزلة ، بل أية مأساة اشد من هذه التي يشترك فيها الوطني المزيَّف ، والاجنبي المضيَّف ؟ هل تريدون حكومة دستورية ، وملكاً مقيداً ، وبرلماناً ؟ هاكم ما تريدون . وكلهم

مقيدون ، الملك والبرلمان والدستور . كلهم مقيدون من أجلكم ايها الشرقيون

هي ذي هبة السياسة الاوربية الحرة للشرق الطالب الحرية والاستقلال . هي ذي التحفة التي يطلون بها اليوم هذا الشرق القديم الجديد

ان هناك مظهراً آخر يستحق فضل التفضيل وهو المدارس . نعم ان تعدُّد المدارس في مصر وسورية ، وفي العراق ايضاً ، من أظهر مظاهر النهضة الشرقية التي تبدو للعيان فيراها كل انسان وليست هي بأهم من الدستور والبرلمان . ليست هي عنواناً — عنواناً في الاقل — للتهذيب الاخلاقي القومي ، والتهذيب العلمي العالي

والسبب في ذلك هو ان اكثر هذه المدارس لا تزال مقيدة اما ببرنامج ديني واما ببرنامج اجنبي . او ان اكثرها لا يزال بيد رجال الدين الوطنيين منهم والاجانب . وهناك عدد ليس بقليل من المدارس الاجنبية التي لا يرى مديروها في تاريخ العالم كله ما هو اهم واعظم وامجد من تاريخ بلادهم . — شرلمان وركاردوس قلب الاسد ، وبطرس الاكبر هم هم ابطال التاريخ . بل ابطال العالم : — قل لي يا ولدي كم كان عدد ابناء شرلمان ؟ وأيهم كان يفضل شرب الجعة على شرب النبيذ ؟ — وقل لي ما اسم البطل القومي الذي كسر الاناء الروماني ؟ فرتاجيودسك . — حار . اسمهُ فرسنجاتوريكس . انهُ والله لعلم جبل . ولا اظن احداً من طلبة هذه المدارس يعرف اسم طارق بن زياد !

ليست الاحكام البرلمانية اذن ، ولا تعدد المدارس بأهم مظاهر النهضة الشرقية ، وان كانت من اظهرها . ولعمري ان مدرسة مثل مدرسة المعلم بطرس في زمانه لاصلح وانفع من هذه التي يتخرج الشبان فيها متفرنجين ، لا يعرفون لغتهم ، ولا تاريخ بلادهم ، وقلما يحترمون غير الاجنبي

ان مظاهر النهضة الشرقية التي لا تستحق افضل التفضيل بالمعنى الذي افصحت عنهُ ، ولكنها من الاهمية في اعلى مكان ، انما هي المظاهر العلمية ، والادبية ، والاصلاحية التي تشتمل مصابيحها على الدوام في قلوب افراد من الناس ، في قلوب نوابغ الامة . هي المصابيح ، مصابيح العلم والادب والشعر والفنون ، ترسل اشعتها الفضية والذهبية الى قلب المجتمع الانساني ، الى مصدر الحياة فيه فتنير تدريجاً اظلم طبقاته ، واقصى زواياه الدامسة

أجل ان كتاباً واحداً او مقالاً واحداً او فكراً واحداً فيه حقيقة جديدة مفيدة للناس ، ترسلهُ

حرًّا في الناس لأشد فعلاً وأثبت قعاً وأعم خيراً من كل ما تجيء به الحكومات والمدارس المقيدة

عفواً ايها القارىء . قد تسرعت ، فاستثنيت ، فقلت « المقيدة » ! وما الحكومات على انواعها غير قيود للناس ، وآلات لجمع الضرائب ، واقامة الحروب . أجل . وما فضل الحكومات ، مقيدة كانت ام مطلقة ، في تاريخ الامم ، او بالحري في تاريخ الرقي والعمران ؟ هل سمعت في زمانك او قرأت ان حكومة من حكومات العالم اكتشفت اكتشافاً ، او اخترعت اختراعاً ، او اقدمت على اصلاح اجتماعي او سياسي من تلقاء نفسها ؟ أخشى ان تخرجني الحكومات عن الموضوع اذا سألت سؤالاً آخر

أعود اذن الى النهضة الشرقية العربية فأقول ان الفضل الاكبر فيها هو للعالم الذي يخدم العلم من أجل الحقيقة اولاً وآخراً ، وللاديب الذي يرفع ادبهُ على ثلاثة اركان هي الذوق السليم ، والقصد القويم ، والخلق الكريم ، وللمصلح الذي يفادي بكل ما هو عزيز لديه ، حتى بحياته ، في سبيل عقيدة يتيقن ان فيها الخير كل الخير للناس . وان اجل ما في هذه النهضة ، وأثبت ما فيها ، هو النفر من العلماء والادباء ، والمصلحين الذين لا يتقيدون بغير الحقيقة ، والفن ، والضمير . ولاشك ان عددهم آخذ في الازدياد . ولاشك ان من يقرأونهم ، ويقبلون عليهم ، ويتناقلون اقوالهم وافكارهم ، يُعَدون بالالوف اليوم وقد كانوا منذ خمسين سنة يعدون بالمئات

ومن نتائج هذا الازدياد في عدد الذين يقبلون على الادب الجديد ، ويطالعون الكتب العلمية والاصلاحية ، هو اننا اصبحنا اكثر طمعاً واكثر احتراماً للعلم من اجدادنا ، واكثر حرية كتابةً وقولاً ، واكثر تساهلاً في المعتقدات ، وأشد ميلاً الى التآلف والتضامن في سبيل الوطن

اقول اكثر تساهلاً على الرغم من ضجة في مصر أحدثها كتاب في النقد الادبي لاديب من المجددين وكتاب في الاصلاح الديني لعالم من العلماء المصلحين . فلو ظهر هذان الكتابان منذ اربعين سنة لكان السجن او الاغتيال جزاء الشيخ عبد الرازق والاستاذ طه حسين

الى الامام ؟

اما لي تقدم . وان الفضل الاكبر في ذلك عائد الى مجلتي المقتطف والهلال ، والى اولئك الادباء المجددين والمصلحين الصادقين الذين ينبذون القديم — القديم العقيم ، والقديم البالي ، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً — ينبذونهُ ويقولون ، بلغة المعري أبي العلاء ، عليه رحمة المتباهلين

من سبع سنوات
في المقتطف

الثورة المقبلة

للورد سنودن
وزير مالية بريطانيا في وزارة العمال

هل يزيد رغد العيش ورخاء الناس بازدياد المكتشفات العلمية وتكاثر المستنبطات الحربية واتقان الوسائل الصناعية على اختلافها؟ ان نظرة عجلى الى دور الصناعة تكفي لان تقنع الناظر بان السيطرة على قوى الطبيعة واستخدامها في الآلات يخفف من عبء العمل الشاق عن كاهل الانسان، وترفع مستوى معيشته. فاذا ذهب احد المفكرين مرتاباً في فائدة هذه المكتشفات والمستنبطات متسائلاً فيما بينه وبين نفسه «هل يستفيد العمران شيئاً ما من المكتشفات والمستنبطات التي ينتظر تحقيقها في قرن من الزمان» حسبه الناس متعنتاً ليس له مسوغ فيما يذهب اليه. ومن الاقوال المأثورة عن الفيلسوف جون ستيورت مل قولهُ «اني ارتاب في ان الآلات الصناعية قد خففت عبء العمل اليومي عن كاهل عامل واحد». فاذا حذفنا ما في هذه العبارة من المبالغة المقصودة وجدنا فيه نصيباً كبيراً من الحقيقة

> ان قيمة هذا المقال تظهر في عيني القارىء اذا عرف أن واضعه كتبه في اواخر سنة ١٩٢٨ حينما كانت الازمة الاقتصادية العالمية في مستهلها او عند ما قال علماء الاقتصاد ورجال المال والاعمال ان انهيار الاسواق المالية حينئذ ليس الا اضطراباً وقتياً لا يلبث ان يزول. وقد كان هذا المقال خاصاً بالمقتطف

لقد زادت قوة الانتاج في كثير من الصناعات نحو خمسمائة ضعف في ١٥٠ سنة بادخال الآلات البخارية والكهربائية الى المعامل. فاذا حسبنا ان مائة عامل كانوا يستطيعون من مائة وخمسين سنة ان يصنعوا مقدار كذا من صنف ما في اسبوع اصبحوا الآن يستطيعون ان يصنعوا خمسمائة ضعف ذلك المقدار في الوقت عينه ولكن بمساعدة الآلات. ومع ذلك لا نرى نقصاً في ساعات العمل يوازي هذا التقدم في سرعة الانتاج ولا زيادة في اجور العمال تفق معهُ. على ان الانصاف يقضي علينا بأن نقول ان الثورة الصناعية زادت الثروة العالمية فهيئت السبيل لسكان

الارض المتزايدين عاماً بعد عام ان يعيشوا في مستوى من الرخاء اعلى من مستوى اسلافهم . واظهر الصفات التي يتصف بها تقدم علمي ميكانيكي كالتقدم الذي شهدناهُ منذ اواسط القرن الماضي صفتان : الاولى — تجميع الثروة في يدي افراد قلائل من سكان البلدان الصناعية . والثانية — زيادة المشتغلين باعمال غير منتجة . لذلك يتعذر على اصحاب الصناعات ان يمنحوا العمال المنتجين ما يستحقونهُ من الاجور . ولا ريب في ان التقدم العلمي والصناعي افاد فائدة غير مباشرة جماعات السكان الذين لم يشتركوا في تحقيقه كمالي . واشهر هذه الفوائد ارتقاء طرق المواصلات ورخصها وتعدد وسائل اللهو والمطالعة والتهذيب ورخص السيارات واتقان المخاطبات اللاسلكية وما اليها

والسبب في ان التقدم العلمي والصناعي لا يظهر له اثر في رخاء الجمهور وهناءته هو ان بلدان الارض لم تنتظم بعدُ انتظاماً يمكنها من استهلاك كل ما تقذف به المصانع الى الاسواق . لذلك تكون النتيجة الاولى التي تنجم عن استنباط وسيلة ميكانيكية جديدة لترقية الصناعة ان يستغنى عن عدد من العمال لان اصحاب الصناعة اذا احتفظوا بجميع العمال واستخدموهم في ادارة الآلات الجديدة زاد ما تنتجهُ المعامل عن حاجة الاسواق اليه . لذلك يعمد اصحاب الصناعات الى الاستغناء عن بعض عمالهم لكي يحفظوا ما ينتجونهُ ضمن نطاق محدود لئلا يكثر المعروض وتهبط الاسعار

فماذا ينتظر ان يحدث اذا استمرَّ التقدم العلمي والصناعي سائراً سيراً حثيثاً الى الامام من غير ان يصحبهُ تقدم في مقدرة البلدان على استهلاك الانتاج الزائد الذي تمهد لهُ الوسائل الصناعية الجديدة سبيل الزيادة والسرعة ؟ ان مقدرة البلدان على استهلاك البضائع المختلفة يتوقف على مقدرة الطبقة المعروفة بطبقة المال على الشراء . فاذا لم تزد مقدرتهم على الشراء لم يتسع نطاق الاسواق المختلفة لاستهلاك ما تنتجهُ المصانع وصرنا حينئذٍ نخشى ثورة صناعية اخرى . وكل الدلائل تدلُّ على اننا قريبون جداً من انقلاب خطير الشأن في وسائل الصناعة العلمية . اذ يظهر لي اننا على عتبة عصر جديد تستعمل فيه العلوم الكيماوية في الصناعة فتحدث ثورة اعظم اثراً وأبعد مدى من الثورة الصناعية التي احدثها استنباط الآلة البخارية . وكيف اجلنا الطرف نجد ان العلوم مطردة التقدم لان كل اكتشاف جديد يحفز العلماء الى البحث والاستقصاء ويفضي الى مكتشفات كثيرة . وقد يكون في امكان الكيماويين ان يزيدوا خصب الارض في مدى قرن واحد زيادة تجعل الناس في غنى عن اربعة اخماس الاراضي المزروعة الآن . فيقضى على كثير من المواد الخام المستعملة الآن في الصناعة وتحلُّ محلها مواد مركبة تركيباً كيماوياً . ان تقدماً في هذه الناحية من نواحي العمران يقلب رأساً على عقب توزيع العمل بين الناس وتعود الزراعة لا تحسب الركن الاساسي في ثروة الامم

تجيء الثورات احياناً فجأة كما جاءت الثورة الصناعية منذ ١٥٠ سنة وفي بعض الاحيان تأتي ببطء

كانها تنتظر تضافر العوامل التي تمهد لها السبيل . فهل في العمران الحاضر عوامل تهيأ وتتضافر لاحداث ثورة ما ؟

انظر الى المستنبطات التي حققت في الخمسين السنة الاخيرة . التلفون — المصباح الكهربائي المولدات والمحركات الكهربائية — الاتوموبيل — الخاطبات اللاسلكية على اختلافها — السفن التي تحرق البترول — الحرير الصناعي — الآلات التي تبيع كالاحياء — هذه هي بعض المستنبطات التي قذف بها العلماء والمستنبطون والصناع الى ميادين الحياة اليومية

وقد اتقنت الوسائل الميكانيكية المختلفة اتقاناً جعلها كانها مستنبطات جديدة . فقد كثر اتحاد العمال في اميركا نشرة اقتصادية يؤخذ منها ان مقدرة العامل على الانتاج زادت من اول القرن العشرين الى الآن خمسين في المائة وان هذه الزيادة سببها اتقان الوسائل الصناعية الميكانيكية

ومما يؤسف له وقد يكون له اثر شديد الخطر في العمران ان كثيراً من البلدان زادت قوة معاملها ومصانعها زيادة كبيرة لا تسوغها حالة الاسواق العالمية ولذلك ترى ان جانباً كبيراً من هذه المعامل واقف عن العمل لا يبدي حراكاً . ففي ١٧ سنة (١٩٠٧ — ١٩٢٤) زادت القوة المستعملة في مناجم بريطانيا ومعاملها من ٨ ملايين حصان الى ١٥ مليوناً ولكن ما تنتجهُ هذه المناجم والمعامل لم يزد قط . وهذا يعود بنا الى ما قدمنا الكلام عليه وهو اذا لم تنتظم بلدان العالم انتظاماً يمكنها من استهلاك ما تنتجهُ المعامل التي تكثر وتزداد انتاجها كل سنة باتقان اساليب العلم ووسائل الصناعة لم يجد هذا التقدم العلمي الصناعي نفعاً ما

فالنتيجة العامة التي نصل اليها بعد البحث المتقدم هي هذه : ان التقدم العلمي والصناعي سريع لا تستطيع بلدان الارض ان تجاريهُ بزيادة مقدرتها على الاستهلاك والتكيف على ما تقتضيه الاحوال الصناعية الجديدة . وانهُ اذا استمر كذلك وقف كثير من المصانع عن العمل ووقعت لا محالة ازمة خطيرة جداً بزيادة العمال العاطلين . ولو كان في الامكان لكان يحسن بنا ان نقف عقداً أو عقدين من الزمان عن الاكتشاف والاستنباط لنعنى في أثناء ذلك بتنظيم ما أتقناه حتى الآن ومحاولة الوصول إلى نقطة التوازن بين الانتاج والاستهلاك . بذلك فقط نتمكن من توزيع المنافع التي تنجم عن ارتقاء العلم وزيادة سيطرته على أساليب الصناعة . وما لم نفعل ذلك بطريقة من الطرق لا بد أن نضيق يوماً فنرى الصناعة في ركود وجماهير العمال العاطلين في فقر مدقع . فاذا حصل ذلك صعب على نظام العالم المالي تحمل هذا العبء ان لم يتعذر عليه ذلك وحينئذٍ ينحني تحتهُ وينهار . ما أغرب النتيجة التي وصلنا اليها — كلما زادت مقدرتنا على الانتاج زادت المصاعب في الاستفادة منها وتوزيع المنتج على جميع طبقات الناس توزيعاً عادلاً

لقد صدق قول الشاعر « مجيء المعرفة سريع ولكن مجيء الحكمة بطيء »

ذكريات دار المقتطف

— ١ —

للزبير شكيب أرسلان

كنت ارى في اخلاق الطيب الذكر بعقوب صرُّوف من السجاحة والسماحة والنزاهة والعلو عن سفساف الامور والتزام معاليها ما لا اجدهُ الاَّ في النادر الاندر من البشر ولاشك انهُ اذا كان اعلى افق من الناس متصلاً باقرب افق من الملائكة فيكون فقيدنا طيب الذكر في الفوج الاول من الآدميين الفارطين الى ذلك الافق العالي

***

كنت في الخامسة عشر من العمر عند ما وقع نظري على الدكتور صرُّوف لاول مرة في حياتي وذلك في ادارة احدى جرائد بيروت وكان صاحب تلك الجريدة وهو اليوم في عالم البقاء يسأل الدكتور عن لفظة « ميتاء » ومأخذها ومعناها فأخذ الدكتور يفسر لهُ هذه الكلمة ويذكر لهُ اشتقاقها ومواضع استعمالها وتاريخها من الكلام العربي فدهشت مما سمعت وعرفت مع حداثة سني يومئذٍ مزية العالم على الجاهل او المتعالم وقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل كيف سرد عن لفظة واحدة بسيطة جوابها يقع في كلمة واحدة عبارةً طويلة لا تجد فيها مع طولها حشواً ولا حرفاً زائداً ولا ناقصاً . إن مثل هذا العالم هو الذي ينبغي ان تشد اليه الرحال . وزاد اعجابي بما سمعت من العلم وما شهدت من اللطف والتواضع وانكار الذات وعدم الصنعة في كيفية الالقاء الذي سمعتهُ

ولم تساعدني الاقدار ان اشاهد الفقيد بعد ذلك الاَّ سنة ١٨٩٠ حينما قدمت الى مصر اول مرة وكنت في سن العشرين فدعاني اصحاب المقتطف الى الغداء عندهم وتذاكرنا في مواضيع كثيرة ولا يزال لتلك الزيارة اثرٌ منطبع في اعماق نفسي . ثم اتيحت لي مجالسة الفقيد مرة اخرى وكنت من قبل ذلك اكتب بعض المقالات الى المقتطف وكان المرحوم يستحث همتي في مواصلة

الكتابة الطبية وقال لي مرة من ذاق لذة العلم يجد الكتابة في السياسة إسفافاً لا تطيب به نفسهُ ولكنهُ كان كسائر العقلاء يرى انهُ لا بدَّ من بعض الامور في هذه الحياة ولو أتاها الانسان مكرهاً

***

وكانت المكاتبة قلما تنقطع بيني وبين الاستاذ وأنا في بعض الاحايين أراسل المقتطف ولي فيهِ مقالات وجمل كان تواضع المرحوم يحملهُ لا على نشرها فحسب بل على استزادتي من امثالها . وكانت المحبة بيننا بلغت من الخالصة انهُ كان يستشيرني في امور تتعلق بمنهج المقتطف والمواضيع التي ينبغي ان يتوخاها ومرة ارادني على ان اكتب بصورة مستمرة وان اجد للمقتطف مراسلين يصح الاعتماد على علمهم وبلاغتهم فجاوبتهُ بأني افضل ان اكون في الكتابة حرًّا غير مقيد بزمن ولا عدد وان لا اتقاضى على ذلك شيئاً ولكني استجدت لهُ اقلام فضلاء مشهورين راسلوا المقتطف بعد ذلك سنين طوالاً وكان منهم الاستاذ الشرتوني طيب الله ثراهُ والاستاذ كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الذي كنت انا الواسطة في مراسلتهِ للمقتطف وكانت هذه المجلة من منابر رقيهِ ومظاهر نبوغهِ . ومن هؤلاء المرحوم محمد ابو عز الدين رئيس محكمة استئناف الجزاء في لبنان الذي لولا منصبهُ القضائي لأمتع قراء المقتطف بأكثر جدًّا مما اتيح لهُ

***

ولما جئت مصر للمرة الثانية وذهبت منها الى طرابلس الغرب وذلك منذ خمس وعشرين سنة اسعدني الحظ ايضاً بملاقاة الفقيد رحمهُ الله . وهذه آخر مرة تلاقينا بها لان الشواغل حالت دون كثرة الاجتماع وكنا من اهل بلاد لا تزال من حرب الى حرب فكانت السياسة المقوتة تحول بيننا وبين من نهوى لقاءهم من جلة العلماء الذين الساعة من عشرتهم تزن الايام الطوال من عشرة سواهم . ثم جاءت الحرب العامة فانقطعت المواصلات كلها وبقينا لا يعلم الواحد عن الآخر شيئاً الا من افواه القادمين حتى اصيب المرحوم بفقد احد اخوتهِ فأرسلت اليهِ بكتاب تعزية وجاوبني عليهِ واستؤنفت بعد ذلك المراسلة بيني وبينهُ عوداً على بدء . واني انقل الى القراء بعض اسطر من جوابهِ لان روحهُ الطاهرة تتجلى في جميع كتاباتهِ وكلام المرء مرآة كماله قال :

« تناولت صباح امس كتاب التعزية الذي تكرمتم عليَّ بهِ فزادني اعجاباً بفضلكم وافتخاراً بصداقتكم وايقاناً بحبكم ونقد اراني موت اخي ما لا استحقه من كثرة الاصدقاء والمحبين على تقصيري مع الجميع كما انهُ انذرني بقرب الاجل وانا شديد الشوق اليهِ لعلي ادرك شيئاً من الكثير الكثير الذي اجهله »

فلينظر القارىء ما بلغ من هذا الرجل حب العلم حتى اصبح يتوقع الموت بلذة المنتظر من وراء هذه الحياة حياة اخرى اوسع نطاقاً واصح حكماً

ثم انهُ يقول : « من غريب الاتفاق اني قرأت ما كتبتموه في مجلة المجمع عن كتاب « سي » في المساواة قبيل وصول كتاب التعزية بساعات قليلة . والمساواة مقالات نشرت اولاً تباعاً في المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة فراقني جداً وصفكم لهُ وارجح انها لم تترجم شيئاً ترجمة لانها تتكلم معي في كل المواضيع الادبية والفلسفية كما تكتب فانها قوية الفاكرة الى حد يفوق التصور وقد قرأت كثيراً من الكتب في اللغات التي تحسنها الفرنسية والانكليزية والايطالية حتى لقد تستشهد في كلامها معي بآيات من شكسبير أو بيرون كما تستشهد بالمتنبي والمعري وحفظت ايضاً كثيراً من قصائد شوقي ومطران وحافظ واظنها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنسية او الانكليزية قبلما تعبر عنها بألفاظها العربية والظاهر ان الذي طبع الكتاب عن مقالات المقتطف غير فيها بعض الالفاظ قصرها ولقد اصبتم وأحسنتم بوصفكم للكتاب وكاتبته واصفتموها »

***

ولما ترجمت كتاب « اناطول فرنس في مباذله » أحببت ان اطلع عليهِ المرحوم الاستاذ واعرض عليهِ نشره في المقتطف اذا شاء . فاستحسن الفكرة اولاً واشار إليَّ بارسال الكتاب حتى ينشرهُ في عدة أعداد من المقتطف ثم يجمعهُ كتاباً على حدة . وكنت قد رأيت فيما نقلهُ « جان جاك بروسون » عن اناطول فرانس كثيراً من الرقة والمجون مما حذفت منهُ شيئاً ولطفت شيئاً ولذت في اشياء منهُ بالمعاريض وظننت ذلك كافياً في تجريد الكتاب مما ينبو عنهُ نظر الادب وتحسر لهُ وجنة الخفر . وأذا بالاستاذ يقول لي :

« الى ان اطلعت على ما بعثتم بهِ اليَّ من « المباذل » كنت احسب الرجل شيخاً جليلاً كبعض الذين عرفتهم في حياتي كفانديك وابستاني واليازجي (يريد استاذه الدكتور فانديك الشهير والمعلم بطرس ابستاني والشيخ ناصيف اليازجي) لكن المباذل صورته لي كاحمد فارس الشدياق كما عرفتهُ في « الساق على الساق » ثم رأيتهُ بعد ذلك في مصر . ولا ارى ان كاتب سر أناطول فرانس أحسن في بعض ما نشرهُ عن استاذه وقد اوصينا ان نذكر حسنات موتانا . فهل من حسن الذوق في هذا العصر ما كتبهُ عن (الهيجان والنقمة) وما رواه عن (الصبابات الاولى) وا الشائنة والعجز) . لو كنا في عصر صاحب الاغاني لالتمسنا بآداب العصر عذراً لهُ

« أما عصرنا هذا لاسيما بين المصريين والسوريين من قراء المقتطف فاتم اول من يقول انهُ لا محل فيهِ لهذا التبذل والمجون ولو كان لي معرفة بالسكرتير لكتبت اليهِ ألومهُ على ذكر عجر استاذه وبجره . قد يتغير العصر ويتغير نظر الناس في هذه الامور ويصيرون ينظرون الى تحريها كما تنظر الى تحريم قطاع الطريق من اليونان وأكل الحين في الصوم الكبير ولكن لا بد للمرء من ان يلبس لكل حالة لبوسها . ولولا اعتقادي أن رأيكم في هذه الامور مثل رأيي وانكم كنتم تسلمون كلما وصلتم الى بجرة من هذه البجر وتودون أن لا يكون الرجل كذلك أو ان لا تذكر تنهُ تلك الهنة لما صارحتكم برأيي . وعليهِ فانا معيد اليكم الكراس مع هذا البريد راجياً قبول عذري ومسامحتي ان كنت ذكرت شيئاً يشف عن ظهوري فيهِ مظهر المعلم لمن أعده في المنزلة العليا بين المتأدبين بأدب النفس وأطال الله بقاءكم »

***

فوالله لقد قرأت هذا الكتاب والعرق ينحدر على وجهي من شدّة ما خجلت من رجل كنت اوفر لهُ من الحرمة ما لا اوفره لغيره . ولم أكتب اليهِ بانهُ قد كان في الكتاب من الطامات الكبرى في هذا الموضوع ما لا يلبس عليهِ رداء كما يقال ولقد حذفت منها ما ظننتهُ كافياً ولكنني خشيت اذا استقصيت الحذف من غضب هؤلاء الشبان الذين يسمون انفسهم « بالمجددين » والذين قد يسخطون عليّ ويرمونني بقوارص أنا في غنى عنها . على ان ملاحظتك كلها هي في محلها وما كان ينبغي لمثلي ان يتساهل من هذه العُجَر والبجر في شيء . ثم اردت ان امازحهُ فقلت « وأما ما قلتهُ عن تأدبي بأدب النفس فلقد كان ذلك ولكن فيما يظهر إقامتنا باوربة منذ نحو عشر سنوات قد زعزعت اركان هذا التأدب حتى صرنا نترجم مثل هذه الروايات »

ثم اعدت النظر على الكتاب فحذفت منهُ كل ما لحظت انهُ يقع من خاطر الاستاذ صرّوف وأمثاله الكملاء موقعاً غير مقبول . ووقعت من اجل ذلك كما حسبت في ألسنة اولئك الشبان الذين اشرنا في تخطئتي من جراء هذا الامر اكثر من مقالة . حتى قيل لي ان بعضهم عمد الى المواضع التي طويتها وأراد ان يترجمها ويسند بها زعمه ذلك الخلل الذي ادخلتهُ انا على الكتاب ولكنه كان يهمني ان يرضى صرّوف ولا يفتقدني ولو افتقدني بعد ذلك مئات وألوف

قيل ان السيد الجرجاني تناظر مع السعد التفتازاني بمجلس غاص وكان السيد شابًّا حديث العهد وكان السعد شيخ العلماء في وقته فانتهى المجلس بأن السعد اقرَّ للسيد وان السيد فلج على السعد امام ذلك الجمهور . فساء ذلك تلاميذ السعد ولما انصرف الناس قالوا لاستاذهم . ما كان ينبغي لك ان تسلِّم لرجل هو في سن احد تلاميذك . فأجابهم وماذا اصنع اذا كان معهُ الحق . فقالوا له : قد كان يمكنك ان تقول له كيت وكيت في الجواب . فقال لهم ولكنه يكون مماحكة ولا يكون من العلم في شيء . فقالوا له : لكن الناس قد علموا الآن ان السيد اعلم منك . فقال لهم : احب اليَّ ان يعلمني الناس جاهلاً وان يعلمني السيد وحده عالماً

فأنا كنت أوثر ان يكون الاستاذ صرُّوف راضياً ولو تعرضت لسخط جمهور لا من الشباب فحسب بل من الكهول ايضاً

***

ولقد ترجم احد البلغاء من اصحابي تأليفاً فانتقده المقتطف في عبارات مطولة . فلم يمضِ على ذلك ايام حتى قرأت في احدى الجرائد جملة شديدة في الرد على المقتطف تحت امضاء مبهم فظننت انهُ قد يكون الرد من قلم مترجم ذلك الكتاب او احد اصحابه فأسرعت بالكتابة الى صديقي هذا اعذلهُ على هذا الرد ان كان بقلمه او بعلمه ولم اكتب بذلك حتى نشرت في (كوكب الشرق) جملة ابين فيها فضل المقتطف وأصحابه ورأيي الخاص في العلامة الدكتور صرُّوف . وبعد ايام جاءني الكتاب الذي يلي بعد الترجمة ...

« وقال لي بعضهم الآن ان في كوكب الشرق كلمة من الامير عني وأتاني بالكوكب فاذا انا بتاج وصولجان وطيلسان . والصائغ والمفضل والمتفضل محب كريم لا يرى الاَّ الحسنات ويعظمها الحب في عينيه ولست اجد كلاماً يفي بشكركم »

ولما كان في الرد الذي تناول صاحبه به الدكتور صرُّوف اشارة الى كونه لصير زويمر . وهو خبر ناشيء عن وهم ككثير من الاخبار التي تنطلق بالاذهان ولا صحة لها فقد اوضحت في دفاعي عن الدكتور الخطأ الواقع في هذا الظن . وقد اضحك الدكتور ما قيل عنهُ فكتب في جملة ما ذكره :

« اما زويمر فهو يعدني اكبر خصم له ومرادي ان اطلعهُ على ما كتبتم لاقوي حجتي عليه »

لم يذكر لي في هذا الكتاب وهو مؤرخ في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٥ انهُ صدر مقتطف اغسطس وقد كتب فيه عن رواية آخر بي سراج وقال لي هكذا :

« وطلبت منكم ان تعدلوا عما قلتموه في الصفحة ٣٦٦ فان اوربة سائرة مختارة او غير مختارة الى ابتلاع مرافق الشرق ومتى زالت مرافقهُ من يدا بنائه أمسوا عبيداً فصيره الى الخراب أن لم يتفق رجاله وينهضوا عن كثير مما يفرق بينهم ولا سيما الثمرة الدينية ويؤوبوا الى القول المأثور «الدين عند الله المعاملة». وعسى ان تتمكنوا من هبوط مصر في الشتاء القادم فنواصل البحث في موضوع لا تسعهُ الاوراق واكرر الشكر الجزيل للامير الكريم »

فكنت في الحقيقة اعلل النفس بآمال لقاء هذا الصديق الكبير طاهر القلب وكبير العقل وواسع العلم . وطالما تخيلت ويا للاسف المجالس اللطيفة التي كنت سأحظى بها منهُ ولكن الاجل قضى على هذا الامل وكم من حسرة تنزل مع الانسان في التراب . ولما جاءني نعي المرحوم كان اول ما انطق لساني به قول البازجي الكبير

قد كنت انتظر البشرى برؤيته فجاءني غير ما قد كنت انتظر

ولبثت اكرر هذا البيت ولا ازال اكرره كأنهُ يشفي بعض ما في صدري . ثم لينظر الانسان الى ما كان عليه هذا الفقيد من حب الخير ونقاء الوجدان فقد كنت كتبت لهُ فيما كتبت من الاعتذار عن الرد الذي نشره بعضهم عليه بسبب انتقاده للكتاب المترجم فقلت لهُ ان المترجم قد يخسر بانتقاد رجل عظيم مثله ليس خسارة ادبية فقط بل خسارة مالية . فكتب اليَّ في مكتوب آخر بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٥ يقول لي :

« وأؤكد لكم انني لما قرأت قولكم أن المترجم قد يخسر بانتقادي خسارة مالية تحوَّل غيظي منهُ الى غيظي من نفسي ولا ادري الآن كيف اكفر عما مضى»

ولم يلبث ان نشر في المقتطف قطعة طويلة من الترجمة حتى لا يظن القراء انهُ يضع فضلها بمجرد انتقاد بعض عبارات . فهم قد كان في حب الخير والبعد عن الشر امة وحده وكنت قد ذكرت لهُ تصرف الدول التي تزعم انها حاميات الحق والعدل فيما نكثت به من مواعيدها للعرب وما اظهرت من الجشع والطمع بسلب حقوقهم واحتلال بلدانها بعد الحرب الكبرى فأجابني أجزل الله ثوابه عن ذلك بما يأتي قال :

« اما رجال السياسة الذين اشرتم اليهم فقد رأيت منهم بعد الحرب ما صغرهم في عيني وجعلهم احقر من ان ادافع عنهم من اكبرهم الى اصغرهم . ابقاني الله واياكم داخل سياج العلم . واطال الله بقائهُ »

ولست اكبر هذه العبارة على صحة وجدان الفقيد ونكتفي بذكرها في جملة حسناته الكثيرة

— ٢ —

للدكتور اميل ياسا العلرف

عرفت الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر وأنا غلام لم يطر شاربي وكنت قادماً من زحلة مع والدي فدخلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية وهي الآن الجامعة الاميركية وكان سني في المدرسة الياس صالح وابراهيم القيم ونجيب صبرا وغيرهم ممن غابت عني اسماؤهم لطول العهد. ثم انضم الينا غيرهم منهم جورج فيليبدس وبقي سني في المدرسة الياس صالح ننتا شهادة بكلوريوس في العلوم معاً ولكن انتظم غيرهم في القسم العلمي منهم نجيب الصليبي على ان الياس صالح بقي سني من الاول الى الآخر

وكان من اساتذتنا الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر لكنهما كانا يعلمان العلوم العالية كالفلك والكيمياء والطبيعيات والصرف والنحو فلم نتلمذ عليهما على ان الدكتور صروف علمنا القراءة في كتابه سر النجاح لانا كنا صغاراً لم تتطلع نفوسنا الى اكثر من ذلك. والذي اذكره عنهُ انهُ كان هادئاً رزيناً يتمشى امامنا ذهاباً واياباً وهو يفكر ولكننا كنا اشقياء وكان احد التلامذة يضع امامهُ عيدان الكبريت فاذا مشى عليها خرج منها صوت وأظن الذي كان يضعها ابراهيم القيم لانهُ كان اشقانا ولكن الدكتور صروف كان لا يغضب وانما يهز رأسه فقط ولا يقول شيئاً

ثم ترك الدكتور صروف والدكتور نمر المدرسة وانتقلا الى مصر وانتقل معهما صديقهما شاهين بك مكاريوس وداوما هناك على انشاء المقتطف ثم انشأا معاً جريدة المقطم ومعهما شاهين بك فانفرد شاهين بك بالادارة والدكتور صروف بالمقتطف والدكتور نمر بالمقطم على ما هو معلوم. على ان الشريكين الآخرين كانا يعملان معاً على إنجاح الجريدتين فكان المقتطف والمقطم صنوين لا يفترقان وأظنهما يبقيان كذلك الى ما شاء الله

وأكملت دروسي الطبية كما تقدم ودخلت مدرسة الطب فأتممت دروسها وانتقلت الى مصر ودخلت الجيش المصري وخدمت فيه زمناً ولكني كنت نزوعاً الى العلم فاشتغلت مع الدكتور صروف في تحرير المقتطف ولكنني كنت لا ادري شيئاً من قواعد العربية ولا ازال قاصراً فيها على ان الدكتور صروف كان يميل اليَّ فعلمني ما لم أتعلمهُ في المدرسة وتمكنت الصداقة بيننا لانهُ كان على خُلُق كريم. ثم سافرت الى العراق وكانت المكاتبة مستمرة بيننا الى ان توفاه الله. واني لا ازال حتى الآن اميل الى المقتطف وآله فهم عندي مثل آل بدر

ولا بدَّ لي هنا من ذكر بعض النوادر عن الدكتور صروف وقد استفدت منهُ شيئاً كثيراً من العلم وليتني اخذت شيئاً من خلقه الكريم فقد كان الرجل الكامل هذا اذا كان في الدنيا كمال فانهُ كان اقرب الناس الى ذلك . ومن نوادره انني جئت من دمشق هرباً من الفرنسيين فدخلت يوماً عليه وأنا مفلس كالعادة فقلت له لي في ادارة المقتطم اجرة برقية دفعها الى اسعد داغر مكاتبكم في دمشق قال كم المبلغ قلت لا اذكر وأظنهُ خمسة جنيهات ففتح درجاً امامه وكتب تحويلاً بخمسة جنيهات ووقعهُ صرُّوف ونمر ومكاريوس ودفعهُ اليَّ وهو اشد خفراً من عذراء وقد كان رحمه الله شديد الحياء الى آخر عمره

وكان الدكتور شميِّل معهما في المدرسة وكان كثير التردد الى ادارة المقتطف فقد كان المقطم والمقتطف كعبة يقصدها كل من أتى مصر من اهل الشام ولا يكاد يأتي احدهم الاَّ ويزور المقطم ليرى الدكاترة ويسلم عليهم. وكان الدكتور شميل اذا نادى الدكتور صروف يقول يا صروف واذا نادى الدكتور نمر يقول يا فارس اي انهُ كان ينادبهما كما كان ينادبهما ايام التلمذة في المدرسة . وكان رحمه الله ضيقاً في مسألة الاعمار . وكانت تشتد المناقشة بينه وبين الدكتور نمر احياناً وأذكر مرة انه قال للدكتور نمر يوماً « انا شو بيجيني ليلك » قال له الدكتور نمر نحن من عمر واحد . نحن عمرنا ستون سنة . واذكر اني قلت مرة للدكتور شميل ألستطيباً من اربعين سنة قال « يعني انت ابن اسبارح» وهوى عليَّ بهراوته . رحمهُ الله وجعل الجنة مأواه وأطال في عمر الدكتور نمر

مصر الجديدة امين المعلوف

***

— ٣ —

نجيب شاقبن

ولد المقتطف في بيروت سنة ١٨٧٦ على يدي المولِّدين النطاسيين يعقوب صرُّوف وفارس نمر ثم انتقلا به الى هذه العاصمة وهو في التاسعة من سنه اي سنة ١٨٨٥ . فلما صدر المقطم سنة ١٨٨٨ استقلَّ يعقوب صروف بتربيته وحده تقريباً واستقلَّ فارس نمر بتربية المقطم وحده تقريباً

ثم جاءتهما الدكتوراه الفلسفية سنة ١٨٩٠ من جامعة نيويورك . فعرفا منذ تلك السنة بالدكتور صرُّوف والدكتور نمر

ودعي كاتب السطور في اوائل هذا القرن الى التحرير في هذا تارةً وفي ذاك طوراً . وكانت ادارتهما في حارة قايد التي توصل ما بين شارع عبد العزيز وشارع مابدين فكنت أرى في

الادارة رهط العلماء والادباء والاكابر الذين كانوا يترددون اليها واحداً فواحداً في ساعات مختلفة من النهار — أراهم من بعيد ولا أمدُّ اليهم يداً لمصافحة لاني كنت أصغر منهم في كل شيء وكنت أشعر كل شعور بوجودهم وهم لا يشعرون بي ولا يعلمون عني شيئاً

وسأبدأ الكلام بالمتقدم منهم على قدر ما تساعدني الذاكرة وعلى قدر ما يسمح به المقام

***

كان ابراهيم بك المويلحي الملقب الكبير يوشك في ذروة شهرته الادبية كاديب متفرد على اثر اصدار كتابه « ما هنالك » . والاشارة بهنالك الى الاستانة « العلية » كما كانت تسمى حينئذ في خلافة السلطان عبد الحميد الثاني . وقد خرج كتابهُ آية في البلاغة العربية بعد وقوف المويلحي الصغير عليه — اي المرحوم محمد بك المويلحي نجل ابراهيم بك — وتهذيبه حتى كان كتاب « اليوم » في ذلك الزمان . كان المويلحي الكبير دائم الترداد الى ادارة المقطم في صبيحة كل يوم ما عدا ايام الاحد ليستعلم عن صحة السلطان عبد الحميد الذي وقف كتاب « ما هنالك » على ذم ظلمه . وكنا نحن المحررين نعلم بقدومه من عصا كان يحملها ويضرب بها الارض ضرباً منتظما ثانية فثانية يسمع صداه في ارجاء الادارة والمطبعة

ثم يجيء بعده او متأخراً عنهُ المويلحي الصغير لابساً ردنجوتهُ كأنهُ في التشريفة الكبرى وكانت الردنجوت لبسهُ الدائم لا يستبدل بها غيرها . وقد توفي محمد بك منذ بضع سنين فقط . رحمهما الله

وكان السيد توفيق البكري من أسرة البكري الحسيبة النسيبة والاثر المسجع وصاحب المقامات المعروفة باسم صفاريق النؤنؤ من اصدق اصدقاء المقتطف لا يكاد يوم يمر من غير ان يزورها فيه وهما يبالغان في اكرامه حتى اصيب بما لخص اصحابهُ عليه فبات لا يزور ولا يزار وبقي ذلك حاله الى يوم مماته

وكان يزور الادارة آنا بعد آن الشيخ السادات من أشهر الاسر المصرية الشريفة وكان قصير القامة بدين الجسم احمر الوجه كبير العمامة يتكلم بضعفة بلدية فاذا وقف بباب الادارة سأل عن صاحبه بصوت ضخم ولهجة غير مفهومة فهرعنا لاستقباله الى الباب ومشينا حوليه يالغان في اكرامه وكان رقيق الحديث جم الادب تعرف من لفظة اليه انهُ سليل قوم اكارم وابن آباء أماجد

توفي الدكتور شميل في اوائل سنة ١٩١٨ واشتهر في الشام ومصر بأنهُ اول من انتحل مذهب داروين عقيدة لهُ في الشرق الادنى : درس الطب في بيروت وكان معاصراً في شبابه لصاحبي المقتطف ايام كانوا جميعاً طلاباً في جامعة بيروت الاميركية . وكتب كثيراً

وألف وخطب في تأييد مذهب داروين . وكان يزور ادارة المقتطف يستفسر عن « الحلقة المفقودة » وهل وجدت لا زيادة في الايمان بل للاطمئنان اذ لم يكن في حاجة الى البرهان على ان القرد هو جدّ الانسان ! !

وممن كنت أرى في الادارة اسكندر شاهين صاحب جريدة « الرأي العام » الاسبوعية وسليم سركيس صاحب مجلة « المشير » ثم مجلة « سركيس » وكان الاول ابن عم شاهين مكاريوس احد اصحاب الشركة . وصاهر الثاني الاستاذ كريم ثابت نجل خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الآن . وكانا كلاهما يحسنان الانكليزية كتابة احسانهما العربية

وكان صاحب الصاعقة وتلميذ المويلحي الكبير يكثر من زيارة شاهين بك فتعرفت به حينئذٍ وتمكنت الالفة بيننا . ولما خرجت من المقطم الى « الجريدة » كنت كثيراً ما اجتمع به اذا انتظمت الحلقة في القهوة المناوحة لدار الكتب وكان مركز الدائرة حانظ ابراهيم يتكلم وهو ينفخ في نارجيلته ونحن نسمع فلا يترك مجالاً لقائل

كان حانظ قليل التردد الى الادارة الاّ اذا اراد نشر قصيدة من قصائده في المقتطف او المقطم . وكان صاحباها كثيري الطرب بحديثه . وكان المقطم اول الصحف التي نشرت لهُ مقطوعات كان يبعث بها وهو سائر مع حملة دنقلة لفتح السودان فتنشر بامضاء « احد ارباب السيف والقلم » ثم عرف واشتهر ان ذلك العلم هو حانظ ابراهيم وكان يوزباشيًّا . ولم أرَ شوقي مرة في ادارة المقطم في عهد سمو الخديوي عباس لاسباب سياسية . ولكن الدكتور صرُّوف كان يقدر شعرهُ كما يقدرهُ كل اديب يعرف معنى الادب

زارني الاستاذ العقاد يوماً في ادارة المقتطف بعد عودي من « الجريدة » اليه وطلب مني ان اقدمهُ الى الدكتور صرُّوف في شأن من الشؤون فامتثلت حالاً وقلت للدكتور ان الاستاذ العقاد يريد مقابلتك فابتسم تلك الابتسامة البريئة المأثورة عنهُ وذكر اسماءهُ من الحملة على شوقي ولكن قال ان هذه الحملة على استهجانه اياها يجب ألاّ تحول دون مقابلته لاديب مثله . ثم قابلهُ فلقي العقاد كل لطف منهُ . والظاهر ان هذه المقابلة بين الدكتور صرُّوف والاستاذ العقاد لم تكن الاولى فان الاستاذ العقاد ذكر في تأبينه للدكتور صرُّوف انهُ قابله لما كانت دار المقتطف على مقربة من شارع عبد العزيز وانهُ اطلع اولاً في حداثته على اسم المصري في المقتطف ولذلك نشر فيه بحثهُ في المقابلة بين المصري وداروين وشوبنهور

وزاملت في المقطم المرحوم اسعد خليل داغر اللغوي المعروف والشيخ يوسف الخازن صاحب الاخبار المصرية سابقاً والارز في بيروت حالاً والاديب اللغوي رشيد عطيه من أشهر الصحافيين في الاوجتين الآن . والمرحومين سامي قصيري واسحق صرُّوف

لست اعلم عن شركة اختلط اصحابها على القرباء عن الادارة كما اختلط اصحاب المقتطم عليهم فقد سمعت الذين يطلبون مقابلة الدكتور صرُّوف تمر او تمر بك مكاريوس . وهذه الاسماء اسماء ثلاثة لا واحد ولا اثنين

ولا اعرف مجلة او جريدة لابست صاحبها كما لابس المقتطف الدكتور صرُّوف او المقتطم الدكتور ر (ليسمح لنا النحويون بعدم التنوين الآن) حتى ان الذي كان يقرأ المقتطف في عهد الدكتور صرُّوف كان كأنهُ يرى الدكتور امامهُ ويصيب في وصفهِ اذا طلب ذلك منهُ . وكان هذا شأن المقتطم ايضاً

وكان الدكتور صرُّوف يعنى بتشديد الراء كتابةً وطبعاً في اسمهِ لما سمع الرطانات الكثيرة ومع ذلك فقد حزن وابتسم لما علم ان الشيخ الدمرداش قدم لمقابلته وسأل عن الدكتور صروف بفتح الصاد وضم الراء بتخفيف !

واخواننا المصريون يصرُّون على التلفظ بأسماء بعض السوريين كما يستحسنون هم لا كما تلفظ اسماؤهم مع انك اذا أخطأت في حركة اسم مصري قامت القيامة عليك . فالامس كان احدهم يرحّم على الشيخ العدوي بفتح ففتح فلم يفهمهُ احد او فهمهُ ومكر وسأل من هذا فقيل لهُ العدوي بكسر العين وكان هذا السوري قد عرف المرحوم وقيل لهُ انهُ من بني عدي بفتح العين فاراد ان يستعمل قواعد النسبة الصرفية في اصلاح اسم قديم لفظ بهِ بكسر العين منذ عهد بعيد فطاش سهمهُ

***

ولا تزال ادارة المقتطف كما كانت من قبل سوق عكاظ او مباءة لجيل جديد من الادباء لا يعرف الجيل القديم . واذا وقف بهم احد من بقايا الجيل القديم انكروه كانهُ سامريّ ! او خيل اليهِ انهم كذلك فعلوا فان لم يصدق تخيلهُ فان سوء الظن من حسن الفطن

ومن هؤلاء كاتب هذه السطور والشريق امين المعلوف ومصطفى صادق الرافعي واسماعيل مظهر واقل منهم عنفاً واكثر جدة محمود الدمياطي وعبد الرحمن شكري . ولولا خوفي ان يهمني بتكبير اسنانهم وتصغير مني لمدحتهم بما مدح بهِ الفرزدق آباءهُ وهو يقارع جريراً حيث قال

اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

وكما كان المرحوم الدكتور صرُّوف نقطة الدائرة في حلقة ادباء عهده وعلمائهم فكذلك محرر المقتطف الآن هو نقطة دائرة الجيل الجديد ممن جعل ادارة المقتطف مجمعاً له ، ان كان دون مجمع جرير والفرزدق والاخطل في الشعر فهو فوقهُ في العلم الحديث . والفضل في ذلك لثلاثة عشر قرناً تفصلنا عنهم . والاَّ فأين نحن منهم

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثامن والثمانين

صفحة

٥٦١ بعد ستين سنة : للدكتور فارس نمر

٥٧١ تحية وزير المعارف : لمعالي محمد علي علوبه باشا

٥٧٢ تحية وزير المعارف السورية : لمعالي الامير مصطفى الشهابي

٥٧٤ المقتطف والحركة الفكرية : للدكتور محمد حسين هيكل بك

٥٧٧ تطور التعليم في مصر : لمحمد العشماوي بك

٥٨٨ تطور حياتنا العقلية : لاحمد لطفي السيد باشا

٥٩٠ تطور التعليم في الازهر : لفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي

٥٩٤ التعليم الجامعي : للدكتور طه حسين

٥٩٦ البحث العلمي في مصر : للدكتور محمد مصطفى مشرفة

٥٩٨ المدارس في ربع قرن : لامين سامي باشا

٦٠٢ العلم والاجتماع : لاسماعيل مظهر

٦٠٨ الاتجاهات السياسية : لامين سعيد

٦١٧ أطباء الشرق : للدكتور كريليوس فاتديك

٦٢٣ هرم الجيزة والشعرى : لمحمود باشا الفلكي

٦٣٠ النباتات المصرية واستعمالها طبًّا : للدكتور حسن باشا محمود

٦٣٦ الباب والبابية : للسيد ميرزا فضل الله الايراني

٦٤٢ التربية والحجاب : لقاسم امين

٦٤٦ شرف العمل . لمحمد كردعلي

٦٥١ فلسفة الاحلام : لهنري برغسن

٦٦٠ موعظة شهر الورود : للآنسة « ي »

٦٦٤ النهضة الشرقية الحديثة : تزحزح الشرق عن جموده: للشيخ مصطفى عبد الرازق. طلائع الفكر الحر: لساسي الجريديني . حرية الآداب: لعباس محمود العقاد . انهيار التقاليد القديمة : للدكتور بارد ضدج . في قلوب النوابغ : لامين الريحاني

٦٧٨ الثورة المقبلة : للورد سنودن

٦٨١ ذكريات دار المقتطف : للامير شكيب ارسلان وللدكتور الفريق امين المعلوف ولنجيب شاهين

بعض مؤلفات امين الريحاني

ملوك العرب جزءان ثمنهما ٥٠ غرشاً مصريًّا
فيصل الاول جزء واحد ثمنه ٢٥ « «
قلب العراق « « « ٢٥ « «
ثمن المجموعة ٩٠ غرشاً مصريًّا

وهو الكتاب الذي منعته الحكومة العراقية من الدخول الى العراق

التطرف والاصلاح ٥ غروش مصرية
اثم الشعراء ٥ « «
جبران (رواية) طبعة ثانية ٥ « «
المكاري والكاهن طبعة ثانية مصورة ٥ « «
وقاء الزمان رواية الفردوسي (التمثيلية) ٥ « «
ثمن المجموعة ٢٠ غرشاً مصريًّا

تطلب من مطبعة صادر سوق الغرب بيروت

ومن مؤلفاته الانكليزية :
Around the Coasts of Arabia
Arabian Peak and Desert
ثمن الجزء الواحد سبع شلنات ونصف شلن

تطلب من
Constable & Co., Ltd.
10 Orange St., Heicester Sq., London. England

المجلة الجديدة

يحررها سلامة موسى : للتثقيف قبل التسلية

يصدر منها عدد شهري في ١١٢ صفحة كبيرة . نزعتها التجديد في الادب والاجتماع والاقتصاد

ويصدر منها عدد اسبوعي في ٢٤ صفحة كبيرة يحتوي على مواد سهلة للتثقيف قبل التسلية

الاشتراك سنة في العدد الشهري ٤٠ قرشاً في مصر والسودان و٥٥ قرشاً في الخارج

الاشتراك سنة في العدد الاسبوعي ٢٥ قرشاً في مصر والسودان و٥٠ قرشاً في الخارج

١٢ شارع نوبار — مصر

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً سافاً وعنوانها

Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brasil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة باللغتين العربية والاسبانية

أنشأها الاستاذ موسى يوسف عزيزه في ١٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩

مديرها الحالي : أمين فسطين

رئيس التحرير المسؤول في القسم العربي : الياس قنصل

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرّة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES
Reconquista 339
Buenos Aires — Argentina.

الاصلاح

مجلة شقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس